

كتاب المسجون

تأليف
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق وشرح
عبد السلام هارون

الجزء الثاني

دار
إحياء التراث العربي

بِمَقِينَةٍ وَيَسْرِعِ
عَدْلُكَ بِمَدَارِكِ

مكتبة (البحر) مطبوع
أبي عثمان غنم بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

البحر

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمتها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

المجلد الثاني

د. ر.
أحميا، والترجمة العربية
بيروت


المجمع العلمي العربي - الآكامي
منشورات محمد النذير
ص ٧٨٢٣ - بيروت - لبنان

كتاب
الشيخون

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٦٩ - ١٣٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديث المأثورة ، وما أوجد العيان فيها ، وما استخرجت التجارب منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة .

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ من داءِ الكلبِ ، ثمَّ نذكر الأبوابَ لما قدَّمنا في صدرِ كلامنا هذا . قال بعضُ المرَّيين (١) :

أَرَى الحِلَّانَ بعدَ أبي عُمَيْرٍ (٢) بِمُحْجَرٍ في لِقائِهِمُ جَفَاءُ
مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بَنِي سَنانٍ لوَ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمُ أضَاءوا
لَهُم شَمْسُ النَّهَارِ إذا اسْتَقَلَّتْ وَنُورٌ ما يَغِيبُهُ العَمَاءُ (٣)
بُناةٌ مَكَارِمٍ وَأَساةٌ كَلَمٌ (٤) دِماؤُهُمُ سِنَ الكَلْبِ الشِّفاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبل المري ، والشعر يقوله في زفر بن أبي هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة . (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزباني ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامي . والبيت الأخير مروى في عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ١٧ . و « المرين » هي في الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بني سهم بن مرة .

(٢) في ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبي حبيب » ، وهي كنية زفر كما في المؤلف .

(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهي مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً في الجو .

العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكهيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رموس الجبال .

(٤) في الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما في الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع آس ، والآسى : الذي يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

بِنِ الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبنة والحبل (١)

وقال عبد الله بن قيس الرقييات (٢) :

عاودني النكس فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلب (٣)

وقال ابن عياش (٤) الكندي لبني أسد في قتلهم حُجر بن عمرو :

(١) في اللسان : ويقال به جنة وجنون ومجننة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت في عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو في الأغاني ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفي مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا في الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد في « الكامل » : هو عبد الله ، وقال المرزبان في « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم الكلبي ، وكذلك قال المصعب الزبيري في أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادي في تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسهبة في الأغاني ٤ : ١٥٤ - ١٦٦ وأما البغدادي فقد ترجم له وكتب تحقيقاً منها فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ - ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة في الشعراء . ٥٢٣ - ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده في ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتاً آخر شبيهاً به ص ٨١ من الديوان :

فدله الحب قاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكري : « الهاء للكلب - يريد بكسر اللام - وإن لم يذكره » أي تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا في م . وفي ط و س : « ابن عباس ، ولعله « حكيم بن عياش » الذي ترجم له ياقوت في معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين الكعبي ابن زيد الأسدي مفاخرة .

عبيد العصا جثم بقتل رئيسكم تريقون تاموراً شفاءً من الكلب^(١)

٣

وقال الفرزدق :

ولو تشرب الكلبى المراضُ دماءنا شفتها وذو الحبل الذى هو أذنف^(٢)

وذاك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفى من عضة

الكلب الكلب ، وتشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشرب الكلبى المراضُ دماءنا شفتها

ثم قال : « وذو الحبل الذى هو أذنف^(٢) » .

وقد قال ذلك عاصم بن القيرية^(٣) ، وهو جاهلي :

وداويته مما به من مجنة دم ابن كهل والنطاسى واقف^(٤)

وقلده دهرأ تميمة جدّه وليس لشيء كاده الله صارف^(٥)

وكان أصحابنا يزعمون أن قولهم دماء الملوك شفاءً من الكلب ، على

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان

يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالمعصى .

كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميدانى فى الأمثال ١ : ٤٢٦

يروى لهذا المثل سبباً طويلاً ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه

فى ضره ، وعزه فى إهانتة » . أما الثعالبى (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن

هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه

كلبون . والأذنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد

له وجهاً . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م - وفى المطبوعة : « القرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) الهجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهل » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أن الدَّم الكريم هو الثَّأْرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب^(١) على معنى قول الشاعر^(٢) :

كَلِبٌ مِنْ حِسِّ مَا قَدِ مَسَّهُ وَأَفَانِينَ فُوَادٍ مُخْتَبِلٌ^(٣)
وعلى معنى قوله^(٤) :

* كَلِبٌ بِضَرْبِ بَجَا جِمٍ وَرِقَابٍ^(٥) *

فإذا كَلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب ، وليس أن هناك دماً في الحقيقة يُشْرَبُ ولولا قول عاصم بن القُرَيْبَةِ^(٦) : « والنَّطَاسِيُّ واقِفٌ » . لكان ذلك التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص^(٧) :

-
- (١) في ط : « الكلاب » ، وصوابه في س ، م .
(٢) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (حمل) والمعاني الكبير ١١٣٣ .
(٣) أفانين فواد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور :
« احتمل الرجل - بالبناء للمجهول - : غضب » .
(٤) في الأصل : « قولهم » . والآتي عجز بيت حصين بن القمقاع يرثي عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر في الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :
* يوم الخليس بذى الفقار كأنه *
(٥) في ط : « كلب يضرب » ، وصوابه في س .
(٦) كذا في س ، م - وفي المطبوعة : « الفرية » بالفاء .
(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه ليبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » في قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداغ بيت آخر كوثر
انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر في
يوم شعب جبلة ، الأغاني ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام
بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبي صل الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) .
وصواب إنشاد البيت الآتي « أو العنقاء » لأن قبله كما في المفضليات ١٧٥ :
فهل لك في بني حجر بن عمرو فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو دِمَاءُ الْقَوْمِ لِلْكَلْبِيِّ شِفَاءٌ
وفي الكلب يقول الأعشى :

أراني وعمراً بيننا دُقَّ مَنْشِمٌ^(١) فلم يبق إلا أن يُجَنَّ وأكلبا^(٢)

ألا ترى أنه فرَّق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزَيْمَةٌ فِي قَوْمٍ لِيَهْلِكَهُمْ عَلَى الْجَمَالَةِ هَلْ بِالْمَرْءِ مِنْ كَلْبٍ^(٣)

لكان ذلك على تأويل ما ذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأمر أميرى قد أطعتم فإئتما كواه بنارٍ بين عينيه مُكَلْبٌ^(٤)

وهذا عندي لا يدخل في الباب الأول ، وقد جعلوه منه . ٤

(من طباع الكلب المعجية)

قال صاحب الكلب : وزعمتم أنه يبلغ من فضل قوة طباع الديك
في الإلقاح ، أنه متى سفد دجاجة وقد احتشت بيضاً صغاراً من نتاج الرياح

(١) ط : « رق منشم » ، وصوابه في س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفتانوا ودقوا بينهم عطر منشم
الثعالبي في الثمار ٢٤٦ « الأفاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ما سمعت فيه
أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفتانوا : دقوا بينهم
عطر منشم » . انظر الميداني في الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع
الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا في م ، س وفي ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة
في ديوان الأعشى ٨٨ - ٩١ مطلعها :

كفى بالذي تولينه لو تجنبا شفاء لسقم بعدما كان أشيبا

(٣) الجمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفي ط : « الجهالة » وصوابه في س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عيني الكلب إذا أصابه الكندي ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه
قوة وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كذا) وهذا الجزء من
الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلها حيواناً ولو لم يكن سفدها إلا مرة واحدة ، وجعلتموه في ذلك بغاية الفحلة ، فطباع الكلب أعجب إلقاحاً وأثقب ، وأقوى وأبعد ؛ لأن الكلب إذا عض إنساناً ، فأول ذلك أن يُحمله نبأحا مثله ، وينقله إلى طباعه ، فصار ينبج ، ثم يُحمله ويُلقمحه بأجراي صغار يَبوهُا علقاً في صور الكلاب ، على بُعد ما بين العنصرين والطبعين والجنسين . والذي يتولد في أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الديك . فالسكذب هو (١) العجب العجيب ، لأنه أحببَ ذكراً من خلاف جنسه ، ولأنه مع الإحبال وإلقاح ، أحاله نبأحا مثله . فتلك الأدراس (٢) وتلك الكلاب الصغار ، أولاد ونتاج ، وإن كان لا يبتى .

وقد تعلمون أن أولاد البغلات من البغال لا يبتى ؛ وأن اللقاح قد يقع ، وإنما منع البغل من البغلة بهذه العلة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان (٣) وغيره : كان الأسود بن أوس بن الحسرة ، أتي النجاشي ومعه امرأته ، وهي بنت الحارث أحد بني عاصم بن عبيد بن

(١) في الأصل : « والسكذب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراس : جمع درص بفتح الدال وكسرهما ، وهو ولد القنذ والأرنب واليربوع والفارة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ في البيان في مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر انفهرست ٩٤ لبيسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب والمساثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفي سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النجاشي : لأعطينك شيئاً يشفي من داء الكلب (١) . فأقبل حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأته أن تزوج ابنه قدامة ابن الأسود ، وأن تعلمه دواء الكلب ؛ ولا يخرج ذلك منهم إلى احد ، فزوجته نكاح ممت (٢) ، وعلمته دواء الكلب ، فهو إلى اليوم فيهم .

فولد الأسود قدامة ، وولد قدامة المحجل - وأمّه بنت الحارث - فكان المحجل يُداوى من الكلب . فولد المحجل عتبة وعمراً ؛ فداوى ابن المحجل (٣) عتبية (٤) بن مرداس ؛ وهو ابن فسوة الشاعر (٥) . فبال مثل أجراء الكلب علقا ، ومثل صور النمل والأدراص (٦) فقال ابن فسوة حين برى :

ولولا دواء ابن المحجل وعلمه هَرَرْتُ إذا ما للناس هَرَّ كلابها

- (١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة في العيون ٤ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .
 - (٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة في المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم ، منهم كنانة بن خزيمه ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .
 - (٣) في عيون الأخبار أنه (المحجل) ، وفي الشعراء وفق ما هنا .
 - (٤) في الأصل : « عيبنه » ، وتصحيحه من العيون والشعراء .
 - (٥) قال أبو الفرج : هو أحد بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود في الفحول ، مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام ، هجاء خبيث اللسان بذيء . . . وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيمطلونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلاً له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعل ابن أبي طالب . وكان حليفاً لجميل بن معمر ، وفيه يقول :
- فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ولكني مولى جميل بن معمر
وترجمته مسهبة في الاغانى (١٩ : ١٤٢ - ١٤٦) .
- (٦) في الأصل : « الأضراس » ، وإنما هي « الأدراص » كما سبق في ص ١٠ .

وأخرج عبد الله أولاد زارع^(١) مَوْلَعَة أكتافها وجنوبها^(٢)

وأولاد زارع : الكلاب .

وأما قوله :

ولولا دواء ابن المُحِلِّ وعلمه هررتُ
فإنَّما ذهبَ إلى أنَّ الذي يَعَضُّهُ الكَلْبُ الكَلْبُ ، ينبَحُ نَباحَ الكلابِ
ويَهْرُ هريها .

(أعراض الكلاب)

وقال محمد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة^(٣) :
عضُّ رجلاً [من بَلْعَنْبِرٍ]^(٤) كلبٌ كلب فأصابه داء الكلب ، فبال علقا
في صورة الكلاب ؛ فقالت بنت المستنير^(٥) :

(١) في الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه في العيون والشعراء . وفيها كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التي بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) في الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه في البيان (١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفي المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف في البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة في المحدثين أي رجال الحديث ، وقال : « توفي بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢) « وكان كثير العلم والسمع . متصرفا في الخبر والأثر . وكان من أجود قریش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء الذين في كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) في العيون : « فقالت امرأته » .

أبالك أدراصاً وأولادَ زارعٍ . وتلكَ لعمرى نُهيةُ المتعجبِ (١)
وحدَّثني أبو الصَّهباءِ عن رجالٍ من بني سعد ، منهم عبد الرحمن
ابن شبيب ، قالوا :

عضُّ سنجيرِ الكلبِ الكلبِ ، فكان يعطشُ ويطلبُ الماءَ بأشدَّ الطلبِ ،
فإذا أتوه به صاح عند معانته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحب تلك العضة . وذلك أنه يعطش عنها أشدَّ العطش
ويطلب الماءَ أشدَّ الطلبِ ، فإذا أتوه به هربَ منه أشدَّ الهربِ ، فقال دَمٌ (٢)
وهو عبدُ لبني سعد :

لقد جئت ياسنجيرَ أجلوملقة إباؤك للشئ الذي أنت طالب (٣)
وهي أبيات لم أحفظ منها إلا هذا البيت .

(نشرة طبيّة لزياد)

وذكر مسلّم بن محارب ، وعلى بن محمّد عن رجاله ، أن زياداً كتب
دواء الكلب ، وعلّقه على باب المسجد الأعظم (٤) ، ليعرفه جميع الناس .

(١) ط : « نُهية المتعجب » ، وفي م : « نُهية المتعجب » ، وصوابه من س و عيون
الأخبار . والنُهية بالضم : غاية الشئ وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدم » بالتحريك ، وهو شئ شبه الحية يكون في الحجاز
ومنه المثل ، وهو « أشد من الدم » .

(٣) في م : « احلوملقة » وفي س : « احلوملقة » ، وفي البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان في أول أمره مبنيًا بالقصب ، ولما ولي البصرة أبو موسى
الأشعري بناه بالبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بني زياد المسجد بالحص
وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلبها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة
فكأبوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال
لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد في الصلاة سنة . فأمر بجمع
الحصى وإلقائه في المسجد .

(ردّ على ما زعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً في الحَيِّ ونحنُ في الكتاب ،
 فعرضَ له صبيٌّ يسمّى مهديّاً من أولاد القصابين ، وهو قائمٌ يمحو لوحه
 فعضَّ وجهه فنتع ثنيتته دونَ موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحمَ
 الذي دون العظم إلى شطر خده ، فرمى به ملقياً على وجهه وجانبِ
 شدقه ؟ وترك مُقلته صحيحة ؛ وخرَجَ منه من الدّم ما ظننتُ أنه لا يعيش
 معه ، وبقي الغلامُ مبهوتاً قائماً^(١) لا ينبس ، وأسكته الفزع وبقي طائرَ القلب ،
 ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ؛ ورأيتُه بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتاب ،
 وليس في وجهه من الشتر^(٢) إلا موضعُ الخيط الذي خِيط ؛ فلم ينبَحْ إلى
 أن برى ، ولا هراً ، ولا دعا بماء ، حتّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال
 جرواً ولا علقاً ، ولا أصابه ممّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجذ أحداً من
 تلك المشايخ ؛ يشكُّ أنهم لم يروا كلباً قطُّ أكلبَ ولا أفسدَ طبعاً منه .
 فهذا الذي عاينت .

وأما الذي بلغني عن هؤلاء الثقات فهو الذي قد كتبتُه لك .

(١) كذا . ولعلها « غائباً » .

(٢) الشتر : القطع .

(مما قيل في الكلب الكلب)

وفي الكلب الكلب أنشد الأعرابي :
حيًا كم الله فلائي منقلبٍ وإِنما الشاعرُ مجنونٌ كلبٌ
* أكثرُ ما يأتي على فيه الكذبُ * .

إمّا أن يكون الشعر لهُمبان^(١) وإما أن يكون للزُفَيان^(٢) . وأنشدني :
فإن كنتم كَلْبِي فعندي شِفاؤكم وفي الجنِّ إن كان اعتراكُ جُنون^(٣)
وأنشدني :

وما أدري إذا لاقيتُ عمرًا أَكَلْبِي آلُ عمرو أم صحاحُ
قال : فأما المُكَلب الذي يصيب كلابه داءٌ في رؤوسها يسمّى الجُحام^(٤)
فَتُكوى بين أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلامية ، وإِنما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا
مَن ليس له علم بالكلام .

ولو كان أعلمُ الناس باللغة ، لم ينفعك في باب الدين حتى يكون
المأ بالكلام .

وقد اعترض معترضون في قوله عز وجل : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي

(١) هو هيمان بن قحامة ، راجز محسن إسلامي ، وكان في الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف
للأمدى ١٩٧ .

(٢) ط : « للرقيات » وهو تصحيف ، صوابه في س . والزفَيان شاعر إسلامي ، واسمه عطاء
ابن أسيد ، وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفي معجم المرزباني ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق .

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان في عينه فترم ، وقيل داء يصيب الكلب ، وقيل
يصيب الكلب في رأسه . وفي الأصل : « الجحام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَسَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴿١﴾ فزعموا أن هذا المثل لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فما يشبهه حال من أُعطي شيئاً فلم يقبله - ولم يذكر غير ذلك^(١) - . بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أن قوله : يلهث ، لم يقع في موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عطش شديد وحر شديد ، ومن تعب ؛ وأما النباح والصياح فن شيء آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون الراد^(٢) لا يسمي مكذباً ، ولا يقال لهم كذبوا إلا وقد كان ذلك منهم مراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبهه الذي أوتى الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات ، في بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يُعطى الجِدَّ والجُهد من نفسه في كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبهه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد

(١) م : « ولم تذكر غير ذلك » وليس بشيء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه في الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .
(٢) ن في ط : « المراد » ، وصوابه في س ، م .

إطرادك له . وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبهم والحرص عليها .

والكلبُ إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً إليك ومدبراً . عنك ، لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش .

وعلى أننا ما نرمى بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضةٌ وادعة ؛ إلا وهي تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها ، والذي طُبعت عليه من شأنها ، إلا أن لهث الكلب يختلف بالشدة واللين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الديك من الكلب في شيء ، فمن الكلاب ذوات الأسماء المعروفة والألقاب المشهورة . ولسكرامها وجوارحها وكواسبها ، وأحرارها وعتاقها ، أنساب قائمة ، ودواوين مخلدة ، وأعراق محفوظة ، ومواليد مُحصاة ، مثل كلب جدعان^(١) ، وهو السُّهْبُ بن البراق ابن يحيى بن وثاب بن مظفر بن مُحَارِش .

(شعر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرد بن ضرار :

(١) لعله : « جدعان » .

- فَعَدَّ قَرِيضَ الشَّعْرِ إِنْ كُنْتَ مُغْزِرًا فَإِنْ غَزِرَ الشَّعْرَ مَا شَاءَ قَائِلٌ ^(١)
- لَعَنَتْ صُبَّاحِيَّ طَوِيلِ شِقَاؤِهِ لَهُ رَقِيَّاتٌ وَصَفْرَاءُ ذَابِلٌ ^(٢)
- بَقِينَ لَهُ مِمَّا يَبْرئُ وَأَكْلِبِ تَقَلَّقُلُ فِي أَعْنَاقِهِنَّ السَّلَاسِلُ ^(٣)
- سُخَامٌ ، وَمِقْلَاءُ الْقَنِيصِ ، وَسَلْهَبٌ وَجَدْلَاءُ ، وَالسَّرْحَانُ ، وَالْمَتَنَاوِلُ ^(٤)
- بَنَاتِ سُلُوقِيَّيْنِ كَانَا حَيَاتِهِ فَمَاتَا فَأَوْدَى شَخْصُهُ فَهُوَ خَامِلٌ ^(٥)
- وَأَبْقَى إِذْ مَاتَا بِجُوعٍ وَخَلَّةٍ وَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ عَائِلٌ ^(٦)
- فَطَوَّفَ فِي أَصْحَابِهِ يَسْتَثْبِيهِمْ فَآبَ وَقَدْ أُكْدَتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ ^(٧)
- إِلَى صَبِيَةٍ مِثْلِ الْمَغَالَى وَخِرْمَلٍ رَوَادٍ ، وَمِنْ شَرِّ النِّسَاءِ الْخِرَامِلُ ^(٨)
- فَقَالَ لَهَا : هَلْ مِنْ طَعَامٍ فَإِنِّي أَذْمُ إِلَيْكَ النَّاسَ ، أُمَّكَ هَابِلٌ ^(٩)

(١) أغزر الشيء : جملة غزيرا . وفي ط : « معذرا » .

(٢) الصباحى : رجل من بنى صباح كان ضيقاً له . وفي ط ، م : « صباحى » .
والرقيات : سهام منسوبة إلى « الرقم » بالتحريك : موضع بالمدينة . « وصفراء ذابل » : قوس
قطع عودها وطرحت في الشمس حتى ذهب ماؤها .

(٣) تققلل : تتقلقل . وأراد بالسلاسل القلائد . « يقين » هي في الأصل : « يقين »
وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنبارى ١٨٠ .

(٤) ط : « ومقلاء والقنيس » وتصحيحه من القاموس و س ، م - وفي ط : « وجدلان »
وصوابه من س والقاموس .

(٥) في الأصل : « فات فأودى » . الخ ، والوجه ما أثبت من المفضليات بشرح
ابن الأنبارى . قال : كانا حياته : أى كانا يصيدان له في حياته . وأرى أنه عنى أنهما
سبب حياته ومصدر رزقه .

(٦) الخلة : الفقر والحاجة . والعائل : الفقير .

(٧) يستثيبهم : يطلب ثوابهم ومعروفهم . وأكدى : طلب فلم يجد .

(٨) قال ابن الأنبارى : المغالى : سهام يغلى بها في الهواء لانصال لها . يريد أن صبيانه
في ضعفهم وسوء حالهم ونحوهم مثل هذه السهام . أما الخرميل فهي المجوز المتهدمة .
والرواد : الحمقاء الهوجاء ، من قولهم : ربح رواد : هوجاء تجى وتذهب .

(٩) هبلته أمه : شكاته وفقدته .

فقالت : نَعَمْ ، هذا الطَّوِيُّ وماؤه ومُحْتَرَقٌ من حائل الجلد قاحِلٌ^(١) ٨
فلما تناهت نفسه من طعامه وأمسى طليحاً ما يُعانيه باطلٌ^(٢)
تَغَشَى ، يريدُ النَّوْمَ ، فضل رداءه فاعيا على العينِ الرَّقَادِ البلابِلُ^(٣)
فبَكَرٌ في هذا الشعر ، وقِفٌ^(٤) على فصوله ، حتى تعرف غناء الكلاب
عندهم^(٥) ، وكسبها عليهم ، وموقعها منهم .
وقال لبيدٌ في ذِكْرها وذِكْر أسماءها :

لتذودهنَّ وأيقنت إن لم تَذُذْ أن قد أحمَّ من الختوفِ حمامها^(٦)
فتقصدتُ منها كسابٍ وضرَّجتُ بدمٍ وغودِرَ في المَكْرِّ سخامها^(٧)

(١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشيء .

(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول المجهود . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .

(٣) تغشى رداءه : تغطى به .

(٤) فى الأصل : « ووقف » .

(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .

(٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س ، م ، وشرح القصاصد المشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتفها من بين الختوف .

(٧) تقصده : قصده أو قتلته . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبية ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيوييه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والماء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :

حتى إذا ينس الرماة وأرساوا غضفا دواجن قافلا أعصها

وسخامها هى فى ط ، م : « سجاها » وفى س : « سخامها » وصوابهما فى القاموس

شرح القصاصد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر في الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مَرثِيَّةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التي تقتلُ بقرَ الوحشِ وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأنَّ (١) ناقتي بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هي المقتولة ، ليس على أن ذلك حكاية عن قصةٍ بعينها ، ولكنَّ الثيرانَ ربَّما جرحت الكلابُ وربَّما قتلتها ، وأمَّا في أكثر ذلك فإنَّها تكون هي المصابة ، والكلابُ هي السالمة والظافرة ، وصاحبها الغانم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال ليبيدُ في هذا القول الثاني غير القول الأوَّل ، وذلك على معنى ما فسرتُ لك ، فقال في ذلك وذكَّر أسماءها :

فأصبحَ وانشقَّ الضُّبابُ وهَاجه أخوقفرةٍ يُشلي رِكاحاً وسائلاً (٢)

(١) في ط : « كانت » ، وصوابه في س ، م .

(٢) ينعت ليبيد في هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عنى به الصائد ، وأشلي الكلب : دعاه ، قالوا : وما يفلط فيه الناس تأويل أشلي بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

« أشليت عنزى ومسحت قمبي »

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسده وأوسده : إذا أغريته ، لكن في اللسان بحثاً طويلاً في تصحيح هذه الكلمة ، يجيز أن يكون أشلي بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهي في الأصل : « يسلي » وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهي في الأصل : « وكاحا » وصوابه في الديوان والقاموس .

عوابس كالنشاب تَدَمِي نَحُورُهَا^(١) . يَرِينُ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ نَوَافِلًا^(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنتُ بَرَأَقَش » .

ومن أسمائها قول الآخر^(٣) : ضَبَّار :

سَفَرْتُ فَقَلْتُ لَهَا هَجْرٌ فَتَبَرَّقَعْتُ فَذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتُ ضَبَّارًا^(٤)

وقال الكُميت الأسدِي :

فَبَاتَ وَبَاتَتْ عَلَيْهِ السَّيْمَا ۖ مِنْ كُلِّ حَايِيَةٍ تَهْطُلُ^(٥)

مُكِبًّا كَمَا اجْتَنَحَ الْهَالِكِي ۖ عَلَى النَّصْلِ إِذْ طُبِعَ الْمُنْصَلُ^(٦)

ثم ذكر أسماء الكلاب فقال :

وَفِي ضَبْنٍ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ^(٧) خَطَافٍ وَسَرْحَةَ وَالْأَخْدَلُ^(٨)

(١) شبهها بالنشاب ، وهي السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفي الأصل : « عرائس كالنشاب ترى نهورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه في الديوان .

(٢) الهاديات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و « يرين » هي في ط ، س « يرى » وصوابها في الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الحفاجي ، كما في تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر للكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرهما مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعي بجمالها فكأنما كسى الحمار نخارا

فخرجت أعر في قوادم جتي لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب . وفي ط ، س : « جانبية » ، وفي م : « جانبية » والصواب ما أثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، ولذلك قيل لبني أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : الناحية . وفي الأصل : « ضبن حقف تراجعته » ، صوابه ٧ ، ٣ : ٢٠١ .

(٨) في الأصل : « والأجدل » وتصحيحه من القاموس .

وأربعة كَفِدَاحِ السَّرَا ۖ لَا عَانِيَاتُ وَلَا عُبْلُ^(١)

وقال الآخر :

بَتْنَا وَبَاتَ جَلِيدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنَا بَيْنَ الْبُيُوتِ قِرَانًا نَبِّحُ دِرْوَاسِ^(٢)

إِذَا مَلَأَ بَطْنَهُ أَلْبَانُهَا حَلْبًا بَاتَتْ تَغْنِيهِ وَضَرَى ذَاتُ إِجْرَاسِ^(٣)

ودِرْوِاس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضراط .

وقال ضابيُّ بنُ الحارثِ في ذلك :

فَرَمَلْتُ بَدْمَ قَدَامٍ وَقَدْ أَوْفَى اللَّحَاقُ وَحَانَ مِصْرَعَهُ^(٤)

وقال الآخر^(٥)

وَلَوْ هَيَّا لَهُ اللَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ أَسْبَابًا

لَسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَابًا

ومثل هذا كثير .

(١) الفدح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس المراء ومسجل قد اخضر من لس الغمير جحافلها

و « السراء » هي في الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) في اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهي المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . . وفي ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلطخت . و « قدام » : اسم كلبة ، وهي في الأصل « فراح » محرفة

وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا في تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله في رجل يسمى وثابا

ويسمى كلبه عمراً . والشعر سميده الجاحظ في ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد

ذكر الراغب الشعر أيضاً في ٢ : ١٥٣ منسوباً إلى ابن أبي عتيق ، فهما

روايتان في النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرصاً إذا كان خطمه يمسُّ عجبَ ذنبِ
الظبيِّ والأرنبِ والثورِ وغير ذلك ، مما هو من صيده . ولذلك
قال الشاعر (١) :

رَمَّا أَغْدُو مَعِيَ كَلْبِي طَالِباً لِلصَّيْدِ فِي صَحْبِي (٢)
فَسَمَوْنَا لِلقَنِيصِ مَعاً فَدَفَعَنَاهُ إِلَى أَظْبِ (٣)
فَاسْتَدْرَتْهُ فَدَرَّ لَهَا يَلْطُمُ الرُّفْعَيْنِ بِالثَّرْبِ (٤)
فَادَّرَاهَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ فِي جَمِيمِ الحَاجِ وَالغَرْبِ (٥)
فَفَرَى جُمَاعَهُنَّ كَمَا قَدَّ مَخْلُولَانَ مِنْ عَصْبِ (٦)

(١) هو أبو نواس . والقصيد في ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) في الأصل : « صحب » ، والأشبه ما أثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذي يلبس جوربي شعر ، ويمدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقية الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفي ط : « شمونا » وفي س ، م : « سمونا » والوجه ما أثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزير به » . والحزير : ما غلظ من الأرض . . والأظبي : جمع ظبي .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفقيه ، أى إبطيه ، بالأرض ، يريد كأنه يسبح في الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكة ، قيل : ومنه « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتي - وأثبت صوابه من الديوان - :

فادرا وهي لاهية في حير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوبين يمينين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال^(١) :

غير يَعْفُورٍ أَهْلٌ بِهِ جَافَ دَفِيهِ عَنِ الْقَلْبِ^(٢)
ضَمٌّ لِحْيَيْهِ بِمَخْطِطِهِ ضَمَّكَ الْكَسْرَيْنِ بِالشَّعْبِ^(٣)
وَانْتَحَى لِلْبَاقِيَاتِ كَمَا كَسَرْتَ شَفَوَاءَ مِنْ هُبِّ^(٤)
فَتَعَايَا التَّيْسُ حِينَ كَبَأَ وَدَنَا فُوهُ مِنَ الْعَجَبِ^(٥)
ظَلَّ بِالْوَعْسَاءِ يَنْفُضُهُ آرِمًا مِنْهُ عَلَى الصُّلْبِ^(٦)
تِلْكَ لَدَاتِي وَكُنْتُ فَتَى لَمْ أَقُلْ مِنْ لَذَّةِ حَسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أهل به » ، فالإهلال الذي ذكر هو شيء

١٠ يعتريه في ذلك ، يخرج من جوفه صوتٌ شبيه بالعواء [الخفيف]^(٧) ، وهو

-
- (١) الشعر متصل في الديوان ، فالببت الآتي لا يفصل بينه وبين السابق شعر .
 - (٢) يعفور : الطيبى ، أو ولده . والدنان : الجنبان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف .
وفي الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلال) .
 - (٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .
 - (٤) الشفواء : العقاب ، وفي الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء »
وهو تصحيف « شفواء » . وكسرت : ضمت جناحها للهبوط . واللهب :
مهواة ما بين كل جبلين .
 - (٥) التيس : غنى به هنا الذكر من الطيباء . وكبأ : سقط لوجهه . والمعجب :
أصل الذنب .
 - (٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفى الديوان « ينفضه » . و « آرمأ »
من آرم عليه : عض . وفى الديوان : « آزما » وهما بمعنى .
 - (٧) الزيادة من اللسان .

ما بين الغواء والأنين ، وذلك من حاق الحرص^(١) ، وشدة الطلب ، وخوف الفوات . ويقال : أهلت السماء ، إذا صببت ، واستهلت : إذا ارتفع صوت وقعها ؛ ومنه الإهلال بالحج . وقال ابن أحر^(٢) :

يَهْلُ بالفرقد رُكبانها كما يَهْلُ الراكبُ المعتمِرُ^(٣)

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : رأيتَ من لا شربَ ولا أكلَ^(٤) ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطلُّ^(٥) ؟ !

(١) في الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذا العبارة شبيه في نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفي اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) في اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فإنا صوابه ، وقد جاء البيت في (مادة عمر) منسوباً إلى ابن أحر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم في مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً - وهو ولد البقرة الوحشية - أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اه . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد في القول الأول هو الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان في بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقد . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) في الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابي بهذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ في باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابي قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى في الجنين إذا سقط ميتاً بغرة - الغرة : عيد ، أو أمة - وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجما كسجع الجاهلية » .

(٥) في الأصل : « بطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما في البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَع الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبَعَهُ كُلَّهُ ، ولا يكون كالحمار الضيِّقِ
الإبطينِ - والكلبُ في افتراش ذراعيه وبَسْطِ رجليه حتَّى يصيب قَصَّهُ
الأرضَ ، أكثر من الفرس - وعند ذلك ما يَنْشِطُ أذنيه حتَّى يُدْمِيَهُمَا .
ولذلك قال الحسنُ بن هاني ، وقد طال سانعتَ بهما (١) :

فانصاعَ كالكوكبِ في انحداره لَفَتَ المشيرَ مُوهِنًا بناره (٢)
شَدًّا إذا أَحْصَفَ في إحضاره (٣) خَرَّقَ أذنيه شَبًّا أظفاره
وأول هذه الأرجوزة :

لما غدا الثعلبُ من وجاره يلتَمِسُ الكسبَ على صغاره

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدي في تاج العروس
« والموهن كحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص في نسخ القاموس
واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هي في الأصل : « ثاره » وصوابه
في الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ : وديوان المعاني
٢ : ١٣٣ .

ولأبي نواس من طردية أخرى في صفة حمام يعفور البصرى (الديوان ٢٢٣) :

* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهي في ط : « أحصف »
وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أحصف » بالخاء من
تصحيف الليث . وهي بالخاء في س ، م ، وبالخاء في نهاية الأرب والديوان . والرواية
فيه : « حتى إذا أحصف » .

(معرفة أئى نواس بالكلاب ، وجوده شعره)

وأنا كتبتُ لك رجزه فى هذا الباب ، لأنه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود فى شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستقصاة فى أراجيزه . هذا مع جودة الطبع وجوده السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأملتُ شعره فضلتُهُ ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهلَ البدو أبداً أشعرُ ، وأن المولدين لا يقاربونهم فى شئ . فإن اعترض هذا البابُ عليك فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل ، ما دمت مغلوباً .

(طردية لأبى نواس)

قال الحسن بن هانى :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِهِ يلتَمِسُ الكسبَ على صغاره
عارضُهُ فى سننِ امتيارهِ (١) مضمرٌ يموجُ فى صدرهِ (٢)

(١) امتياره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق . وفى ط : « شتن » وفى س : « ستن » .

(٢) فى الأصل : « سداره » وإنما هى « صدره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة فى الكلاب كما فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما فى الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هى فى الأصل : « يمدح » وفى الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس فى طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

• بأغضف يموج فى شواره •

- ١١
- في حَلَقِ الصُّفْرِ وفي أَسْيَارِهِ منضَمَّةٌ قُصْرَاهُ من إضْمَارِهِ (١)
 قد نَحَّتَ التَّسْهِيمُ من أَقْطَارِهِ (٢) من بعد ما كان إلى أَصْبَارِهِ (٣)
 غَضًّا غَذَتْهُ الخُورُ من عِشَارِهِ (٤) أَيَّامٌ لا يُحْجَبُ عن أَظْآرِهِ
 وهو طَلًّا لم يَدُنْ من إِشْغَارِهِ (٥) في مَنَزَلٍ يُحْجَبُ عن زُورِهِ
 يُسَاسُ فيه طَرَفِي نَهَارِهِ حَتَّى إِذَا أَحْمَدَ في اخْتِبَارِهِ (٦)
 وَأَصَّ مِثْلَ القَلْبِ من نُضَارِهِ (٧) كَأَنَّ خَلْفَ مَلْتَقَى أَشْفَارِهِ (٨)
 جَمْرَ غَضِي يَدْمِنُ في استِعَارِهِ كَأَنَّ لِحْيِيهِ لَدَى افْتِرَارِهِ

- (١) القصرى : أسفل الأضلاع ، كما القصيرى أعلى الأضلاع .
 (٢) التسهيم : الضمور . وفي الديوان : « التلويح » ، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه .
 (٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئا بديننا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها :
 أى رأسها .
 (٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثبت هو رواية الديوان
 وفي ط ، م :
 * نحتا كسته الخور من عشاره *
 وفي س : نحتا كسته . . . الخ
 و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى
 مثل هذا المعنى من طردية أخرى :
 * غذته أظآر من اللقاح *
 (٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية .
 والإشغار فسره الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أشفاره » وفى الديوان :
 « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .
 (٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختباره » ، وفى الديوان :
 « ابتياره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .
 (٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . فى س : « فى نضاره » .
 (٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت
 فى الديوان . وفى ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م
 والديوان . وقد شبه عيني الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حمرة وبصيصاً .

- شك مَسَامِيرَ عَلَى طَوَارِهِ (١) يَضْمُ قُطْرِيَهُ مِنْ اضْطِبَارِهِ (٢)
 وَإِنْ تَمَطَّى تَمَّ فِي أَشْبَارِهِ (٣) عَشْرًا إِذَا قَدَّرَ فِي اقْتِدَارِهِ (٤)
 سَمِعَ إِذَا اسْتَرْوَحَ لَمْ تُمَارِهِ (٥) إِلَّا بَأَنْ يُطَلَّقَ مِنْ عِذَارِهِ
 فَانصَاعَ كَالْكُوكَبِ فِي انْحِدَارِهِ لَفَتَ الْمَشِيرَ مُوهِنًا بِنَارِهِ (٦)
 شَدًّا إِذَا أَحْصَفَ فِي إِحْضَارِهِ (٧) خَرَّقَ أُذُنِيهِ شَبَا أَظْفَارِهِ (٨)
 حَتَّى إِذَا مَا انْسَابَ فِي غُبَارِهِ (٩) عَافَرَهُ أَخْرَقَ فِي عِفَارِهِ (١٠)

(١) الشك بمعنى النظم . وفي الأصل : « سك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم في م فقط ، وفي الديوان : « انضباره » . وفي س ، ط : « اضطاراه » . وهذا تحريف . وفي الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبى أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد في العدو من التفتل يجمع بين متنه والكلكل
 وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « نم في أشياره » .

(٤) كذا في الديوان ، وفي الأصل :

عشرا إذا أقدر في اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق في قدرته على التمتطي ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان في ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشم الهواء بحثاً عن الفريسة . والمهارة : التكذيب . يقول : هو كالذئب في قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشموم من فرسخ — وأنه في ذلك صادق لا تخطئه فراسته .

(٦) في الأصل : « بئاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) في الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحاً ص ٢٧ .

(٩) في الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجمعه في العفر أي التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان .

وفي التيمورية : « عافره أخرق في غضاره » . وفي ط ، س ، م : « عافره ما خرق في عافره » .

فَتَلْتَلَّ الْمَفْصِلَ مِنْ فَقَارِهِ^(١) وَشَقَّ عَنْهُ جَانِبِي صِدَارِهِ
• مَا خَيْرَ لِلثَّلْبِ فِي ابْتِكَارِهِ^(٢) •

(طَرْدِيَّةٌ ثَانِيَةٌ لِأَبِي نُوَاسٍ)

وقال في كلب سليمان بن داود الهاشمي - وكان الكلبُ يسمى زُبُوراً :-

إِذَا الشَّيَاطِينُ رَأَتْ زُبُوراً قَدْ قُلِّدَ الحَلْقَةَ وَالسُّيُورَا
دَعَتْ الحِزَانَ الفَلَا تُبُورَا^(٣) أَدْفَى تَرَى فِي شِدْقِهِ تَأْخِيرَا^(٤)
تَرَى إِذَا عَارَضْتَهُ مَفْرُورَا^(٥) خَنَاجِرًا قَدْ نَبَتَتْ سَطُورَا^(٦)

(١) تلتل هنا : في معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب في خروجه مبكراً ، لأنه سيكون غنيمة لهذا الكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبورا ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » . . والخزان جمع خرز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرناب . و « الفلا » : جمع فلاة . وهي في ط : « الفلا » وصوابها في س ، م والتمورية والديوان . و « دعت » هي في جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرناب التي صرعاها الكلبُ شمانة بها . وذلك أن الأرناب فيما تزعم الأعراب - ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميري (١ : ٣٠) .

(٤) الأدق : الذي أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تسكاد أطرافهما تماس في انحدار قبل الجبهة . أو الأدق الذي يمشي إلى جانب ، وذلك أسرع له . وفي الأصل . « أدى » وأثبت ما بالديوان . و « في شدقيه تأخيراً » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفي ط : « مضروراً » وفي الديوان « مفروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصلاتها وشدة تمكئها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان ، فلا تنال قوة « نبتت » .

مُشْتَبِكَاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورَا (١) أَحْسِنَ فِي تَأْدِيهِهِ صَغِيرَا
 حَتَّى تَوَفَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَا (٢) مِنْ سِنِّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَا (٣)
 وَعَرَفَ الْإِيحَاءَ وَالصَّفِيرَا وَالْكَفَّ أَنْ تَوْمَى أَوْ تَشِيرَا
 يُعْطِيكَ أَقْصَى حُضْرِهِ الْمَذْخُورَا (٤) شَدًّا تَبْرَى مِنْ هَمْزِهِ الْأُظْفُورَا (٥)
 مُنْتَشِطًا مِنْ أُذُنِهِ سَيُورَا (٦) فَمَا يَزَالُ وَالْفَا تَامُورَا (٧) ١٢
 مِنْ ثَعْلَبٍ غَادَرَهُ مَجْزُورَا أَوْ أَرْنَبٍ كَوَّرَهَا تَكْوِيرَا (٨)
 أَوْ ظَبِيَّةٍ تَقْرُو رَشًّا غَرِيرَا (٩) غَادَرَهَا دُونَ الطَّلَا عَقِيرَا (١٠)
 فَأَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَمِيرَا رَبِّي، وَلَا زَالَ بِهِ مَسْرُورَا (١١)
 وَقَدْ قَالَ كَمَا تَرَى :

شَدًّا تَرَى مِنْ هَمْزِهِ الْأُظْفُورَا مُنْتَشِطًا مِنْ أُذُنِهِ سَيُورَا

- (١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرثة ، وأراد سحور الصيد .
 (٢) توفي الأشهر : أكلها وأتمها .
 (٣) كذا في الديوان ، وفي الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفره الجاحظ قريبا .
 (٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفي ط : « حصره » محرقة ، و « المذخورا » هي في الديوان : « الموفورا » . ومثله قول ذي الرمة في ديوانه ٣٣ وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ :

لا يذخران من الإيفال باقية حتى تكاد تفرى بينها الأهب

- (٥) الهمز : الضغط والتمز .
 (٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .
 (٧) والفا تامورا : شاربا للدم يطرف لسانه . وفي ط : « والفا » وهو على الصواب في س ، م والديوان .
 (٨) كورها : صرعها . وفي الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .
 (٩) تقروه : تقصد إليه . وفي ط : « تغرو » وهو تصحيف ما في س ، م .
 والرشأ الغرير : الظبي الصغير .
 (١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيرا : صريماً . وفي الديوان : « عقيرا » .
 (١١) في الديوان : « ولا يزال فرحا مسرورا » .

بإثر قوله (١) :

حَتَّى تَوَفَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَا (٢) مِنْ سِنِّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَا (٣)
فَإِنَّ الْكَلْبَ إِذَا شَغَرَ بِرِجْلِهِ وَبَالَ ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ بَلُوغِهِ
لِلْإِقْلَاحِ ، وَهُوَ مِنَ الْحَيَوَانَ الَّذِي لَا يَحْتَلِمُ (٤) .

(أمارات البلوغ في الغلمان والجوارى)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمر : منها انفراقُ طَرْفِ الأرنبة ،
ومنها تغيُّرُ رِيحِ إبطيه . ومنها الأنياب (٥) ، ومنها غلظ الصوت .
ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفي الجوارى جَوَارٍ لَا يَحْضُنُ ، وذلك
في النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيباً . وقد رأيت رجالاً يوصفون
بالقوَّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلا مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم
يحتلم أبته .

(طردية ثلاثة لأبي نواس)

وقد قال الحس بن هانيُّ مثلاً ذلك ، في أرجوزة أخرى :
يَمْرِي إِذَا كَانَ الْجِرَاءُ عَبْطَا (٦) بَرَاثِنَا سُحْمَ الْأَثَانِي مُلْطَا (٧)

(١) في الأصل : « يأنى قور » .

(٢) في الأصل : « حتى يوفى » .

(٣) في الأصل : « من سنة » . وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .

(٤) في الأصل : « لم » .

(٥) كذا

(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفي الديوان : « يفري » . والجراء مصدر كالجري .

وهذه رواية الديوان . وفي الأصل : « الجزاء » . والعبط : أن يجرى الرجل
الدابة حتى تعرق .

(٧) الأثنان : غنى بها الهنات الناتئة في كف الكلب . والسحم : السود ، جمع أسحم .

والملط : الحالية من الشعر ، جمع أملط .

• يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بَهْنَ نَشْطًا •

وهذه الأرجوزة أولها :

عَدَدَتْ كَلْبًا لِلطَّرَادِ سَلْطًا^(١) مَقْلَدًا قَلَانِدًا وَمَقْطًا^(٢)
فَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَسِيبُ رَهْطًا^(٣) تَرَى لَهُ شِدْقَيْنِ خُطًّا خَطًّا^(٤)
يَمْرَى إِذَا كَانَ الْجِرَابُ عَبْطًا^(٥) بَرَانًا سُحْمَ الْأَثَانِي مُلْطًا
يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بَهْنَ نَشْطًا تَخَالُ مَا دَمِينٍ مِنْهَا شَرْطًا^(٦)
مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا فَرْطًا^(٧) كَأَنَّهَا يُعْجَلِينَ شَيْئًا لَقْطًا
أَعْجَلَ مِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ قَطًّا^(٨) فَاجْتَاخَ خِزَانَ الصَّحَارَى الرَّقْطًا^(٩)

- (١) عددته ، بالتشديد : جملة عدة . وفي الديوان : « أهددت » ، بمعنى هيات .
والسلط : الشديد .
(٢) المقط : الحبل .
(٣) عنى بالرهط هنا المشيرة . وفي الديوان : « فهو النجيب » الخ .
(٤) في الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .
(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك في البيتين التاليين .
(٦) رواية الديوان : « نخال مأزمين منه شرطاً » ، وما هنا صوابه . ودى :
ظهر منه الدم .
(٧) إلا فرطاً : إلا في النادر ، فهو كأنه سابح في الهواء . وقد أخذ المعنى من
قول أبي النجم :

• فإيمس الارص منه حافره •

- (٨) « قطا » هي حكاية صوت القطة . وفي الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك
على أبي نواس في شعره حرفين : قوله :

• أسرع من قول قطة قطا •

كان ينبغي أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كن الشنان فيه لنا ككون النار في حجره

- وإنما كان ينبغي أن يقول : في حجرها اه . وفي الأصل : « من قول قطاء »
وليس بشيء .

- (٩) اجتاحتها : أهلكها واستأصلها . وفي الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفي
الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأراب . والرقط : جمع
أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَيْنِ مِنْهُ حَكْمًا مَشْتَطًا^(١) لِلْعَظْمِ حَطًّا وَالْأَدِيمِ عَطًّا^(٢)

(شعر في، نعمت سرعة القوائم)

١٣ والشعراء إذا أرادوا سرعة القوائم قالوا كما قال^(٣) :

يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافِ ثَمَانِيَةٍ وَمَسَّهِنٍ إِذَا أَقْبَلْنَ تَحْلِيلًا^(٤)

وقال الآخر^(٥) .

(١) مشتطا: جائراً . وفي الديوان : « يلقين منه حاكما » ، والحكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفي الديوان : « عبطا » موضع « عطا » ، وهما سيان .

(٣) القائل هو عبدة بن الطيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادير أبي زيد ٩) .

(٤) يخفى : حرف من الأضداد يحون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعنى الإظهار ، والإبداء كما في هذا البيت ، وكما في قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

فإن تكتموا الداء لا تخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك حرف من الأضداد . وقرئ قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل في كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة اليمين أم، الاستثناء في الحلف ، وهي أن يقول الحالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكري : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كموصلة الحالف بالتحلة يمينه من غير تراخ . وقال ابن منظور في شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة في عجز البيت :

* في أربع مسهن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف في أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما في الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتي في وصف ثور .

وكأَنَّمَا جَهَدَتْ أَلَيْتُهُ أَنْ لَا تَمَسَّ الْأَرْضَ أَرْبَعَةٌ (١)

فأفرط المولِّدون (٢) في صفة السرعة - وليس ذلك بأجود - فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بسرعة العَدُو :

• كَأَنَّمَا تَرْفَعُ مَا لَمْ يُوضَعِ (٣) •

وقال الحسن [بن هاني (٤)] :

• ما إنْ يَقَعْنَ الْأَرْضَ إِلَّا فَرُطًا •

(طردية رابعة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هاني في نعت كلب (٥) :

أَنْعَتُ كَلْبًا أَهْلُهُ فِي كَدِّهِ (٦) قَدْ سَعِدْتُ جَدُودَهُمْ بِجَدِّهِ (٧)

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالمعنى والألية : اليمين والقسم . و « أربعة » أي قوائمه الأربعة . وهي في الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) في ط : « الولد » ، وصوابه في س ، م .

(٣) هذا ما في م . وفي سائر النسخ : « يرفع ما لا يوضع » ، تحريف . و الرواية في الصناعتين ٧٩ وكذا في محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

• كأنما يرفعن ما لم يوضع •

وقد جملة الراغب في نعوت الخيل لا الكلاب .

(٤) التكملة من م .

(٥) في نعت كلب ، ساقط من م .

(٦) « في كده » : من كده . وفي ط : « في وده » ، وصوابه في س ، م ، م . وفي الديوان : « من كده » ورواية السيرى ٢ : ٤٠٢ ؛ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « في كده » .

(٧) الجدود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، واجد بالكسر : الاجتهاد .

فكلُّ خيرٍ عندهم من عنده يظلُّ مولاة له كعبده
بيتُ أدنى صاحب من مهده (١) وإن عرى جلله ببرده (٢)
ذو غرة محجل بزنده (٣) تلذ منه العين حسن قده (٤)
ياحسن شديقه وطول خده تلقى الطباء عنتاً من طرده (٥)
يشرب كأساً شدها في شده يالك من كلب نسيج وحده (٦)

(طردية خامسة لأبي نواس)

وقال في صفاتها [وأسمائها] (٧) وسماتها، وأنسابها، وألقابها ، وتفدية (٨)
أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك - :

قد أغتدي والطير في مشواتها (٩) لم تُعرب الأفواه عن لغاتها (١٠)

-
- (١) يقول : بيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .
(٢) جلله : غطاءه . وفي « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيسى
في فتح عين الفعل المعتل اللام . وهي رواية الديوان . وفي مب : « عدا » وفي سائر
النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى في طردية أخرى لأبي نواس ، يقول فيها
(الديوان ٢١٧)

* وإن عرى جليل في زدائه *

- (٣) مب : « ذا غرة محجلا » .
(٤) ماعدا مب : « يلد » .
(٥) عنتا : شدة وهلاكها . وفي الديوان : « عبثا » . والطرده : الصيد والقنص .
(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لكل من بولغ في مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال
ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله
غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .
(٧) التكلة من مب .

- (٨) ط : « تغذية » والصواب في س ، م ، ومب .
(٩) أراد بالمشواة الموضع التي تسكن فيه وتقيم .
(١٠) يقول : هي نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرحُ في قِذَّاتِها^(١) تُعَدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا^(٢)
 قد نَحَتَ التَّقْرِيحَ وَارِيَاتِهَا^(٣) مِنْ شِدَّةِ النَّسِيمِ وَاقْتِيَاتِهَا^(٤)
 وَأَشْفَقَ الْقَانِصُ مِنْ حُفَاتِهَا^(٥) وَقَلْتُ قَدْ أَحْكَمْتَهَا فَهَاتِهَا
 وَأُذُنِ لِلصَّيْدِ مُعَلَّمَاتِهَا وَارْفَعْ لَنَا نِسْبَةَ أُمَّهَاتِهَا^(٦)
 فَجَاءَ يُزْجِيهَا عَلَى شِيَاتِهَا^(٧) شُمَّ الْعَرَاقِيبِ مُؤَنِّفَاتِهَا^(٨)
 غَرَّ لِلْوَجْوهِ وَمَحْجَلَاتِهَا مُشْرِفَةَ الْأَكْنَفِ مُوفِيَاتِهَا^(٩)

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثاني : سير يقدر من جلد غير مدبوغ ، جمعه قادات .
 وهذه الكلمة جاءت محرفة في الأصل فهي في ط : « فراتها » وفي س : « قراتها »
 وفي م : « قذاتها » . والصواب في مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفي الموشح ٢٨٢
 كلام في هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها في الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :

قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التميم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :

من شدة التلويح و « اقتياتها »

(٥) الخافي : الذي رق قدمه من كثرة السير والمو . جمعه حفاة . وفي الديوان : « من
 حقاتها » ، وهو تصحيف . وهذا البيت في الديوان متقدم على سابقه
 (٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا في مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيا » بمعنى « يسوقها » .
 وفي سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهي الأثر والعلامة .

(٨) العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف :
 المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ . وفي سائر
 النسخ : « موثقاتها » .

(٩) مشرفة الأكناف : عالية النواحي . و « مشرفة » رواية مب ، والديوان وديوان المعاني .
 وفي سائر النسخ : « مشرقة » تحريف . وفي الديوان وديوان المعاني : « الأكتاف »
 تحريف . والموفيات : المشرفات .

قُود الخراطيم مُخْرَطَاتِهَا (١) سوداً وصُفْراً وَخَلَنْجِيَّاتِهَا (٢)
 مُسَمِّيَاتٍ وَمُلَقَّبَاتِهَا (٣) حُمْراً وَبِيضاً وَمَطْوَقَاتِهَا
 مَخْتَبَرَاتٍ مِنْ سَلُوقِيَّاتِهَا كَانَ أَقْراً عَلَى لَبَّاتِهَا (٤)
 تَرَى عَلَى أَفْخَاذِهَا سِمَاتِهَا مُقَدِّيَّاتٍ وَحُمِّيَّاتِهَا (٥)
 مَفْرُوشَةَ الْأَيْدِي شَرَنْبِثَاتِهَا (٦) شَمَّ الْعَرَاقِيبِ مَوْلَفَاتِهَا (٧)
 حَيْدَ الْأَظْفِيرِ مُكْعَبَرَاتِهَا (٨) زَلَّ الْمَآخِرِ عَمَلَسَاتِهَا (٩)
 * تَسْمَعُ فِي الْأَثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا (١٠) *

١٤

- (١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « فود » محرفة ، وعلى الصواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هلال العسكري فى ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اه . يعنى للشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .
- (٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلقه غبرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .
- (٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ، وفى م : « ملقياتها » ، والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .
- (٤) وصفها ببياض النحور .
- (٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .
- (٦) مفروشة الأيدي : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .
- (٧) هذا البيت مكرر معاد ، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .
- (٨) الأcheid : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : « حد » ، والصواب ما أثبت . والبيت ليس فى ديوان أبي نواس . والمكعبرات : الشديدة .
- (٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولاوجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعاني . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملىس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :

* تعد عين الوحش من أقواتها *

- (١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها » ، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهْمِ الْحَرِصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا^(١) لَتَفْنَأُ الْأَرْنَبَ عَنْ حَيَاتِهَا^(٢)
إِنَّ حَيَاةَ الْكَلْبِ فِي وَفَاتِهَا حَتَّى تَرَى الْقِدْرَ عَلَى مَثْفَاتِهَا^(٣)
كثيرة الضيفان من عُفَاتِهَا^(٤) تَقْذِفُ جَالَاهَا بِجَوْزِي شَاتِهَا^(٥)
فقد قال كما ترى :

تَسْمَعُ فِي الْآثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا^(٦) مِنْ نَهْمِ الْحَرِصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا^(٧)
وهذا هو معناها الأول . وأما قوله :

• تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا •

فعلى قول أبي النجم :

• تَعُدُّ عَانَاتِ اللَّوِيِّ مِنْ مَالِهَا^(٨) •

وزعموا أن قوله :

[كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جَلْبَابِهِ]

(١) هذا ما في مب والديوان . وفي سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح ، الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عني به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لاتطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لا يكون إلا للأنثى (الدميري ٢ : ٣٠) . وتفناً الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنمها ، أى تقتلها . وفي الأصل : « تفناً » ، وصهابه في الديوان ، وديوان المعاني .

(٣) عني بالمشافة موضع الأثافي ، وهى الحجارة تنصب عليها للقدر . وفي الديوان : « على شفاتها » محرقة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشيء أو معظمه . وقد نطق بالمشئى وأراد الجمع عني أجوازها . انظر مع المواع ١ : ٥٠ . وفي الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام في هذا الشطر قريباً ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ما عدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى في الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبي النجم . ولم يذكر بيت أبي النجم ، فلعل ما هنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول^(١)] :

• كَطَّلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ كَسَائِهِ •

وهو كما قال الآخر :

• كَطَّلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ بُرْدِ سَمَلٍ^(٢) •

(طردية سادسة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَّلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جَلْبَابِهِ
وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ هِجْنًا بِكَلْبٍ طَالَمَا هِجْنًا بِهِ^(٣)
خَرَطَهُ الْقَائِصُ وَاغْتَدَى بِهِ^(٤) يَعِزُّهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ^(٥)
[وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِبَابِهِ]^(٦) فَانْصَاعَ لِلصَّوْتِ الَّذِي يَعْنِي بِهِ^(٧)

كَلَمَعَانَ الْبَرْقِ مِنْ سَحَابِهِ

(١) التكلة من مب ، ونحوها في الموشح ٢٨٢ وما في أخبار أبي نواس لابن منظور ٧٤ مع

التصريح بأن الشطر التالي لأبي النجم .

(٢) السمل : الخلق البالي .

(٣) في الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان في سوى هذا الشعر . وأثبت رواية

مب والديوان والراغب الأصفهاني في المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ . ولأبي

نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

• هجنا به وهاج من نشاطه •

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حمزة بن الحسن الأصبهاني

جامع ديوان أبي نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينما يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ،

وحينما يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريد هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦

ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

كأن عينيه لدى ارتياحه فصا عقيقٍ قد تقابلا به
 حتى إذا عفّره هاها به (١) بابا به يابعد ما بابا به (٢)
 ينتسف المقود من جذابه (٣) من مَرَحٍ يَغْلُو إذا اغلولى به (٤)
 وميعة تُعرف من شبابه (٥) كأن متنيه لدى انسلابه (٦)
 متنا شجاعٍ لِحٍّ في انسيابه (٧) كأنما الأظفور في قنابه (٨)

١٥

(١) عفّره : جذبه ، وهاها به : مخفف هاها به : زجره .
 (٢) بابا به : فداء تفدية وقال : بأبي أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .
 (٣) ينتسف : ينتزع . وفي س : « ينتفس » وفي ط : « ينتسس » ، وفي المحاضرات :
 « ينشف » ، وأثبت ما في م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » :
 بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هي رواية الديوان والنويرى في نهاية الأرب
 (٩ : ٢٦٢) ومحاضرات الراغب . وفي س : « جزابه » ، وفي ط : « جرابه » ،
 وفي م : « جابه » ، وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذي الرمة :
 فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما يزيدها
 وفي جمهور النسخ : « يملو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها
 مع بقية البيت . واغلولى : ارتفع . ما عدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ،
 إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير في « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية
 مب والديوان .

(٥) ميعة الشباب : أوله .
 (٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرايه » . وفي ط : وم : « اسرايه » وفي
 المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب .
 وانسلابه ، بمعنى إنسراعه في السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبي كريمة متون الكلاب
 بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران معونها إذا هي جالت في طراد الثعالب
 (٨) القناب : غطاء الظفر . وفي الأصل : « قراهه » والوجه ما أثبت من مب ، والديوان
 ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعاني (٢ : ١٣٣) .

مُوسَى صِنَاعٍ رُدَّ فِي نِصَابِهِ (١) يَثْرُدُ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ (٢)
 كَأَنَّ نَسْرًا مَاتُوا كَلْنَا بِهِ (٣) يَعْفُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ
 إِلَّا الَّذِي أَثَرَ مِنْ هُدَايِهِ (٤) تَرَى سَوَامَ الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِهِ (٥)
 * يَرُحْنَ أَسْرَى ظْفَرِهِ وَنَابِهِ (٦) *

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس في قوله يصف الكلب :

* كأنما الأظفور في قنابه *

* موسى صناع رد في نصابه *

لأنه ظن أن مخلب الكلب كخلب الأسد والسنور الذي ينستر إذا أرادا حتى لا يتبيننا ،
 وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفتقرسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير
 منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهي في جمهور النسخ : « يثرط » وفي مبالديوان :
 « يترك » . وفي الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . . ولأبي
 نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :

* يقشر جلد الأرض من بلاطه *

والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد في السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذي اعتمدنا عليه في صيدنا نسر من النسور .
 والنسر أشد الطيور طيراناً وأقواها جناحاً . وفي الأصل : « كأن نسرانا » وفي مبال ،
 والديوان : « نشوانا » ، والأول تجريف ، والثاني لا يصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه
 شارح ديوان أبي نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :

* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *

وقال :

* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هدايا
 الثوب ، فإن الهواء المنذفع خلفه يسوى الأرض التي مزقتها ولا يمجز إلا عن القليل .
 و « أثر » هو ماقى مبال ، م ، وفي ط : « أثر » وهو تصحيف ، وفي س والديوان :
 « آثر » ، ولم أجده وجهاً .

(٥) سوام الوحش : مايرعى في الفلوات . ويحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت
 هو رواية الديوان . وفي الأصل : « يرى سوام الوحش . . . الخ » . ورواية
 النويرى في نهاية الأرب :

* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس في الديوان ، وهو الذي قبله ساقطان من مبال . وهو في الأصل محرف هكذا :

* وعين أسد ظفره ونابيه *

والصواب ما أثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبي نواس لثعلبِ أفلت منه مراراً)

وقال في ثعلب [كان قد ^(١)] أفلتَ منه مراراً :

قد طالمًا أفلتَ يا ثعلالاً ^(٢) وطالمًا وطالمًا وطالاً
جُلتَ بكلمبي يومك الأجوالاً ^(٣) ما طلتَ من لايسأم المطالاً ^(٤)
[حتّى إذا اليومُ حداً الآصلاً ^(٥) أتاك حينُ يقدمُ الآجالاً ^(٦)]

(طردية سابعة لأبي نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سبَّسب ^(٧) بعيدِ بينِ السمكِ والمطنبِ ^(٨)
لِفْتِيَةِ قد بَكَّرُوا بأكلبٍ ^(٩) قد أدبوها أحسنَ التأدبِ

-
- (١) التكلة من مب .
(٢) ثعلالاً : ترخيم ثعلالة ، والألف للإطلاق . وثعلالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد . وهى فى ط ، م : « ثعلالاً » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .
(٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .
(٤) المطال هنا : معنى المراوغة .
(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد للمصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .
(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .
(٧) السبب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبب » ، والوجه مأثبت من مب ، والديوان .
(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمين : جبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .
(٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كُلِّ أَدْفَى مَيْسَانَ الْمُنْكَبِ (١) يَشْبُ فِي الْقَوْدِ شَبَابَ الْمُقْرَبِ (٢)
يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بِجِدِّ الْمِخْلَبِ (٣) فَأَتَنِي وَشَيْقَةَ مِنْ أَرْنَبِ (٤)

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : مموعة المنقار، فالمراد به أنه مموع الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صسفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد في النوادر ٥١) :

قد أعتدى قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس
بأحجن الخطم كى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

ورواية العسكري فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخدى » ، وهى تصحيف « أخذى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبختر . قال العسكري :
أى من صعة جلده يمس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستبان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشوب بالضم ، وجاءت الرواية بالأخير فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السرق - وهى فى جمهور النسخ : « النور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى . والمقرب : الكريم من الخيل، يشد لكرمه بقرب البيوت . وهو فيما عدا مب : « المرعب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجمين السابقين .

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فا ينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماعداء مب : « فأتنى » ، والوجه ما أثبت من مب ، والديوان . والشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى إغلافة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبق قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجلدة مسلوبة^(١) من ثعلب^(٢) مقلوبة الفروة أو لم تقلب^(٣)
وعير عانات^(٤) وأم التولب^(٥) ومرجل^(٦) يهدر هذر المصعب^(٧)

[يقذف جالاه^(٨) بجوز القرهب^(٩)]

(صفة ما يستدل به على فراهية الكلاب وشياتها وسياستها)

قال بعض من خبر ذلك^(١٠) : إن طول ما بين يدي الكلب ورجليه -
بعد أن يكون قصير الظهر - من علامة السرعة .

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو في سائر النسخ .

(٢) في الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤيدان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن
رواية الجاحظ .

(٣) المير : الحمار الوحشي . والعانات : جماعات الحمر الوحشية . وفي الأصل : « وجحش
عانات » ، والجحش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول
عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذي يوردها ويصدرها وتنفض بنهوضه
ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ في رؤساء الحيوان .
وقد جاءت الرواية على الصواب الذي أثبتته في ديوان أبي نواس . و « أم التولب »
هي الأتان : أنثى الحمار الوحشي ، والتولب ولدها . وفي الأصل : « لام
التولب » ، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه .
والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكلة من مب ، وليست في الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط .
والقرهب من البيران : الكبير الضخم .

(٦) مب : « غير » ، وفي سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأن يكونَ صَغِيرَ الرَّأْسِ ، طَوِيلَ العُنُقِ غَلِيظَهَا (١) ،
وَأَن يُشْبِهَ بَعْضُ خَلْقِهِ بَعْضًا ، وَأَن يَكُونَ أَغْضَفَ [الأذنين] (٢) مُفْرِطَ
الغَضَفِ ، وَيَكُونَ بَعِيدَ مَا بَيْنَهُمَا (٣) ، وَيَكُونَ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ ، طَوِيلَ
المُقْلَتَيْنِ (٤) ، نَاتِيءَ الحَدَقَةِ (٥) ، طَوِيلَ الخَطْمِ (٦) ، وَاسِعَ الشَّدَقَيْنِ ، نَاتِيءَ
الجَبْهَةِ عَرِيضَهَا ، وَأَن يَكُونَ الشَّعْرُ الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ كَأَنَّهُ طَاقَةٌ (٧) وَيَكُونَ
غَلِيظًا ، وَكَذَلِكَ شَعْرُ خَدَّيْهِ ، وَيَكُونَ قَصِيرَ اليَدَيْنِ ، طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ
إِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَسْرَعَ فِي الصَّعُودِ بِمَنْزِلَةِ الأَرْنَبِ . ١٦

قالوا : وَلَا يَكَادُ يَلْحَقُ الأَرْنَبَ فِي الصَّعُودِ ، إِلَّا كُلُّ كَلْبٍ قَصِيرِ
اليَدَيْنِ ، طَوِيلِ الرَّجْلَيْنِ .

وَيَنْبَغِي أَن يَكُونَ طَوِيلَ الصَّدْرِ غَلِيظًا ، وَيَكُونَ مَا يَلِي الأَرْضَ مِنْ
صَدْرِهِ عَرِيضًا ، وَأَن يَكُونَ غَلِيظَ العَضُدَيْنِ ، مُسْتَقِيمَ اليَدَيْنِ ، مَضْمُومَ
الأَصَابِعِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، إِذَا (٨) مَشَى أَوْ عَدَا ، وَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا يَصِيرَ
بَيْنَهَا مِنَ الطَّيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَفْسُدُهَا (٩) ، وَيَكُونَ ذِكِيَّ الفَوَادِ نَشِيظًا ؛
وَيَكُونَ عَرِيضَ الظَّهْرِ ، عَرِيضَ مَا بَيْنَ مَفَاصِلِ عِظَامِهِ ، عَرِيضَ مَا بَيْنَ

(١) فِي الأَصْلِ : « غَلِيظَهُمَا » وَصَوَابُهُ مِنْ عِيُونِ الأَخْبَارِ (٢ : ٨٠) .

(٢) كَلِمَةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا السِّكْرَامُ . وَالأَغْضَفُ : المُسْتَرَخِي الأُذُنِ .

(٣) وَذَلِكَ بِأَن يَكُونَ عَرِيضَ الجَبْهَةِ . وَانظُرْ نِهَآيَةَ الأَرَبِ (٩ : ٢٦٠) .

(٤) المَقْلَةُ : شَحْمَةُ العَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ البِيضَ وَالسَّوَادَ .

(٥) الحَدَقَةُ : سَوَادُ العَيْنِ .

(٦) الخَطْمُ : مَقْدَمُ الفَمِ وَالأَنْفِ .

(٧) الطَّاقَةُ : الحِزْمَةُ مِنَ الرِّيحَانِ وَنَحْوِهِ . وَفِي عِيُونِ الأَخْبَارِ : « وَأَن يَكُونَ الشَّعْرُ

الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ طَاقَةٌ » .

(٨) فِي الأَصْلِ : « وَإِذَا » .

(٩) فِي ط : « أَوْ هَوَى جَدْرَانَا لَا يَصِيرُ » الخ ، وَالصَّوَابُ فِي س ، م .

عَظْمَى أَصْلِ الْفَخْذَيْنِ الَّذِينَ يَصِيبَانِ أَصْلَ الذَّنْبِ ، وَطَوِيلَ الْفَخْذَيْنِ
غَلِيظَهُمَا شَدِيدَ لَحْمِهِمَا ، وَيَكُونُ رَزِينَ الْمُحْزِمِ^(١) ، رَقِيقَ الْوَسْطِ
طَوِيلَ الْجِلْدَةِ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الْفَخْذَيْنِ وَالصَّدْرِ ، وَمُسْتَقِيمَ الرَّجْلَيْنِ ،
وَيَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ انْحِنَاءٌ^(٢) وَيَصِيرُ قَصِيرَ السَّاقَيْنِ دَقِيقَهُمَا ، كَأَنَّهُمَا خَشْبَةٌ
مِنْ صَلَابَتِهِمَا .

وَلَيْسَ يُكْرَهُ أَنْ تَكُونَ الْإِنَاثُ طَوَالَ الْأَذْنَابِ . وَيَكْرَهُ ذَلِكَ لِلذَّكَورِ .
وَلَيْنُ شَعْرُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ .

وَقَدْ يَرُغَبُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، مِنْ لَيْنِ
الرَّيْشِ الْمَذَوَاتِ الرَّيْشِ .

وَلَيْنُ الشَّعْرِ لَذَوَاتِ الشَّعْرِ مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ عِلَامَةٌ صَالِحَةٌ .

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْكَلْبُ شَدِيدَ الْمَنَازَعَةِ لِلْمَقْوَدِ وَالسَّلْسِلَةِ ،
وَأَنْ يَكُونَ الْعَظْمُ الَّذِي يَلِي الْجَنْبَيْنِ مِنْ عِظَامِ الْجَنْبَيْنِ صَغِيرًا فِي قَدْرِ
ثَلَاثِ أَصَابِعٍ .

وَزَعِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ السُّودَ مِنْهَا أَقْدَمُهَا صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ وَالْحَرِّ ، وَإِنَّ
الْبَيْضَ أَفْرَهُ إِذَا كُنَّ سُودَ الْعَيُونِ .

قَالَ : وَمِنْ عِلَامَةِ الْفَرَسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى سَاقِيهِ

(١) الْمُحْزِمُ : مَوْضِعُ الْخِزَامِ مِنَ الدَّابَّةِ . وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْمَحْمَلُ » وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ .
وَالرَّزِينُ : الثَّقِيلُ .

وَعَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ قَدْ جَعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَيْضًا مِنْ نَعْتِ الْفَرَسِ الْجَيِّدِ ، قَالَ فِي مَعْلَقَتِهِ :

وَحَشِيئِي سَرَجٌ عَلَى عَيْلِ الشَّوِيِّ نَهْدٌ مَرَاكِلُهُ نَبِيلُ الْمُحْزِمِ

(٢) فِي ط ، م : « وَلَا يَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ إِغْنَاءٌ » ، وَفِي س : « وَلَا يَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ

انْحِنَاءٌ » ، وَأَصْلَحَتِ الْعِبَارَةُ بِمَا تَرَى مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨١) .

أو على إحداهما^(١) أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغي أن يُقَطَّع من السَّاقين ،
لئلا يَمْنَعَهُ^(٢) من العدو .

(خَيْرُ غِذَاءٍ لِلْكَلابِ)

وذكر أن خير الأشياء التي تُطْعَمُهَا الكلب^(٣) الخبزُ الذي قد يَبْسِرُ ،
ويكونُ الماءُ الذي يُسْقَاهُ يُصَبُّ عليه شيءٌ من زيت ، فإنَّ ذلكَ كَالْقَتِّ^(٤)
المحض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُّه .

(خَيْرُ طَعَامٍ لِإِسْمَانَ الْكَلابِ)

وقال : خير الطعام في إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ
بشرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمْنُ إذا طَعِمَ منه قدرُ
ثلاثِ سُكَّرَجَاتٍ^(٥) مرتين أو ثلاثَ مرَّاتٍ فإنَّ ذلكَ مما يسمُّنه ، ويقالُ إنَّهُ

-
- (١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .
(٢) في ط : « ما يمنعه » وفي س ، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذي
يقطع من الساقين هو المخلب .
(٣) في الأصل : « تطعمه الكلاب » .
(٤) في اللسان والقاموس : « القت الفصفصة » . وقد رجعت في تفسير « الفصفصة »
إلى تذكرة داود الطيب فوجدته يقول : إنها تعرف في مصر بالبرسيم ا هـ . وفي ط :
« كالقت » وهو تحريف صوابه في س .
(٥) قال الخفاجي في شفاء القليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء
المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل »
وفي اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ،
وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافي (في مبادئ
اللغة ٥٧) اسما عربيا هو « المصبغة » التي يجعل فيها الصبغ بالكسر ،
أي الإدام .

يُعِيدَ أَهْرَمَ شَابًّا ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ فِي الصَّيْدِ وَفِي الْمَنْظَرِ . وَالْعِظْمُ وَالْأَثْرِيدُ
مِنْ أَرْدَا مَا تَأْكُلُهُ لِلْعَدُوِّ .

(من علاج الكلب)

وَمَّا يَكُونُ غِذَاءً وَمِنْ خَيْرِ شَيْءٍ يُدَاوَى بِهِ الْكَلْبُ مِنْ وَجَعِ الْبَطْنِ
وَالدِّيدَانِ ، أَنْ يُطْعَمَ قِطْعَةً أَلْيَةً وَصُوفَ شَاةٍ مَعْجُونًا بِسَمَنِ الْبَقْرِ ، فَإِنَّهُ ١٧
يُلْقِي كُلَّ دُوْدٍ وَقَدَرٍ فِي بَطْنِهِ .

وَخَيْرُ مَا يَعَالَجُ بِهِ الْحَفَا^(١) أَنْ يُذَهَنَ أَسْتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَيُجَمَّ فِيهَا
وَلَا يَسْتَعْمَلُ ؛ أَوْ يَمْسَحَ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ الْقَطِرَانَ .

وَذُكِرَ عَنْ خَزِيمَةَ بْنِ طَرْخَانَ الْأَسَدِيِّ ، مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ^(٢) ، أَنَّهُ
قَالَ : لَيْسَ مِنْ عِلَاجِ الْكَلْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُتَحَقَّنَ .

(كدى ، وأكدى ، والكُدِيَّة)

وَقَالَ : يُقَالُ كَدَى الْجُرُؤُ يَكْدَى كَدَى^(٣) وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْجِرَاءَ
خَاصَّةً ، يَصِيبُهَا مِنْهُ قَيْءٌ وَسَعَالٌ ، حَتَّى تَكْوَى بَيْنَ عَيْنَيْهَا^(٤) . وَيُقَالُ أَكْدَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَفَا » ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٤ : ٨١) : « وَإِذَا حُقِي دَهْنَتِ اسْتِهِ »
وَالْحَفَا : رِقَّةُ الْقَدَمِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « هَمْدَانُ » ، وَهَمْدَانُ : قَبِيلَةٌ يَمِينِيَّةٌ . وَإِنَّمَا هُوَ « هَمْدَانُ » بِلَدِّ بَدِيْعِ الزَّمَانِ .

(٣) ط : « كَدَاءٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ سِ وَالْمَخْصَصِ ٨ : ٨٢ .

(٤) مَب : « يَكْوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

الرجل إكداء : إذا لم يظفر بحاجته . والكُدَيْة من الأرض : ارتفاعٌ
في صلابة . ويقال في الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان في أجوافها دُود ، أكلت
سنبلاً القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأى حشيشة^(١) تعرفها بعينها ، فتأكل
منها فتبرأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أنَّ العقابَ تأكلُ الحياتِ ، وأنَّ بينهما عداوةٌ ؛
لأنَّ الحيةَ أيضاً تطلبُ بيضها وفراخها .

قال : والغداف يقاتل البومة ، لأنَّ الغدافَ يَخْطِفُ بيضَ البومة^(٢)
نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليَّةٌ
بالأرديَّة النظر^(٣) ، وإذا كان اللَّيْلُ لم يَقْوِ عليها شيءٌ من الطير .
والطير كلُّها تعرفُ البومةَ بذلك وصنيعها [بالليل^(٤)] ، فهي تطير حولَ
البومة^(٥) وتضربُها وتنتفِ ريشها . ومن أجل ذلك صارَ الصيَّادون
ينصبونها للطير^(٦) .

والغداف يقاتل ابنَ عرسٍ ؛ لأنه يأكل بيضه وفراخه^(٧) .

(١) هذا ما في مب . وفي سائر النسخ : « أن الكلاب تأتى حشيشة » .

(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .

(٣) في مب : « البصر » .

(٤) ط : « وضيمها فإذا رأيتها » وتصحيحه من س ، ومب .

(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه في س ، ومب .

(٦) مب : « ولحرسها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .

(٧) هذا الصواب من مب . وفي سائر النسخ : « ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَاة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدَاةَ تَخْطِفُ بيضَ الغُدافِ ؛
لأنَّها أشدُّ مَخَالِبَ وأسرعُ طيراناً .

وبين الأَطْرُغَلَّةِ (١) والشَّقْرَاقِ (٢) قتالٌ ؛ لأنه يقتل الأَطْرُغَلَّةَ (١)
ويُطالِبها (٣) .

وبين العنكبوت والعَظَايَةِ (٤) عداوة ، والعَظَايَةِ تأكل العنكبوت .
وعصفور الشوك يعبثُ بالحمار ، وعبثه ذلك قتال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مرَّ
بالشوك وكانت به دَبْرَةٌ (٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متى نَهَقَ الحمار سقطَ
بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلت (٦)] فراخه تخرج من عشها . ولهذا العِلَّةُ
يَطِيرُ العصفورُ وراءَ الحمارِ وينقُرُ رأسه .

والذئبُ مخالفٌ للثور والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنه يأكل اللحم النِّيءَ (٧)
ولذلك يقع على البقر والحَمِيرِ والثعلبِ .

(١) الأَطْرُغَلَّةُ : اسم يقع على الدبسية، والقمرية ، والفاخنة المطوقة . انظر القاموس
(الأَطْرُغَلَات) و (صلال) .

(٢) الشَّقْرَاقُ بفتح الشين وكسرهما : طائرٌ صغير يسمى الأخييل ، وهو أخضر ملبح
يقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفي أجنحته سواد ، والعرب تتشاهم به .
وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفي طبعه العفة عن السَّفَادِ ، وهو كثير
الاستغاثة ، إذا ضاربه طائرٌ ضربه وصاح كأنه المضروب . الديمري .

(٣) في الأصل : « يطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا ، تشبه سام أبرص ، إلا أنها
أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض . الديمري .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دَبْرٌ وأدبار ، مثل شجرة وشجر
وأشجار . وهي في ط : « بدرة » ، وصوابها في س . وانظر نهاية الأرب

١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) في الأصل : « النوء » ، وإنما هو « النوء » .

وبين الثعالب والزُّرَق^(١) خلافٌ لهذه العلة ؛ لأنهما جميعاً
يأكلان اللحم .

والغراب يُخالف الثورَ ؛ ويُخالف الحمارَ جميعاً ، ويطير حولها ، وربما
نقرَ عيونهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابِ عَدَاوَةِ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ
وَلَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ قَوْلِ صَاحِبِ الْمَنْطِقِ ؛ لِأَنَّ الثَّعْلَبَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَادِيَ مِنْ
بَيْنِ أَحْرَارِ الطَّيْرِ وَجَوَارِحِهَا الزُّرُقَ وَحَدَهُ ، وَغَيْرُ الزُّرُقِ آكِلُ اللَّحْمِ . وَإِنْ
كَانَ سَبَبُ عِدَاوَتِهِ لَهُ اجْتِمَاعُهُمَا عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ ، فَلْيُبْغِضِ الْعُقَابَ مِنْ
الطَّيْرِ ، وَالذُّئْبَ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ؛ فَإِنَّهَا آكِلُ اللَّحْمِ . وَالشَّعْلَبُ إِلَى أَنْ
يَحْسُدَ مَا هُوَ [كَذَلِكَ] أَقْرَبُ ، وَأَوْلَى فِي الْقِيَاسِ^(٢) ، فَلَوْ زَعِمَ أَنَّهُ يَعْمُ أكلةَ
اللَّحْمِ بِالْعِدَاوَةِ ، حَتَّى يُعْطَى الزُّرُقَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيْبِهِ ، كَانَ ذَلِكَ أَجْوَزَ^(٣) .
وَلَعَلَّ الْمُرْجِمَ قَدْ أَسَاءَ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهُ .

قال : والحية تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتل ابنَ عرسٍ ، ولأنما تقاتلُ
ابنَ عرسٍ إذ كان مأواهما في بيتٍ واحدٍ ، [وتقاتلُ الخنزيرُ]^(٤) لأنَّ
الخنزيرَ يأكلُ الحياتِ . ويزعمون أنَّ أذى يأكلُ الحياتِ القنافذُ ،
والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعقبانُ .

قال : فالحية تعرف هذا من الخنزيرِ ، فهي تُطالبه .

(١) الزرقة ، كسكر : طائر يصاد به ، بين البازي والباشق .

(٢) في الأصل : « والشعلب إلى أن يحسد ما هو أقرب وذلك أولى في القياس » ، وقد
عدلت القول وأكلمته بما ترى .

(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب في س .

(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للشَّعْبِ ، والشَّعْبُ مصادقٌ للحَيَّةِ (١) ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين للفَيْلَةِ اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإنائها ، وهي تستعمل الأنيابَ إذا قاتل بعضها بعضاً ، وتعتمد بها على الحيطان فتهدمها ، وتزحمُ النَّخْلَةَ بجنبها فتصرعُها .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعُب من ذكورتها شيء احتالوا له حتى يكومَه (٢) [ذكرٌ] آخر ، فإذا كامَه خضع أبداً . وإذا اشتدَّ خلُّقه وصعُب عصبوا رجليه فسكن . ويقال إنَّ البعيرَ إذا صعُب وخافَه القوم ، استعانوا عليه فأبركوه (٣) وعقلوه حتى يكومَه فحل آخر ، فإذا فعلَ ذلك به ذلَّ !

(الفيل والسنور)

وأما أصحابنا فحكوا وجوهَ العداوةِ التي بين الفيل والسنور - وهذا أعجب - وذهبوا إلى فزع الفيل من السنور ، ولم يروه يفزع مما هو أشدُّ وأضخم . وهذا البابُ على خلاف الأول ؛ كأنَّ أكثرَ ذلك الباب بُني على عداوة الأَكْفَاء .

(١) ما عدا مب : « الشعب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يمثل به اعتلاء ذكورة الحيوان لإنائها . والتكملة بعده من مب .

(٣) في الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاة من الذئب أشدُّ فرَاقاً منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أن
الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يَعْتَرِيهِ مِنَ الشَّاهِينِ ما لا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْعُقَابِ
والبازى والصقر .

(أعداء الفأرة)

وكذلك الفأرة من السنور ، وقد يأكلها ابنُ عَرَسٍ . وأكثر ذلك
[أن ^(١)] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السنورِ أشدُّ فرَاقاً .

(الثعلب والدجاج)

والدَّجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبَةً شديدة ،
ولو أن دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصانِ شجرةٍ شاهقة ، ثمَّ مرَّ
تحتها كلُّ صِنْفٍ ممَّا يأكلها ، فإنَّها تَكُونُ مَسْتَمْسِكَةً بِهَا مَعْتَصِمَةً بِالْأَغْصَانِ
التي [هى] عليها: فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهُنَّ أَلْفٌ ، لم تَبْثِقَ واحِدةٌ مِنْهُنَّ
إلا رَمَتْ بِنَفْسِها إِلَيْهِ ^(٢) .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسياتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(ما يأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لا يأكل الحار ، والسِّنور لا يذوق الحموضة ، ويجزَع من الطَّعام الحار . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رَجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلِّ ما أشبه فيه الكلبُ الأسودَ والإنسان ؛ وبشيءٍ من صفات العظال^(١) .

قال صاحب المنطق (في كتابه الذي يقال له الحيوان ، في موضعٍ ذَكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأسدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثارِ مخالبه في أقدارِ شرطِ الحجَّامِ أو أزيدَ قليلاً ، إلاَّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرزاً ، كأنَّ الجلدَ ينضمُّ على سمِ مخالبه^(٢) ، فيأكل ما هنالك . فأما عضتهُ فإنَّ دوائها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : ومما أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . ومما أشبه فيه الكلبُ الأسدَ النَّهْمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويمضغُ مضغاً متداركاً ، ويتلعَّ البَضْعُ الكبار^(٣) ، من حاقِّ الرغبة^(٤) ومن الحرص ،

(١) العظال : الملازمة في السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضممة بالفتح وقد تكسر ، وهي القطعة من اللحم .

(٤) حاقِّ الرغبة : شدتها وصدقها . وفي ط : « خاق » ، وصوابها في س .

وكالذي يخاف الفوت . ولما نازع السنور من شبهه^(١) صار^(٢) ألقيت له
قطعة لحم فإما أن يحملها أو يأكلها حيث لآراه ؛ وإما أن يأكلها وهو
يكثر التلفت ، وإن لم يكن بحضرة سنور ينازعه . والكاب يعض على
العظم ليرضه ، فإن مانعه شيء وكان مما يُسيغه ، ابتلعه وهو واثق بأنه
يستمره ويُسيغه .

والنهم يعرض للحيات ، والحية لاتمضغ ، وإنما تبتلع ذوات
الرأسات^(٣) ، وهي غير ذوات الأنياب ، فإنها تمضغ المضغة والمضغتين^(٤)
وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أنت عوداً شاخصاً فالتوت عليه ، فحطمت العظم .
والحياة قوية جداً .

قال : والأسد وإن كان ممّا لايفارق الغياض [و]^(٣) لايفارق الماء
فإنه قليل الشرب للماء ، وليس يلتقي رجعه إلا مرة في اليوم ، وربما كان
في اليومين والثلاثة . ورجعه يابس شديد اليُبس متعلق ، شبيه برجيع
الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنهما جميعاً إذا بالاً
شغراً^(٤) .

والكلب من أسماء الأسد ، لقربة ماينه وبين الكلب .
والكلب يُشبه الخنزير ، فإن الخنزير يسمن في أسبوع ، وإن جاع
أياماً ثم شبع شبعة تبين ذلك تبيناً ظاهراً . ألا تراه ينزع إلى محاسن الحيوان ،
ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم !؟

(١) ط : « شبه » ، وأثبت ما في س . والمعنى يصح بكل منهما .
(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رموس وأرؤس .
(٣) زدتها ليستقيم الكلام .
(٤) شغرا : رفع إحدى رجله .

(عظام الكلاب)

٢٠ ويقال : ليس في الأرض فحلٌّ من جميع أجناسِ الحيوانِ لِذَكَرِهِ حَجْمٌ ظاهرٌ إلاَّ الإنسانَ والكلابَ . وليس في الأرض شيئانِ يتشابهانِ من فَرْطِ إرادةٍ كلٌّ واحدٍ منهما لطباعِ صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكرِ بعضوِ الأنثى حتَّى يصيرَ التحامُهما التحامَ الخَلقةِ والبَنيةِ ، لا كالتحامِ الملامسةِ والملازمةِ^(١) ، إلاَّ كما يُوجدُ [من^(٢)] التحامِ قضيبيِّ الكلبِ بشفر^(٣) الكلبة .

وقد يلزقُ القُرادُ ، وَيَغْمِسُ العَلسُ^(٤) مقاديمه في جوفِ اللحمِ ، حتَّى يَرَى صاحِبُ القُرادِ كأنَّه [صاحِبُ] ثُوْلُولٍ^(٥) . وما القُرادُ المضروبُ به المثلُ في الالتحامِ إلاَّ دونَ التحامِ الكليينِ . ولذلك إذا ضربوا المثلَ للمتباضيعين بالسُّيوفِ ، والمُلتَقِيَيْنِ للصِّراعِ ، فالتفَّ بعضهم ببعض ، قالوا :

(١) في الأصل : « كالاتحامِ الملامسةِ والملازمةِ » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) في الأصل : « لشفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهي في الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالساء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية . كذا قال الديرى . قلت : ولا يزال كثير من العامة بمصر في زمننا هذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بئر صغير صلب مستدير على صور شتى . وفي الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لا يصيب الناس ، وهو موكل بالإبل .

وانظر القول في ولوعها بالإبل في الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كانهم الكلاب المتعاطلة^(١) . وليس هذا النوع من السفاد إلا للكلاب .
وزعم^(٢) صاحب المنطق وغيره ، أن الذباب في ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية موسى بن عمران)

وكان إسماعيل بن غزوان^(٣) قد تعشق جارية كانت لمويس بن
عمران^(٤) ، وكانت إذا وقعت وقعة إليه لم تمكث عنده إلا بقدر ما يقع
عليها ، فإذا فرغ لبست خفها وطار ، وكان إسماعيل يشتهي المعاودة

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالي ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمي بذلك لركوب
الناس فيه بمضهم بمضاً . وقال الأصمى : ركب فيه الثلاثة والاثنتان الدابة الواحدة .
وقيل : سمي بذلك لأنه تعاضل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهاني بن قبيصة ،
ومفروفي بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) في الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا من ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » ، وكثيراً
ما يقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكاً شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ،
فن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمت بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب
الراقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بجز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ،
وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز
عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم وهذه لذتنا » . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه :
« لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف
بحسن الفهم وجودة الاستماع . (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) موسى بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو
من معاصري الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه
على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من
لا يريد أن يمس . . وكيف يجترى الفرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقص
ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخياً لم يمنع منه بهذا السلاح
ولم يجعل دونه الجسن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاه إليه
تهنياً . البخلاء ٥٨ . وفي الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « موسى »
كما في ستة مواضع من البخلاء ، وكما في القاموس . وكان موسى من المتكلمين .

وَأَنْ يُطِيلَ الْحَدِيثَ ، وَيُرِيدُ الْقَرِصَ وَالشَّمَّ وَالتَّقْبِيلَ وَالتَّجْرِيدَ ، وَيَعْلَمُ^(١) أَنَّهُ فِي الْكَوْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ أَجْدَرُ أَنْ يُنْظَرَ^(٢) ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَشْتَقِيَ . فَكَانَ رَبِّمَا ضَجِرَ وَيَذْكُرُهَا بِقَلْبِهِ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبُّ امسْخِنِي وَإِيَّاهَا كَلْبَيْنِ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ^(٣) ، حَتَّى يَشْغَلَهَا الْإِلْتِحَامُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي غَضَبِ مَوْلَاتِهَا إِنْ احْتَبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وَفِي السُّكْلَةِ أَعْجُوبَةٌ أُخْرَى : وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْفِدُهَا كَلْبٌ أَبْقَعٌ وَكَلْبٌ أَسْوَدٌ وَكَلْبٌ أَيْضٌ وَكَلْبٌ أَصْفَرٌ ، فَتَوَدَّى إِلَى كُلِّ سَافِدٍ شِكْلُهُ وَشِبْهَهُ ، فِي أَكْثَرِ مَا يَكُونُ ذَلِكَ .

(تأويل الظالع في شعر الحطيئة)

وَأَمَّا تَأْوِيلُ (الظالع) فِي قَوْلِ الْحَطِيئَةِ :

تَسَدَّيْتُهَا مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ ظَالِعٌ أَلْ كَلَابٍ وَأُخْبِي نَارَهُ كُلُّ مُوقِدٍ^(٤)

(١) قى ط ، س : « وليعلم » ، والوجه ما أثبت من م .

(٢) هو بالبناء للمجهول ، من أنظره بمعنى أمهله . وهو يعنى بذلك المطاولة .

(٣) فى الأصل : « والنهار » ، والوجه ما أثبت .

(٤) تسداها : علاها . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الحطيئة برواية السكرى ، وهو

فى أمثال الميدانى ١ : ٢٤ برواية : « ألا طرقتنا بعد . . . » . وقال الميدانى :

« يضرب مثلاً فى تأخير قضاء الحاجة » . والرواية فى اللسان (ظلع) :

« تسديتنا » بناء المخاطب ، وقال : « يخاطب خيال امرأة طرقة » .

قال الأصمعيّ : يظلع الكلبُ لبعضِ ما يعرض للكلاب ، فلا يمنعه ذلك من أن يهيجَ في زمن هيجِ الكلاب ، فإذا رأى السكبة المستحرمة^(١) لم يطمع في معاظمتها والكلابُ منتبهةٌ تنبح ، فلا يزال ينتظر^(٢) وقتَ فترةِ الكلاب ونومها ، وذلك من آخر الليل .

وقال أحيحة بن الجلاح^(٣) :

[باليتنى ليلةً إذا هجع السناس ونام الكلابُ صاحبُها]^(٤)

(طردية ثامنة لأبي نواس)

ومما قيل في الكلاب من الرجز [قول أبي نواس^(٥)] :

(١) استحرمت الكلبة : اشتهت .

(٢) في الأصل : « فلا يزال تنتظر » ! وصوابه ما أثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشيء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما في الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته اعتمادا على ما في الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة في الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل في الكلاب من الرجز » !!

(٥) زيادة يقتضها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبي نواس مرويتين في ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهاني .

- ٢١ وفيه من آلِ ذُهَلِ في الذرى
 من الرقاشيين في أعلى العُلا (١)
 يبض بهاليل كرام المُنتمى
 باتوا يسّرون إلى صُوح اللوى (٢)
 ينفون عن أعينهم طيب الكرى
 إلا غشاشاً بعد ما طال السرى (٣)
 يعدن إبلاء الفتى على الفتى (٤)
 حتى إذا ما كوكبُ الصُّبح بدأ
 مآجوا بغضفٍ كاليعاسيب خساً (٥)
 ثلاثة يقطعن حُرّان الصوى (٦)

(١) قال أبو الفرج في الأغصاني ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن هلى بن بكر بن وائل » . ويدور في الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغصاني ١٥ : ٣٤ . وقد لجج الهجاء بينه وبين أبي نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ - ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والبخلاء ١٩١ . وفي هجو أبي نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المشل فقيل « قدر الرقاشي » . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بسين رفع أبي نواس من شأن الرقاشيين في هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لا يكاد أحسد من اصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشي هذا كان من خلطائه ونداماه ، كما في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ .

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهي الأرض لاتنتبت شيئاً . واللوى : مالتوى من الرمل . وفي س ، م :

* باتوا بعيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) مآجواها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة في مثل هذا الموضع : قال في طردية له سبقت في هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال في طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال في غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يمسوب ، وهو أمير التحل ؛ وشبههن باليعاسيب في دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسه بالثلاثة في البيت بعده . وفي اللسان : وتخاسى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكيت ورؤية .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرهما : جمع حزيز ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

- رحيبة الأشداقِ غضفٍ في دَفَا^(١) تَلَوَى بأذنانِ قِلباتِ اللَّحَا^(٢)
سَمَعَمَاتِ الضُّمْرِ من طُولِ الطَّوَى^(٣) من كلِّ مَضْبُورِ القَرَا عَارَى النَّسَا^(٤)
مُحَمَّلَجِ المَتْنِينِ مَنحُوضِ الشَّوَى^(٥) شَرَنْبَثِ البُرْتَنِ خَفَاقِ الحِشَا^(٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزيز به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفي ط :
« تقلص حزان الصوى » . وقلص في جميع صورته واشتقاقاته فعل لا يتمدى ، فصوابه
ما أثبت من س ، ومب .

(١) رحيبة : واسعة ، وفي ط ، م : « وحيبة » وفي س : « رحيبة » تحريف
ما أثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهي في الأصل :
« عصف » ، صوابه في مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد
أطرافهما تتماس في انحدار قبل الجهة . وهي في الأصل : « رقا » ، وفي مب : « رفا »
ولا وجه له . ولأبي نواس في مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :

* أدنى ترى في شدته تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنانها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا ما يحيط
بمعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان
العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :
مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضم
مغرثة : مجموعة . وقال عبدة بن الطبيب كما في المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضواري أشباها مجموعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب .
والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستوطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا
هزلت الدابة ماجت فخذها فحقى ، وإذا سمت انفلقت فخذها فجرى بينهما واستبان
كأنه حية . ومثل ذلك في الأسان عن الأعمى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الفليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر
البطن .

- تخالُّ منه القصَّ من غير جنأ (١) مَسَدَّتَا صَفْوَاءَ فِي حَيْدِي صَفَا (٢)
 يَلْتَهَبُ الْغَائِطُ مِنْهُ إِنْ عَدَا (٣) يُقَادِحُ الْمَرَّوَّ وَشَدَّانَ الْحَصَا (٤)
 حَتَّى إِذَا اسْتَسَحَرَ فِي رَأْدِ الضُّحَى (٥) بِمَرَبَا أَوْفَى بِهِ عَلَى الرَّبَا (٦)
 أَرَانِبًا مِنْ دُونِهَا سِرْبًا ظَبَا (٧) نَوَاشِرًا مِنْ أَنْسٍ إِلَى خَلَا (٨)

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .
 (٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفي سائر النسخ :
 « مسنة » والوجه ما أثبت من الجمع بينهما . الصفواء : اللساء . وهى فيما عدا مب :
 « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملاسته
 بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه مسن فرسه بالصفواء ،
 إذ يقول فى معلقته :

كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

ماعداء مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سبم : ماشخص من الجبل .
 والصفاء : الحجارة اللساء .

(٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو
 تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرؤ : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرؤ : أى يجمل بعضه
 يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطير
 منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى
 إذا افترشت نخبتا أثارى بمته عجاجا وبالكدان نار الحياجب
 وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعداء مب : « استحسن » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط
 الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والرطوبة : ما ارتفع من الأرض ، جمها « ربا » . وأوفى به على الربا :
 أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :
 * مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشز من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشظا » . والوجه فيه ما كتبت .
 وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ،
 أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ،
 عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ما حسبه مأمناً له .

فَوْضَى يُدَعَّرْنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا^(١) لَعَلَّنَ وَاسْتَلْهَثْنَ مِنْ غَيْرِ ظَمًا^(٢)
 مِبَالِغَاتٍ فِي نَهِيمٍ وَصَائِي^(٣) كَأَنَّهَا أَعْيُنُهَا جَمْرُ الْغَضَى^(٤)
 ثُمَّ تَطَلَّعْنَ مَعًا كَالْبَرْقِ لَا فِي الْأَرْضِ يَهْوِينَ وَلَا لَوْحِ الْهَوَا^(٥)
 كَأَنَّهَا فِي شَرْطِهَا لَمَّا انْبَرَى^(٦) كَوَاكِبُ يُرْمَى الشَّيَاطِينَ^(٧) يَهَا

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثن : يهدمن ويفسدن .
 وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهي مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون في
 التراب ، سمي بذلك ، لأنها تفحصه أي تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ،
 قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب أسننتها وأخرجتها ، فعل الظمان ، وما بها
 من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتهما في الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفي اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والحزير ،
 والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا - أي بفتح
 الصاد وكسرها مع تشديد الياء - وتصأى أي صاح » وزاد في القاموس صئيا
 بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمل . وجمره - أي ناره - بطيئة
 الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة
 في سواد العين . أما نعتها بالحمرة ، كما في هذا البيت ، وكما في قول
 امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عفرس
 ونوار العفرس أحمر قاني . وكما في قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة :

تسير عيوننا ركبت في براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنابيب
 وقول أبي نواس أيضا :

كأنما يطرف من بين الهدب بجمرق نار بكف مختضب

فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، وإنما تلك الحمرة في بياض العين لافي سوادها
 وتزداد الحمرة وتشتد حينها يهاج الكلب ويفرى بالصيد .

(٥) في ط : « في أرض بهوي » وصوابه في س ، م ، مب . وفي اللسان : « اللوح
 بالضم : الهوا بين السماء والأرض . وقال اللحياني : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه
 الفتح غيره » . جعلها في عدوها كأنما تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هي
 تمس أديم الأرض ، ولا هي تملو في الجو ، يخيل ذلك للناظر من شدة سرعتها
 وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) في ط ، م : « من شرطها » ، صوابه في ش ، ومب .

يذمرن بالإيساد ذمراً وأياً^(١) حتى إذا ماكنَّ منهنَّ كهها^(٢)
دادتْ عليهنَّ من الموتِ رَحَى تجذبهنَّ بجديداتِ الشِّبَا^(٣)
شوامذٌ يلعطن مَعْبُوطِ الدِّمَا^(٤) بين خليع الزُّورِ مرضُوضِ الصَّلَا^(٥)
وبين مفرى النِّيَاطِ قد شَصَا^(٦) كأنه مبتهلٌ إذا دعا

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يذمرن » ، وهو تحريف .
والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفي ط : « بالإيسار » وهي على الصواب
في س ، م ، م ، م . و « ذمرا » هي في الأصل : « زمرا » وصوابه ما أثبت .
و « أيا » كلمة يزجر بها . وفي مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كهها » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر
سيبويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومخدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذناها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة
في ط برسم « نوامذ » ؛ وفي مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه في
س ، م . و « يلعطن » من اللعط وهو اللحم ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه
الكلمة ؛ إلا ما يفهم من عبارة القاموس في مادة (لعط) قال : « وكقعد : كل
مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللعط » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور
والفيروزبادي بأنه اللحم . وهي في ط ، م : « يطلعن » وفي مب : « ينطقن »
ولا وجه له ؛ والوجه ما أثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ما ارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام
الصدر حيث اجتمعت . وفي جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفي مب :
« حريق الروق » . وأبو نواس في طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب - والعجب
أصل الذنب . والصلا المذكور في البيت : مكتنفا الذنب - قال أبو نواس :
حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مفرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق
من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفي ط ، م :
« فلسطا » ، وفي س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ما أثبت من مب .

ومائلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القفا^(١) يُقْنِفِينَ بِلَا كِبَادٍ مِنْهَا وَالْكُلَى^(٢)

وَبِالْقَلْبِ وَكَرَادِيسِ الطُّلَى^(٣) .

(طردية تاسمة لأبي نواس)

وقال أيضاً :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ وَاوْعَدَلَّ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ
خَرَّطَهُ الْقَانِصُ وَاغْتَدَى بِهِ^(٤) فِي مَقْوَدٍ يَرْدَعُ مِنْ جِدَابِهِ^(٥)
يَعُزُّهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ^(٦) وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِيبَابِهِ
كَأَنَّمَا يَفْتَرُّ مِنْ أَنْيَابِهِ عَنْ مَرَهَفَاتِ السَّنِّ مِنْ حِرَابِهِ^(٧)
يَرْتَمُ أَنْفَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ^(٨) حَتَّى إِذَا أُشْرَفَ مِنْ جِدَابِهِ^(٩)

-
- (١) الفودان : جانبا الرأس . واجلوز : الطى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزاع .
و « القفا » هي فيما عدا مب : « القفا » تحريف ؛ وفي مب : « مخلوق القفا » .
- (٢) يقفين ، من قولهم : أقفاه بضم : آثره به . ش ، م : « يقمر » ، وفي ط :
« يقمر » ، صوابها في مب .
- (٣) الكردوس ، بضم الكاف والذال : كل عظيم التقيا في مفصل . وفي س ، م :
« كراديس » محرفة صوابها في ط ، مب . والطفى : جمع طلية بالضم ، وهي
العنق أو أصلها .
- (٤) خرطه : أرسله .
- (٥) جدابه : جذبه . وفي الأصل : « جدابه » ؛ والوجه ما أثبت .
- (٦) سبق شرح هذا البيت وما بعده في ص ٤٠ من هذا الجزء .
- (٧) عني بالمرهف الصيف القاطع . باعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف .
ط ، م : « من جرابه » صوابه في ش ، ومب .
- (٨) رتم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .
- (٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحداب بالكسر ، والأحداب كذلك :
جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

- بعد انحدار الطَّرْفِ وانقلابه بروضةِ القاعِ إلى أعجابه (١)
أرسله كالسَّهمِ إذْ غالى بِهِ (٢) يكادُ أن ينسلَّ من إهابه (٣)
كَلَمَعانِ البرقِ في سَحابِهِ حتَّى إذا ما كادَ أو حَدَا بِهِ (٤)
وانصتَ لِلصَّوتِ الَّذي يُدْعَى بِهِ (٥) كأنَّما أدمجَ في خِصَابِهِ (٦)
ما بين لَحْيَيْهِ إلى أَقْرَابِهِ (٧) مشهَّرَ الغُدُوَّ في إِيابِهِ (٨)

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع :
الموضع الذي يجتمع إليه الماء فيكثر نبتة . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ،
مفرده عجب بالفتح . و « بروضة » هي في ط : م : « بروضته » ،
والصواب في س ، ومب .

(٢) الرواية في الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغلا به ، وغالى به : رمى به أبعد ما يقدر عليه .
فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكري في الصناعتين : مأخوذ من قول
ذى الرمة :

لا يذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمه يكاد يفرى جلده عن لحمه

(٤) في ط : « حارابه » وفي س ، م : « حادى به » ، صوابهما في مب .

(٥) انصت للصوت : أجاهه . ماعدا مب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقراب : جمع قرب بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى
مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : « مشهتر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشره لأبى نواس)

وقال أيضاً^(١) :

مالبرقُ في ذى عارضٍ لَمَّاحٍ^(٢) ولا انقضاضُ الكوكبِ المُنصَّاحِ^(٣)
ولا انبتاتِ الدُّلوِ بالمتَّاحِ^(٤) ولا أنسيابُ الحوتِ بالمندَّاحِ^(٥)

(١) هذه الطردية مثبتة في ديوان أبي نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهي :

قد أغتدى في فلَقِ الإصباحِ
بمطعمٍ يوجز في سراحِ
مؤيدٍ بالنَّضْرِ والنَّجَّاحِ
غذته أظَّارٌ من اللِّقَّاحِ
فهو كيشٌ ذَرِبُ السَّلَّاحِ
لا يسأمُ الدَّهْرَ من الضُّبَّاحِ
منجَّذٌ يَأْشُرُ للصِّبَّاحِ

الكيش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصباح ، وهو في الأصل للشلب . والمنجد والمنجد أيضاً : المحرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يَأْشُرُ للصباح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبديل هذا الشطر مع سابقه في مبد :
• إلا انثناء الحوت بالمنداح •

- حين دنأ من راحة السَّبَّاحِ (١) أجدَّ في السَّرعةِ من سِرْبَاحِ (٢)
يَكَادُ عِنْدَ تَمَلِّ المِرَّاحِ (٣) إذا سَمَا الخَاتِلُ للأشْبَاحِ (٤)
يَطِيرُ في الجَوِّ بلا جَنَاحِ (٥) يفتَرُّ عن مِثْلِ شَبَا الرَّمَّاحِ (٦)
فكَمْ وكَمْ ذِي جُدَّةٍ لِيَبَاحِ (٧) ونَازِبِ أَعْفَرَ ذِي طِمَاحِ (٨)

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشد في فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك في س ، م والتيمورية . وفى ط : « السباح » وفى مب : « المتباح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما في الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتات الحَوَّابِ المنداحِ

حين دنأ من راحة المَتَّاحِ

والحوَّابِ المنداحِ : الدلو الواسع .

- (٢) سرباح بالكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .
(٣) « يكاد » فيما عدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقا للديوان . وانمثل ، بالتحريك : السكر ونشوته . ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالكسر : النشاط والأثر ، وهى فى الأصل : « المزراح » ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت من مب ، والديوان .
(٤) سما للصيد : خرج طالبا له يتمين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : « أرى الخاتل » وفى مب : « سنا الخايل » ، وفى الديوان : « سما الخايل » ولعل الوجه ما أثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .
(٥) الجو : الهواء . مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .
(٦) شبا الرماح : حدودها ، جمع شباة .
(٧) الجدة : الخطة السوداء فى متن الحمار . واللياح ، كسحات وكتاب : الأبيض .
(٨) النازب : عنى به الظبي ، والنزيب : صوته . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرا به بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والطماح بالكسر : الجماع .

• غَادَرَهُ مَضْرَجَ الصَّفَاحِ (١) •

٢٣ باب آخر في الكلاب وشأنه

(تفسير بعض ما قيل من الشعر في الكلاب)

قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

أَنَاسٌ إِذَا مَا أُنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلُهُ حَمَوًا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِعٍ (٢)

يقول : إِذَا تَكْفَرُوا فِي السَّلَاحِ لَمْ تَعْرِفَهُمْ كِلَابُهُمْ .

وَلَمْ يَدَّعِ جَمِيعُ أَصْحَابِ الْمَعَارِفِ إِلَّا أَنَّ الْكَلْبَ أَشَدُّ ثِبَاتًا (٣) ، وَأَصْدَقُ

حِسًّا . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْآخَرُ :

فَلَا تَرْفَعِي صَوْتًا وَكُونِي قَصِيئَةً إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَأُنْكَرَنِي كَلْبِي (٤)

يقول : إِيَّاكَ وَالصُّرَاخَ (٥) إِذَا عَايَنْتِ الْجَيْشَ .

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو علي في الأمل (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أَنَاسٌ إِذَا مَا أُنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلُهُ حَمَوًا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِعٍ

قال أبو علي : « ويروى مفضل » قال : ومضلع : شديدة ، يقال أضلعتي الأمر : إذا اشتد

على وغلبني اه . وقال في اللسان ، ولم يرو البيت : « وداعية مضلعة تثقل الأضلاع

وتكسرهما » . فيظهر أن ما هنا عن س ، م رواية ثالثة في البيت ، وفي ط :

« تطلع » وهي ظاهرة التحريف . و « مطلع » : تجعل صاحبها يطلع : أي

يمرج . وجاء في الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذي لا ينقطع ، إظهار البدع »

فقال ابن الأثير : « ولو روى بالفاء من الظلع : العرج والغمز ، لكان وجها » .

و « الشنعاء » قال أبو علي : هي الداهية المشهورة .

(٣) م ب : « ولم يدع ذكر جميع » . وحسبت أن « ثباتا » محرفة عن « إثباتا » - والإثبات بمعنى

المعرفة - ثم وجدت في القاموس واللسان : « وثابته وأثبتته » : عرفه حق المعرفة . فكلمة

« ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصيدة : البعيدة . والداعي : الذي يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعد أخرى .

ساعدا م ب : « صوت »

(٥) ساعدا م ب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرني كلبى » ، يخبر أن سلاحه تامٌ من الدرع والمغفر
والبيضة^(١) . فإذا تكفر بسلاحه أنكره كلبه فنبحه^(٢) .

وأما قوله :

إذا خرّس الفحل وسطَ الحجور^(٣) وصاح الكلابُ وعقّ الولد
فأما قوله : إذا خرّسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عاينَ الجديشَ وبوارقَ
السيوف ، لم يلتفتَ لِفَتِّ الحجورِ^(٣) .

وأما قوله : وصاح الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبحُ أربابها
كما تنبح سرعاناً لخليل إليهم^(٤) ؛ لأنها لا تعرفهم من عدوهم .

وأما قوله : وعقّ الولد ، فإنَّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل ، ونادى الرجال
يا صباحاه ! ذهلت عن ولدها ، وشغلها الرعبُ عن كلِّ شيء . فجعلَ تركها
احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهم : نزلتْ
بهم أمور لا يُنادى وأيدُها^(٥) ، وإنما استعاروا هذه الكلمة فصيروها فى هذا
الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرد بن ضرارٍ وغيره ، فقال :

(١) المغفر، كنبه وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويفطى العنق ، وقيل حلق
يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدي للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته ، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة
والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال ابو عبيد : معناه أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول
والكبار . وقال الكلبي : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت
أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شيء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ،
لكثرة عندهم . الميداني (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العميثل : الصبيان إذا
رأوا شيئاً عجيباً تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون
يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ - ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِنْ شَمِّ الرِّجَالِ بِتَوْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مَنِ لَا يُنَادِي وَلِيَدُهَا^(١)
وقال الآخر :

ظَهَرْتُ عَلَى الْأَحْرَارِ مِنْ بَعْدِ ذَلَّةٍ وَشِقْوَةِ عَيْشٍ لَا يُنَادِي وَلِيَدُهَا^(٢)
والذي يُخْرِسُهُ إِفْرَاطُ الْبَرْدِ ، وَالْجَاحُ الْمَطْرُ ، كَمَا قَالَ الْهَذَلِيُّ^(٣) :

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرْتِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا^(٤)
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الصَّقِيعِ ، وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا
وقال ابن هرمة :

وَاسْأَلِ الْجَارَ وَالْمَعْصَبَ وَالْأَضْيَا فِ وَهَنًا إِذَا نَحِيَّوَا لَدِيًّا^(٥)
كَيْفَ يَلْقَوْنَنِي إِذَا نَبَحَ الْكَلْبُ بٌ وَرَاءَ الْكُسُورِ نَبْحًا خَفِيًّا
وقال آخر :

إِذَا عَمِيَ الْكَلْبُ فِي دِيْمَةٍ وَأُخْرِسَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ صِرٍّ^(٦)
يقول : الْكَلْبُ وَإِنْ أُخْرِسَهُ الْبَرْدُ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْمَطْرِ وَالرِّيحِ الَّتِي
تَمْرُ^(٧) بِالصَّحَارَى الْمَطِيْرَةَ فَتَبْرُدُ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ وَإِنْ نَالَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
خِصْبٍ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِرٍّ^(٨) .

(١) مثل هذه الرواية في اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت في الميداني (٢ : ٣١٣)
غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغواني بتوبة إلى الله منى لاينادي وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ما أنشده الميداني (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لاينادي وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذي الكلب . ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق في ١ : ٣٨٨ .

(٤) يقال دعا انقري : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم في دعوته .

(٥) سبق الكلام في هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت في الأصل مقحم ظلماً .

بين بيتي « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » في أول هذه

الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعي ، والكلام الآتي خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ما أثبت من س .

(٨) قد يرى القارى تناقضاً في هذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى
من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألحت عليه السحاب بالأمطار في أيام الشتاء لقي جنة^(١)
فتى أبصر غيماً نبحه ؛ لأنه قد عرف ما يلقى من مثله . وفي المثل : « لا يضرُّ
السحابُ نباحُ الكلاب^(٢) » ، فقال الشاعر :

ومالاً لا أغزو وللدهر كربة وقد نبحت نحو السماء كلابها

يقول : قد كنت أدعُ الغزو مخافة العطش على الخيل والأنفس ، فما
عذري اليوم والغدران كثيرة ، ومناقع المياه موفورة^(٣) .

والكلابُ لا تنبح السحاب إلا من إلحاح المطر وترادفه .

وقال الأفوه الأودي ، في نبح الكلاب السحاب ، وذلك من
وصف الغيم :

له هيدبٌ دانٍ ورعدٌ ورجةٌ وبرقٌ تراهُ ساطعاً يتلجج^(٤)
فباتت كلاب الحى ينبخن مرنه وأضحت بنات الماء فيها تعمج^(٥)

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل :
الكلب إذا ألحت عليه السحاب . . . الخ .

(٢) المثل عند الميداني (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره » .

(٣) في الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح في الماء أو تتثنى . وهذا ما في س . وفي ط : « تعمج » أي

تلكرى وتتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى

« بنات الماء » وهو عجيب الحلقة - زعموا - وليس يريد الشاعر الظر الدميرى .

(قول أبي حية النيرى في الكلب)

وقال أبو خالد النيرى : وذكروا^(١) فرعون ذا الأوتاد عند أبي حية النيرى ، فقال أبو حية : الكلبُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ الكلبَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

ومالَى لا أغزو وللدهرِ كَرَّةٌ وقد نبحت نحوَ السماءِ كلابُها
وقال الفرزدق :

فإنَّك إن تهجو حنيفةً سادراً وقبلك قد فاتوا يدَ المتناولِ^(٢)

كفِرَعَوْنَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ فرُدَّ عليه السهمُ أوفوقَ ناصِلِي^(٣)

فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبح السحابَ من جودَة فِطنته .

٢٥

(تعصّب فهد الأحزم للكلب)

وزعم فهدُ الأحزم^(٤) أنَّ الكلبَ إنما عرّف مخرَج ذلك الشيء المؤذى له حتّى نبحه بالقياس ، لأنّه إنما نبّحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد^(٥) يتعصّب للكلب ، فقالت له : وكذلك الحمار

(١) في الأصل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .

(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناصل » صوابها من التنبيه على الحماسة

لابن جنى (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسي : « كساق الجرادة أو أمشى »

وللسهم الأوفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذي

خرج سهمه . قال ابن جنى : « أى أوفوق ناصليا » .

(٤) هذا ما في س . وفي م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفي ط : « فهذا

جزم » وهو تحريف ظاهر .

(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف ما في س و م .

إذا رفعت عليه السّوط مرّاً من تحتك مرّاً حثيثاً . فالقياس علّمه^(١) أن السّوط
متى رُفِعَ حُطّاً ، ومتى حُطَّ أصابه ، ومتى أصابه ألم . فما فضل الكلب
في هذا الموضوع على الحمار ، والحمار هو الموصوف بالجهل ؟ !

(مما قيل في نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَحَ الكلبُ السحابَ ودُونَهَا مَهَامِهِ تَعْشِي نَظْرَةَ المتأملِ
وقال الآخر :

مَالِكٌ لَا تَنْبِحُ يَا كَلْبُ الدَّوْمِ قَدْ كُنْتَ نَبَّاحًا فَمَا بَالُ اليَوْمِ
قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عيراً له تقدّم ، فكان إذا جاءت العيرُ
نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالمتمنى وكالمنتظر المستبطن : مالك
لا تنبح ؟ أي ماللعير لا تأنى .

(فراصة إياس بن معاوية في الكلاب)

وقال : خرج^(٢) إياس بن معاوية ، فسمع نباح كلب فقال : هذا كلبٌ
مشدود . ثم سمع نباحه فقال : قد أرسل . فأنتهوا إلى الماء فسألوهم فكان كما
قال . فقال له غيلان أبو مروان^(٣) : كيف علمت أنه موثق وأنه أُطلق ؟ قال :

(١) في الأصل : « علم »

(٢) في الأصل : « حج » .

(٣) قال ابن النديم في شأنه : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجئة .
ولرسائله مجموع نحو ألني ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده
أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده في الكتاب المترسلين بعد
عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ في البيان بابن المقفع وسهل بن هارون
وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع
دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجاً من رائع
كلامه في عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته في المعارف ٢١٢ وآراءه
في « الفرق بين الفرق » .

كان نباحه وهو موثق يُسَمَعُ من مكانٍ واحد ، فلما أُطلق سمعته يقرب
مرةً ويبعد مرةً ، ويتصرفُ في ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بن معاوية ذات ليلةٍ بماء ، فقال : أسمعُ صوتَ
كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخضوعِ صوتهِ وشِدَّةِ
نُباحِ الآخر . فسألوا فإذا هو غريبٌ مربوطٌ والكلابُ تنبَّحه .

(استطراد لغويّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبلق ، وفرس أبلق ، وكبش أملح^(١) ،
وتيسٌ أبرق ، وثور أشيه^(٢) .

ويقال كلب وكلاب وكليب ، ومَعَز وماعِز ومَعِيز . وقال لييد :

فِينَنَا حَيْثُ أَمْسَيْنَا قَرِيبًا عَلَى جَسَدَاءَ تَنْبَحُنَا الْكَلِيبُ^(٣) ٢٦

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفي س : « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء
في فقه اللغة ص ٥٧ ما يأتي : « فصل في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان
فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، آبنوس
ملح ، سحاب أعر ، أفصان أرقش ، دجاجة رقطاء » .

(٢) لا تجد هذه الكلمة في مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هي من مادة
« وشى » . قال في اللسان : « والشية سواد في بياض أو بياض في سواد ،
الجودرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من
الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالزنة والوزن ، والجمع شيات .
ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرا » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفي القاموس :
« جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع يبطن جلذان ،
وجلذان : موضع قرب الطائف . وفي الأصل : « جسدان » وهو تحريف صوابه
في الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هي في الأصل : « تنبنا »
وصوابها في المصدرين السابقين . وروايتها في معجم البلدان و اللسان (ثاد ، فرم)
« الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو ماق الديوان ٢٤٩ و نوادر أبي زيد ص ٦٨ .
وبعد في النوادر والديوان :

وقال علقمة بن عبدة^(١) :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها مَوْلَعَةٌ تخشى القنِيصِ شُبُوبُ^(٢)
تَعَفَّقَ بالأرطى لها وأرادها رجالٌ فَبَذَتْ نَبْلَهُمْ وكَلِيبُ^(٣)

وقال عبادة بن مَجَبَّرِ السَّعْدِيُّ^(٤) :

فَمَنْ لِلخَيْلِ بَعْدَ أَبِي سَرَّاجٍ إِذَا مَا أَشْنَجَ الصَّرُّ الكَلِيبَا^(٥)
وهؤلاء كلهم جاهليون .

(١) من قصيدته المشهورة التي اختارها المفضل الضبي في المفضليات ٣٩١ - ٣٩٦ . وهي في الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بني غسان وملك الشام ؛ وهي وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قريش في عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة في نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالفضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اه . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا في اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) في ط : « عباد بن مجبر » وفي م : « عباد بن مجبر » وفي س : « عباد بن مجبر » وصواها ما أثبت من نوادر أبي زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن مجبر » ؛ وصححه أبو حاتم في روايته مما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلي كما في النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما في النوادر ؛ وهي في الأصل : « الضر » . و « أشنج » هي في النوادر « ألبأ » ؛ وفي س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف مافي النوادر .

(رأى لخموية الخريبي في بقع الكلاب وسودها)

وقال خموية الخريبي^(١) وأنشدوه^(٢) :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ حِينٍ تَخُوضُ غِمَارَهُ بُقْعَ الْكِلَابِ^(٣)

وأنشدوه :

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقدت أمسى شريدتهم في الأرض فللاً^(٤)

فقال : لاخير في بقع الكلاب البتة ، وسود الكلاب أكثرها عقوراً .

(خير الكلاب والسنانير)

وخير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى ألوان الأسد من الصفرة والحمر . والتبقيع هجنة .

وخير السنانير الخلنجية ، وخير كلاب الصيد البيض .
قالوا : إن الأسد للهراش الحمر والصففر ، والسود للذئب ، وهى شرها ،

(١) الخريبي : نسبة إلى الخريبة : موضع بالبصرة . وفى ط : الخرمى « وفى س :

« الخريبي » ، وصوابها ما أثبت من ي .

(٢) فى الأصل : « وأنشدنى » ، وسياق الكلام يطالب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفراه خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع

غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفى ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه

فى س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٦١ .

وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام فى هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّ الْكَلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ -
لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . وَلَكِنْ اقْتَلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ » .

(القوّة في السّود من الحيوان)

وكلُّ شيءٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعره أو جلده ، أو صوفه ، كان
أقوى لبذنه ولم تكن ^(١) معرفته بالمحمودة .

(خير الحمام)

وزعم ^(٢) أن الحمام الهداء ^(٣) إنما هو في الخضِرِ والنمر ^(٤) ، فإذا اسودَّ
الحمام حتّى يدخل في الاحتراق صارَ مثلَ الزنجيِّ الشديديِّ البطش ، القليل
المعرفة . والأسودُّ لا يجيء من البعد ؛ لسوء هدايته . والأبيض وما ضربَ
فيه البياض لا يجيء من الغاية ، لضعف قواه . وعلى قدر ما يعتربه من
البياض يعتربه من الضعف .

(١) في الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى
عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا في المخصص ٨ : ١٧٠ وقال : « الواحد الهدى » : ويقال هدهاه فاهتدى
وددى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الكلمة في الأصل رسمت هكذا « الهدا » .
وقد سبقت في الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهدى » كما سيأتى في الجزء الثالث
ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهر أن القصر والمد لغتان جائزتان فيها . وهى من
الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الياء لا يجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ،
ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح
العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٣٢٤ - ٢٢٥ . قال ابن سيده :
« وهن اللاتي يدربن ويرفمن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم
وعريش مصر ودون ذلك ، من مواضع كثيرة ممهاة » . وأقول : هو حمام الزجل
أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ - ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو مافيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالكلب هو الأضفر والأحمر ، والحمام هو الأخضر والأحمر ، والسُّنور هو الخلدنجيُّ العسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجيُّ^(١) كما يكون من الخيل ، ولكنه لا يكادُ ينجب ، ولا تعدُّ الأمورُ المحمودة منه رأسه ، وقد يكون ربِّما أشبهَ وقرب من النجابة ؛ فإذا كان كذلك [كان]^(٢) كهذه الأمهات والآباء المنجبة^(٣) ، إلا أن ذلك لا يتمُّ منها إلا بعدَ بطونِ عدَّةٍ .

٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد: قال رداد^(٤): أقول للرجل الذي إذا ركب الإبل فعقرَ ظهورها من إتعابه ، هذا رجل معقرٌ ، وكذلك السرج والقتب ، ولا يقال للكلب إلا عقور . ويقال هو ضرؤ للكلب الضاري على الصيد ؛ وضروة للكلبة^(٥) ، وهذا ضراءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضوارٍ . وقد ضريتُ أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرمة :

مقرَّع أطلس الأطارٍ ليس له إلا الضراء وإلا صيدها نشب^(٦)

وقال طفيل الغنوى :

(١) الخارجي : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام :

(٣) في الأصل : « المنجبة » .

(٤) هو رداد الكلابي . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم في الفهرس ٤٧ ؛ لبيسك ، ٧٠ مصر .

(٥) في الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقرَّع : السريع الخفيف . وأطلس الأطار : خلق اثياب . والنشب : المسال ناطقه وصامته . وقد عني ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان في ثلاثة مواضع (قرع ، طلّس ، ضرؤ) .

تُبَارَى مَرَاخِيهَا الزُّجَاجَ كَأَنَّهَا ضِرَاءٌ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ (١)

ومنه قيل : إناء ضار (٢)

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْمَجَازِرَ فَإِنَّ لَهَا ضِرَاوَةَ كَضِرَاوَةِ الْحَمْرِ (٣) » .

وقال الأصمعيّ : كلب أبقعُ وكلبةُ بقعاء ، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء ، وتيس أبرقُ وعنزُ برقاء ، وكذلك جَبَلُ أبرقُ وكسائهُ أبرقُ وكنب أبرق .

(١) سبق الكلام على هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفي ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق في الجزء الأول . ونحوه قول المثل البلوى في المؤلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب

(٢) جاء في اللسان : « وفي حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب في الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمير وعود بها ، فإذا جعل فيه التبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والتبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحماتها . قال فى اللسان : « وإنما نهام عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كمادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهري فى الصحاح : « قال الأصمعيّ : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنما تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومداومة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكفى عنها بإمكانها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحة^(١) : نزل عندنا أعرابيٌ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهتراً^(٢) باللعب بالكلاب ، وكان الآخر مستهتراً^(٣) بالحملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :
مالي أراك مع الكلاب جنيبةً وأرى أخاك جنيبةً الحملان^(٤)
قال : فردَّ عليه الغلام :
لولا الكلابُ وهرشها من دُونها كَانَ الوقيرُ فريسةَ الذُّوبانِ^(٥)
والوقير : اسم للغنم الكثيرة السائمة مع ما فيها من الحمير وغير ذلك^(٦) .
وقال الشماخُ بنُ ضرارٍ :
فأوردَهِنَّ تَقْرِيْباً وشَدّاً شرَائِعَ لم يكدرْها الوقيرُ^(٧)

-
- (١) لم أعثر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ في البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيخ « أي الشيعة ، وهو في الأصل بالراء . وأثبت ما في البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .
(٢) استهتر بالشيء - بالبناء للمجهول - : أولع به ، فهو مستهتر . وفي الأصل : « مشتهرا » من الشهرة . وهو تحريف .
(٣) الجنيبة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .
(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . في ط : « فراسة لذئاب » وفي م : « فراسة الذوبان » وصوابهما ، ما أثبت من س .
(٥) في اللسان : « قال الرمادي : دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابني بضمف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لا يكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر معاني الجاحظ .
(٦) عنى حمرا من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمير ليوردها الماء الصافي ، وهو في ذلك يعلو ويشتد في عدوه . وحر الوحش من الحيوانات التي تعتقد الرياسة لأحدها .
لنظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر في نفع الكلاب)

وقال الشاعر - في تثبيت ما قال الغلام - :

تعدُّو الذئبابُ على مَنْ لا كلابَ له وتتقى صَوْلَةَ المُستأْسِدِ الضارِي^(١)

وقال الآخر :

إنَّ الذئبابَ تُرَى مَنْ لا كلابَ له وتتقى حَوْزَةَ المُستشْفِرِ الحامِي^(٢)

٢٨

(عفة عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق)

وقال محمد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امرأةٌ إلى مَكَّةَ ، وكانت ذات جمالٍ
وعَفَافٍ وبِرَاعَةٍ وشارَةٍ ، فأعجبت ابن أبي ربيعة ، فأرسل إليها فحافت
شِعْرَهُ ، فلما أرادت الطَّوافَ قالت لأخيها : اخرج معي . فخرجَ معها ،
وعرَّضَ لها عمر فلما رأى أخاها أعرض عنها ، فأنشدت قولَ جرير^(٣) :
تعدُّو الذئبابَ على مَنْ لا كلابَ له وتتقى حَوْزَةَ المُستأْسِدِ الضارِي^(٤)

(١) كذا في ط ، م . وفي س : « مريض المستشفر الحامى » .

(٢) الاستشفر ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملوياً ثم يخرج منه فيشد طرفيه في
حجزته ، وذلك حين الصراع . وفي ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله في الأغاني ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدي وفيه
بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن علي . ورواية البيت فيه :

تعدُّو الذئبابَ على مَنْ لا كلابَ له وتتقى مريض المستأْسِدِ الحامِي

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما في اللسان وجاسة البحري
٢٦٤ وشرح الأسمار الستة للشنتمرى مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفي س : « وتتقى حوزة المستشفر الحامى » . والبيت في شعر الزبرقان بن بدر
أيضاً كما في المؤلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان

استزاده في شعره كالمثل » ، انظر المزهري ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبي الحسن ، وأما بنو مخزومٍ فيزعمونَ أنَّ ابنَ أبي ربيعةٍ لم يحلَّ إزاره على حرامٍ قطُّ ، وإنما كان يذهب في نسيبه إلى أخلاقِ ابنِ أبي عتيقٍ ؛ فإنَّ ابنَ أبي عتيقٍ كان من أهلِ الطَّهارةِ والعفافِ ، وكان من سمعَ كلامه توهمَ أنه من أجراءِ الناسِ على فاحشةٍ .

وما يُشبهه الذي يقولُ بنو مخزومٍ ما ذكروا عن قريشٍ والمهاجرين ؛ فإنهم يقولون : إنَّ عمرَ بنَ عبدِ الله بنِ أبي ربيعةٍ إنما سُمِّيَ بعمرِ بنِ الخطَّابِ (١) وإنه ولد ليلةَ ماتَ عمرُ . فلما كان بعد ذلك ذكروا فسادَ هذا وصلاحَ ذلك فقالوا : أيُّ باطلٍ وُضع ، وأيُّ حقٍّ رفع !!

ومثلُ هذا الكلامِ لا يقالُ لمن يُوصَفُ بالعفةِ الثابتةِ .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولُبغض (٢) المزاح في لعب الصبيان بالكلاب واستهتارهم بها ، كتَبَ شريح إلى معلِّمٍ ولدٍ له كان يدعُ الكتابَ ويلعب بالكلاب (٣) :

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ كَلْبٍ يَلْهُوُ بِهَا طَلَبَ الْهَرَّاشِ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجَّسِ (٤)

(١) ط : « يسمى » ، والوجه ما في س .

(٢) في الأصل : « لبغض » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الأبيات الآتية في ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقي ٢ : ٢١٦ والشريشي ٢ : ٣٨١ .

(٤) في المراجع : « يسمى بها » موضع « يلهو بها » . وفي النثر أيضاً : « نحو الهراش » وفي العمد : « طلب الهراش » .

- وليأتينك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمس^(١)
فإذا خلوتَ فعَضَهُ بمَلَامَةٍ أو عِظَهُ مَوْعِظَةَ الأديب الأكيِس^(٢)
وإذا هممت بضربه فيدِرَّةً وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحْبِس^(٣)
واعلم بأنك ما فعلت فإنه مَعَ مَا يُجْرَعُنِي أعزُّ الأنفُس^(٤)
وهذا الشعر عندنا^(٥) لأعشى بنى سليم في ابن له . وقد رأيتُ ابنه هذا
شيخاً كبيراً ، وهو يقول الشعر^(٦) وله أحاديثٌ كثيرةٌ ظريفة .

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة في كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل في الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا ينادمان عمرو ابن هند ، فتوى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى حامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فضا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقراه ففهم منه الشر الذي أضمره الملك ، وألقى كتابه في المساء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) في عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفي الثمار فقط : « فحضه بملامة » .
وأما الشطر الثاني للبيت فهو في الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفي العيون :
« وعظنه وعظك للأريب » ، وفي العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما في المصباح . وهي في ط : « بذرة » محرفة
وصوابها في س والمراجع المتقدمة . وفي الأصل أيضاً : « وإذا ضربت به »
والضير عائد إلى « الدرة » فالصواب ما أثبت من الثمار . وفي العقد :
« وإذا بلغت ثلاثة لك » ، وفي العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفي الشريشي :
« وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هي في معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لابس به .

(٥) ط فقط : « عنى » .

(٦) ط : « بشر » وصوابه في س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : ومما يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ (١) مايجرى على ألسنةِ النَّاسِ من مَدْحِهِ بالخير والشرِّ ، وبالحمد وبالذمِّ ، حتَّى ذكر في القرآن مرَّةً بالحمد ومرَّةً بالذمِّ . وبمثل ذلك ذِكْرُ في الحديث ، وكذلك في الأشعار والأمثال ، حتى استعمل في الاشتقاقات ، وجرى في طريق الفأل ٢٩ والطَّيْرَةِ ، وفي ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجِنِّ والحِنِّ (٢) والسَّبَاعِ والبَهَائِمِ . فإن كنتم إئمَّا قضيتُمُ عليه بالشرِّ والنقص ، وباللؤمِ وبالسقوطِ لأنَّ ذلك كلُّه قد قيلَ فيه ، فالذي قيلَ فيه من الخير أكثرُ ، ومن الخصالِ المحمودَةِ أشهرُ . وليسَ شيءٌ أجمعَ لخصالِ النقصِ من الحمولِ ؛ لأنَّ تلك الخصالُ المخالِفةُ لذلك ، تُعطى من النَّبَاهَةِ وتُقيم من الذكرِ على قَدْرِ المذكورِ من ذلك . وكما لا تكون الخِصَالُ التي تُورث الحمول مورثة للنَّباهَةِ فكذلك (٣) خِصَالُ النَّباهَةِ في مجانبَةِ الحمولِ ؛ لأنَّ الملوَمَ أفضلُ من الحاملِ :

(١) ط : « كثيرا » ، والصواب في س ، م .

(٢) قالوا : الحن : ضعف الجن .

(٣) ط : « كما لا تكون . . . فلذلك » ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع التَّرجَمَانُ بن هُرَيْمٍ (١) [عند يزيد بن عمر (٢)] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريح بيومٍ خَيْرٍ قَطَّ . قال التَّرجَمَانُ : إلا يكن (٣) جاء بيومٍ خَيْرٍ فقد جاء بيومٍ شرٍّ (٤) .

(مياسة الحزم)

وبعدُ فأىُّ رئيسٍ كان خَيْرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةَ . وَمَنْ لم يَعْمَلْ بإقامة جزاءِ السيئةِ والحسنةِ ، وقتل في موضعِ القتلِ ، وأحياناً في موضعِ الإحياءِ ، وعَفَا في موضعِ العفوِ ، وعاقبَ في موضعِ العقوبةِ ، وَمَنَعَ ساعةَ المنعِ ، وأعطى ساعةَ الإعطاءِ ، خالفَ الرَّبَّ في تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

(١) التَّرجَمَانُ بن هريم : قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز : وعلى بنى حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبي طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . وكبر هريم فحول اسمه في أعوان الديوان ، فقليل له : إنك لاتحسبن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإني أحو الصحف ! في الأصل : « التَّرجَمَانُ بن هريم » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هذا أمير قائد من ولاية الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين في أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) في الأصل : « إن لا يكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ في البيان : ذهب التَّرجَمَانُ إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طرا

وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزماني الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفو إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنع إعطاء ، ولا خَيْرَ فيمن كان خيرهُ مُحضاً ، وشرُّه منه مَنْ كان شرُّه صرفاً . ولكن أخلطِ الوعدَ بالوعيد ، والبشرَ بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يهابون ولا يصلحون إلا على الثواب والعقاب ، والإطاع والإخافة . ومَنْ أخافَ ولم يُوقِعْ^(١) وعُرفَ بذلك ، كانَ كَمَنْ أطمعَ ولم يُنجزِ وعُرفَ بذلك ، ومَنْ عُرفَ بذلك دخلَ عليه بحسب ما عُرفَ منه . فخَيْرُ الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كان صرفاً ، ولو كانَ النَّاسُ يصلحون على الخيرِ وحده لكانَ اللهُ عزَّ وجلَّ أولى بذلك الحكم .

وفي إطباق جميع الملوك وجميع الأئمة في جميع الأقطار وفي جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحجوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دون غيره .
وإذا كان الناس إنما يصلحون^(٢) على الشدَّة واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيراً وذلك المنع إعطاء وذلك المكروه محبوباً . وإنما الشأنُ في العواقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدوم ، ومن الانقطاع أبعدُ .

(١) في ط : « يقع » ، والصواب في س .

(٢) في الأصل : « يصلحون » والوجه ما أثبت .

(شعر في الحزم)

وقال الشاعر ، وَهُوَ يمدح قَوْمًا^(١) :

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ^(٢)
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا كَشَفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرِ أَغْمَارِ^(٣)

وقال العتبي^(٤) :

ولكن^(٥) بنو خيرٍ وشر كليهما جميعاً ومَعْرُوفٍ أَلَمٌ وَمُنْكَرٍ

(١) الشاعر هو عبيد بن العرندس الكلابي ، كما في الكامل ٤٧ وتنبية البكري ٧٣ .
والشعر رواه أبو تمام في الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالي في الأمالي ١ :
٢٣٩ والمرزباني في المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرندس الكلابي لا إلى
عبيد . وقد نبه البكري على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكري في
ديوان المعاني ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرندس
فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابي يمدح
غنويا ! » . قال البكري في تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا ،
لأن فزارة كانت قد أوقعت بيني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ،
ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيسى قيس السدأى الغنوى ، وقتلت عيس
هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى بيني أبي بكر وبني محارب ليكافئوهم بيدهم
عندهم ، ففعلوا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهلوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهوا ، بالبناء المفعول : من شمت الفرس إذا حركتها
لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزي في شرح
الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأغمار :
جمع غمر بالتثنية ويحرك ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته في شرح الجزء الأول ص ٥٣ - ٥٤ .

(٥) كذا في ط . وهي في س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارنجز يوم جَبَلَة^(١) :

أنا الغَلامُ الأعسرُ الخيرُ فيَّ والشرُّ

* والشرُّ فيَّ أكثرُ *

وقال عبدُ الملكِ بنُ مروانَ لزُفرَ بنِ الحارثِ - وقد دخل عليه في رجالاتِ

قيس : ألسْتَ امرأً من كندة ؟ قال : وما خيرُ مَنْ لا يُتَّقَى حَسَداً ،
ويُدعَى رغبةً .

وقال ثُمّامة : الشُّهرةُ بالشرِّ خيرٌ من أن لا أُعرَفَ بخيرٍ ولا شرِّ

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجلِ من المَاضِيَن بِنَبَايِنِ

الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليًّا - رضِيَ اللهُ تعالى عنه - قال : يَهْلِكُ فيَّ فِتْنانٌ^(٢) :

حُبٌّ مُفْرِطٌ ، ومبغِضٌ مُفْرِطٌ .

وهذه صفةُ أنبَهِ الناسِ ، وأبعدهم غايةً في مراتبِ الدِّينِ وشرفِ الدنيا^٣

ألا ترى أن الشاعر يقول :

(١) يوم جيلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهي : يوم الكلاب ، ويوم

جيلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل في الأغاني ١٠ : ٣٣ - ٤٥ . وكان قبل

الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي صل الله عليه وسلم ، كما في العقد

٣ : ٣٠٧ . وقائل الشعر هو معاوية بن عباد بن عقيل ، وكان أعسر ،

كما في الأغاني . والأعسر : الذي يعمل بشماله .

(٢) في الأصل : «فتيان» .

أَرَى الْعِلْبَاءَ كَالْعِلْبَاءِ ۚ لَا حُلُوًّا وَلَا مَرًّا^(١)
شُبَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارُو دِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرًّا

وقال الآخر :

عَبَّرْتَنِي يَا شَكَلْتَنِي أُمِّي^(٢) أَسْوَدَ مِثْلَ الْجُعَلِ الْأَحْمِ^(٣)

يَنْطَحُ عُرْضَ الْجَبَلِ الْأَصَمِّ لَيْسَ بَذِي الْقَرْنِ وَلَا الْأَجْمِ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناسِ بَرَاعَةً ، وأظْهَرَهُمْ فَضْلًا ، وأجمعَهُمْ
لِحْصَالِ الشَّرَفِ ، ثُمَّ كَانَتْ كُلُّ خَصَلَةٍ مَسَاوِيَةً لِأَخْتِهَا فِي الْأَمَامِ ، وَلَمْ تَغْلِبْ
عَلَيْهِ خَصَلَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَا يَكَادُ يُوصَفُ إِلَّا بِالسِّيَادَةِ وَالرِّيَاسَةِ
خَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْنَدٌ عَمَّا^(٤) يَكُونُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ .

وقالوا فيما يشبهه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر^(٥) :

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق في الجزء الأول
من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البمير .
يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) شكته أمه : فقدته : وفي ط : « شكلتني » وصوابه في س ، م . وقد حذف الراجز
المنادى هنا بعد الياء ، كما في بيت الشماخ :

ألا يا اسقياني قبل غارة منجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى يا صاحبي اسقياني . وكقول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب ١ :
٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

أى يا قوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجمل : دويبة تألف الأماكن القذرة . وفي ط : « الحمل » ، وصوابها
في س ، م .

(٤) كذا في س ، ط . وفي م : « مسندهما » ، وفي للعبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن المرندس الكلابي . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتي في ص ٨٩
من هذا الجزء .

٣١ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيَسَارٌ ذُو وَيُسْرٍ سَوَّاسٍ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيَسَارٍ^(١)
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلُ النَّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
وقد قال مثل الذي وصفنا جعفرَ الضبيَّ^(٢) في الفضل بن سهل^(٣) :
أيُّها الأمير أسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السُّودد ، وحيرني فيها
كثرةُ عددها ، فليسَ إلى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردتُ وصفَ واحدةٍ
اعترضتُ أختها ، إذ لم تكن الأولى أحتق بالذكر . ولست أصفها إلا بإظهار
العجز عن وصفها .

ولذلك قالوا : « أحلم من الأحنف » ، و « ما هو إلا في حلم معاوية »
و « أحلم من قيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلم من عبد المطلب ، ولا هو
أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خصلة من خصاله كتمام حلمه ، فلما كانت خصاله
متساويةً ، وخلالُه مشرفة^(٤) متوازيةً ، وكلُّها كان غالباً ظاهراً ، وقاهراً
غامراً ، سمى^(٥) بأجمع الأشياء ولم يُسمَ بالخصلة الواحدة ، فيستدلُّ بذلك على
أنَّها كانت أغلب خصال الخبير عليه .

(١) المشهور في رواية البيت « ذوو كرم » ، وما هنا رواية صحيحة كما في شرح التبريزي
للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعني في أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس
مكرمة : أي يروضون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيَسَارُ أَبْنَاءِ أَيَسَارٍ
أي إنهم عريقون في الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر .
والقهار مما يتسرح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل في الميسر
« برما » ، قال : ولا برما تهدي النساء لمرسه إذا القشع من برد الشتاء تعمقما

(٢) في البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغاني ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر
ابن سليمان الضبي » ، فلعله هذا .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخسي ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به في صباه
وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها جعل
له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذي الرياستين . ولد سنة ١٥٤
وتوفي سنة ٢٠٢ .

(٤) يعني عالية ظاهراً علوها . (٥) في الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السَّيِّدُ فِي السُّودِ الكَمَالَ ، حسده من الأشراف من يُظَنُّ أَنَّهُ
الأحَقُّ به ، وفخرت به عشيرته ، فلا يزال سفيه^(١) من شعراء تلك القبائل
قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيِّد عشيرته فهجاه . ومن طلب عيباً وجدّه .
فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره ، وجد من يغلط فيه ويحمله عنه .
ولذلك هُجِيَ حِصْنُ بن حذيفة ، وهُجِيَ زُرَّارَةُ بن عُدَس ، وهُجِيَ عبدُ الله
ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإِنَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ مِنْ سُودِ دِهِمْ وَطَاعَةِ الْقَبِيلَةِ لَهُمْ ، لم يذهبوا
فيمَن تحت أيديهم من قومهم ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مَذَّهَبَ كُليبِ بن
ربيعة ، ولا مذهبَ حذيفة بن بدر ، ولا مذهبَ عيينة بن حصن ، ولا مذهبَ
لقيط بن زُرَّارة ؛ ولأنَّ لقيطاً لم يأمر بسحب ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ^(٢) إلا وهو
لو بقي لجاوز ظلم كليب وتهكم عيينة^(٣) ، فإنَّ هَؤُلَاءِ وإن كانوا سادة فقد كانوا
يَظلمون ، وكانوا^(٤) بين أن يَظلموا وبين أن يَحتملوا ظلماً ممن ظلمهم . ولا بدُّ
من الاحتمال كما لا بُدُّ من الانتصار .

وقد قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَسْكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى
رجع قولُ الحَكِيمِ الأوَّلِ : « بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميع » .

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) في الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ،
٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التَّهَم : التكبر ، واشتداد الغضب والحق .

(٤) في ط : « وكان » ، والصواب في س ، م .

(حزم السادة)

وعامة هؤلاء السادة لم يكن شأنهم أن يردوا الناس إلى أهوائهم ،
٣٢ وإلى الانسياق لهم بعنف السوق ، وبالحرَبِ في القود . بل كانوا لا يؤثرون
الترهيب على الترغيب . والخشونة على التلين . وهم مع ذلك قد هجوا
بأقبح الهجاء .

ومنى أحب السيد الجامع ، والرئيس الكامل قومه أشد الحب وحاطهم
على حسب حبه لهم ، كان بغض أعدائهم له على حسب حب قومه له . هذا
إذا لم يتوثب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمه وإخوته من قد أطمعته الحال
باللحاق به . وحسد الأقارب أشد ، وعداوتهم على حسب حسدهم .

وقد قال الأولون : رضا الناس شيء لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هيناه ،
وإذا أدبر اغتبناه !

وقد قال الأول : بغضاء السوق^(١) . موصولة بالملوك والسادة ، وتجرى في
الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس في الأرض عمل أكدر لأهله من سياسة العوام . وقد قال الهذلي^(٢)
يصف صعوبة السياسة :

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفي ط : « سوء » ، والوجه
ما في س ، م .

(٢) هو الأعم الهذلي ، كما في حواشي البيان

وإن سياسة الأَقوامِ فاعلم لها صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طویل (١)

وقال آخرُ في شبيه (٢) بهذا المعنى :

ودونَ النَّدى في كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ

وودَّ الفَتَى في كلِّ نيلٍ يُذِيلُهُ إذا ما انقضى ، لو أن نائله جَزَلٌ

وقال عامر بن الطفيل (٣) :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارسها المشهور في كلِّ موكبِ

فما سوَّدتني عامر من وراثته (٤) أبي الله أن أسمو بأُمَّ ولا أبِ

ولكنني أحمي حماها وأتقى أذاها وأزمي من رماها بِمَنكَبِ

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله بن زياد (٥) وزياؤُ يُغرِغِرُ بنفسه (٦) :

(١) وهذه الرواية أيضاً هي رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ في البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأَقوامِ فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، كما في البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) ص فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات في العقد (٢ : ٢٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالي (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر مما تحتج به الشعبيية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور في الرواية : « عن وراثته » كما في المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتم إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكاً من الشجيمان وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا في معجم الزركلي عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذري . ووجدت النويري ذكر في المؤلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى في أمالي المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال خرغرت الروح : ترددت في الحلق عند الموت .

ألاً أوصى بك الأمير ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يكن] ^(١) للحى
إلاً وصية ^(٢) الميت ، فالحي هو الميت .

وقال آخر في هذا المعنى :

* والعز لا يأتى بغير تطلب *

وقال بشامة بن الغدير ^(٣) في خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون .

منه كان ^(٤) :

وجدت أبي فيهم وجدى كليهما يطاع ويؤتى أمره وهو محتبى
فلم أتعلم للسيادة فيهم ولكن أتتى طائعا غير متعب ٣٣

(بحث في السعادة)

ومن الناس من يقول : إن العيش كله في كثرة المال ، وصحة البدن ،

وخمول الذكر .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها في س :
« أوص » ويغلب على ظنى أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لا يتناسق الكلام .
واعتمدت في إثبات ما أثبت على ما في عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى
المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبي سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ،
معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيريه وتصدر
عن رأيه . (الأغاني ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هي في ط ، م :
« القدير » ، وهو تصحيف ما في س .

(٤) كذا .

وقال مَنْ يخالفه : لا يخلو صاحب البدن الصحيح والمال الكثير ،
من أن يكون بالأمر عالماً ، أو يكون بها جاهلاً . فإن كان بها عالماً فعلمه
بها لا يتركه حتى يكون له من القول والعمل على حسب علمه ؛ لأن المعرفة
لا تكون كعدمها ؛ لأنها لو كانت موجودة غير عاملة لكانت المعرفة كعدمها ،
وفي القول والعمل ما أوجب النباهة ، وأدنى حالاته أن تُنخرجه من حد
الحمول ، ومتى أخرجته من حد الحمول فقد صار معرضاً لمن يقدر على سلبه .
وكما أن المعرفة لا بد لها من عمل ، ولا بد للعمل من أن يكون قولاً
أو فعلاً ، والقول لا يكون قولاً إلا وهناك مقول له ، والفعل لا يكون فعلاً
إلا وهناك مفعول له ، وفي ذلك ما أخرج من الحمول وعُرف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفة هذا عملها في التنبيه على نفسها ، فالمال الكثير
أحق بأن عمله الدلالة على مكانه ، والسعاية على أهله . والمال أحق
بالنيمة ، وأولى بالشكر ، وأخذع لصاحبه ، بل يكون له أشد قهراً ، ولحبه
أشد فساداً^(١) .

وإن كانت معرفته ناقصة فبقدر نقصانها يجهل مواضع اللذة . وإن كانت
تامة فبقدر تمامها ينسى الحمول ويغلب الذكر .

وبعد فليس يفهم فضيلة السلامة ، وحقائق رُشد العافية ، الذين ليس
لهم من المعرفة إلا الشدو ، وإلا خلأق أوساط الناس^(٢) . ومتى كان ذلك

(١) كذا .

(٢) الشدو: القليل من كل كثير . وهي في ط : « التشدق » وفي س : « الشد »
وصواهما من م . والحلاق : الحظ والنصيب . وفي الأصل : « والأخلال » ،
وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المَدْخَل الذى من أجله يكره ذو المال الشُّهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّه وصدقِهِ ، لم يدَعه فهمُهُ لذلك حتَّى يدلَّ على فهمه . وعلى أَنه لا يفهم هذا الموضع حتَّى يفهم كلَّ ما كان فى طبقتة من العلم . وفى أقلِّ من ذلك ما يبيِّن به حاله من حال الحامل .

وشروط الأمانى غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمور . وليس شىءٌ ألدُّ ولا أَسْرُّ من عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأعداء ، ومن عَقْدِ المِنَنِ فى أعناق الرجال ، والسُّرورِ بالرِّياسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحَظُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس^(١) . فأما المطعم والمشرب والمنكح والمشمة ، وكلُّ ما كان من نصيب الحواسِّ ، فقد علمنا أنَّ كُلَّ ما كان أشدَّ نَهَمًا وأرغَبَ ؛ كَانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ على مواقع الطَّعم من الجائع ، والشرابِ من العطشان^(٢) .

٣٤

ولكنَّا إذا ميَّلنا^(٣) بين الفضيلة التى مع السُّرور ، وبين لذة الطعام ، وما يُحدِّث الشرُّه له من ألمِ السهر والالتهابِ والقلقِ وشدةِ الكَلْب ، رأينا أنَّ صاحِبَهُ مفضولٌ غيرُ فاضلٍ . هذا مع ما يَسبُّ به^(٤) ، ومع حملة له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمته متى زالت لم يكن أحدٌ أشقى منه . هذا مع سرور العالم بما وهبَ اللهُ له^(٥) من السلامة من آفة الشرِّه ، ومن فسادِ الأخلاط .

وبعدُ فلا يخلو صاحِبُ الثروة والصامتِ الكثيرِ^(٦) ، الحاملُ الذكر من أن يكونَ ممن يرغَب فى المركبِ الفارِه ، والثوبِ اللينِ ، والجاريةِ

(١) القغم ، بالكسر ؛ النصيب والحصنة .
(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين ما يحدث له الشره » .
(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : « مثلنا » .
(٤) تحتل أن تكون « يسببه » أى يحدثه .
(٥) ط ، م ، « لهم » ، والصواب ما أثبت من س .
(٦) الصامت من المسال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنة ، والدار الجيدة ، والمطعم الطيب ؛ أو يكون ممن لا يرغب في شيء من ذلك . فإن كان لا يرغب في هذا النوع كله ، ولا يعمل في ماله للدار الآخرة ، ولا يُعجَب بالأحدوثة الحسنة ، ويكون ممن لا تغدو لذته أن يكون كثير الصامت ؛ فإن هذا حماراً أو أفسد طبعاً من الحمار ، وأجهل من الحمار ؛ وقد رضى أن يكون في ماله أسوأ حالا من الوكيل .

وبعد فلا بُدَّ للمال الكثير من الحراسة الشديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمل الحراسة له ، وتعب في حفظه [و]^(١) حسب الخوف ، خرج عليه فضل . فإن هو لم يخف عليه - ولا يكون [ذلك]^(٢) في سبيل التوكل^(٣) - فهو في طباع الحمار وفي جهله . والذي أوجب له الحمل ليؤديه إلى سلامة المال له ، قد أعطاه من الجهل^(٤) ما لا يكون معه إلا مثل مقدار لذة [البهيمه^(٥)] في أكل الحَبَط^(٦) .

وإن هو ابتاع فرّة الدواب ، وفرّة الخدم والجوارى ، واتخذ الدار الجيدة ، والطعام الطيب والثوب اللين وأشباه ذلك ، فقد دلَّ على ماله . ومن كان كذلك ثمَّ ظهرت له ضيعة فاشية ، أو تجارة مربحة ، يحتمل مثل ذلك الذي يظهر من نفقته . وإلا فإنه سيوجد في اللصوص عند أول من يقطع عليه ، أو مكابرة تكون ، أو تعب يؤخذ لأهله^(٧) المال العظيم .

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .

(٢) كلمة يحتاج إليها .

(٣) فإن التوكل المطلوب في الدين ما كان معه الحيلة والأخذ بأسباب السلامة ، على

نحو ما جاء في الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .

(٤) في الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .

(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .

(٦) الحبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخط بالمصافئ كله الدواب والإبل .

(٧) العبارة من مبدأ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحة البدن والمال ، فذهب إلى مقدارٍ من المال مقبولاً^(١) ولكن ما لمن كان ماله لا يجاوز هذا المقدارَ تهيئاً^(٢) الخمول^(٣) .

(طبقات الخمول)

ولعمري إن الخمولَ ليكونُ في طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نخيلة^(٤) :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى

وَمَا كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي

فأحييتَ من ذكرى وما كان خاملاً ٣٥

ولكنَّ بعضَ الذكرِ أنبَه من بعضِ

قالوا : ولسقوط الحاملِ من عُيون الناسِ ، قالت الأعرابيةُ لابنها : إذا

جلستَ مع الناسِ فإنَّ أحسنتَ أنْ تقولَ كما يقولونَ فقلْ ، وإلاَّ فخالِفْ

تذكر !

(١) لعل العبارة « مقدار من المال يسير كان ذلك مقبولاً » .

(٢) في ط : « متهيؤ » وهو تحريف صوابه في س ، م .

(٣) لعل العبارة « ما لمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . الخ .

(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدي . قال أبو الفرج (الأغاني ١٨ : ١٣٩) :

« أبو نخيلة اسمه لاكنيته » وقال ابن قتيبة في الشعراء : « اسمه يعمر » . كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشمين فهجا الأمويين . وقد صنع في المنصور أرجوزة يفرجه فيها بخلع عيسى بن موسى وبمقد العهد لابنه محمد المهدي ، فوصله المنصور بألئ درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه بهيسى ، فأدركه مولى له في طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة في الأغاني . والشعر الآتي في مديح مسلمة بن عبد الملك كما في الأغاني (١٨ : ١٤٠) وحماسة ابن الشجري ١١٧ وأول الشعر :

أمسلم إني يا ابن خير خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض

وأما الأصمعيُّ فزعمَ أنَّها قالت : فخالفَ ولو بأن تعلقَ في عنقك
أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القول إلا مَنْ ليس يعرف شَكَر^(١) الغني ، وتقلبَ
الأموال إلى ما خُلقت له ، وقَطَعها عُقْلها ، وخلَعها عُذْرها ، وتيبه أصحابها ،
وكثرة خطاهم في حفظها وسترها ، وعجزهم عن إماتة حركتها ومنعها من
جميع ما تنازع [إليه وتحمل عليه]^(٢) .

(ملححة من الملح)

وقد روينا في الملح أن رجلاً قال لصاحب له : أبوك الذي جهل
قدره ، وتعدى طوره ، فشقَّ العَصَا ، وفارق^(٣) الجماعة ، لاجرم لقد هُزِم ثم
أُسِر ثم قتلَ ثم صُلب ! قال له صاحبه : دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ هزيمة أبي ،
ومن أسره وقتله وصلبه . أبوك هل حدثتَ نفسه بشيء من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب في همم الناس)

وليس إلى الناس بُعْدُ الهمم وقِصْرُها ، وإنما تجرى الهمم بأهلها
إلى الغايات ، على قدر ما يعرض لهم من الأسباب . ألا ترى أن أبعَدَ
الناس همة في نفسه ، وأشدَّهم تلفتاً إلى المراتب ، لانتنازعه نفسه إلى طلب
الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ]^(٤) و إلى أمر قد وُطئ له

(١) أراد بالشكر الثور . وهو من شكرت الشجرة - من باب فرح - : خرج منها
الشكير ، وهو ما بنيت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) في الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبب طلب أوائل الخوارج الخلافة بالدين وحده دون النسب .
فإن صار من الخوارج فقد حدث له سبب إمكان الطلب ، أ كدى
أم نبح .

وقد زعم ناس من العلماء أن رجلاً خطبت للسيادة والنباة
والطاعة في العشيرة .

(سلطان الحظ على نباة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربما سعت بالخط ، وربما حظيت بالجد ؛ وإنما
ذلك على قدر الاتفاق ، وإنما هو كالمعافى والمبتلى ، وإنما ذلك كما
قال زهير :

وَجَدْتُ المَنَايا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُ
مُتْمِنَةٌ وَمَنْ تُنْخَطِيْ يُعْمَرُ فِيهِمْ .

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تخطى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعض الألفاظ دون غيرها ،
ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها .

قالوا : وذلك موجود في المرزوق [(١)] المحروم ، وفي المحارف (٢)

(١) لا يكون المرزوق محروماً ، فزدت الواو ليصح الكلام .

(٢) المحارف : الحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم]^(١) من حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوْلان فى تجارته ، وقد بلغ فرغانة^(٢) مرَّةً ، والأندلس مرَّةً ، ونقَّب فى البلاد ، وربَّع فى الآفاق^(٣) ؛ ومن حاذقٍ يُشاور ولا يُستعمل ، ثمَّ لا يجدهما يَسْتَبِيحَان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدِّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ، وهو اللَّيْثُ على برائته ، معَ تمامِ العزيمةِ وشِدَّةِ الشُّكِيمةِ ، ونفَازِ البصيرةِ ، ومع المعرفةِ بالمكيدةِ والصَّبْرِ الدَّائمِ على الشِّدَّةِ .

[وبعْدُ]^(٤) فكمَّ من بيت شعر قد سار ، وأجودُ منه مقيمٌ فى بطون الدَّفَائر ، لالتزیده الأيَّامُ إلَّا خمولا ، كما لالتزید الذى دونه إلَّا شُهرةٌ ورفعةٌ . وكم من متلٍ قد طار به الحظُّ حتى عرَفته الإمامُ ، ورواه الصَّبِيان والنِّساء .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفرسان . وقد عُرِفَتْ شُهرةُ عنتره فى العامَّةِ ، ونباهة عمرو بن معدٍ يكرب ، وضرَبَ الناسُ المثلَ بعبيد الله بن الحرِّ^(٥) ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقب فى البلاد : ذهب فيها . وربَّع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبید الله بن الحر الجعفی : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبید الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فات غريقاً . وكان عبید الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمعوا قطُ بعتيبة بن الحارث بن شهاب^(١) ، ولا بسطام-
ابن قيس^(٢) ، وكان عامر بن الطفيل أذكراً منهما نسباً .

ويذكرون عبيد الله بن الحرّ ، ولا يعرفون شعبة بن ظهير^(٣) ولا زهير
ابن ذؤيب ، ولا عبّاد بن الحصين^(٤) . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب
ابن القرية^(٥) ولا يعرفون سحبان وائل .

والعامّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم^(٦) إلاّ من قبيل الخاصّة ، والخاصّة
لم تذكر هؤلاء دون أولئك ، فتركت تحصيل الأمور والموازنة بين الرجال
وحكمت بالسابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ؛ ثمّ استوت
علل العامّة في ذلك وتشابهت .

والعامّة والباعة والأغنياء^(٧) والسفلة كأنهم أعدارُ عامٍ واحد . وهم

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالي أي ظمينة لقيت
على ساء من أمواه معد ، ما لم يلقي دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين
عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدین : عنزة والسليك بن السلركة .
(الأغاني ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب
في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة .

(٣) كذا في س ، م وفي ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام
ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى
أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عبداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة في المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » .
وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيباً يضرب به المثل . وكان أعزابياً
أمياً . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء في الأغاني ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة
قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة
الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا :

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغنياء » .

في باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأمين في ظاهرهما ، وكذلك هم في مقادير العقول
وفي الاعتراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّور والنَّغم^(١) ، والأسنان والبلدان .

(تشابه طبائع العائمة في كلِّ بلدة وفي كلِّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلَّ ردَّ قريشٍ ومُشركي العَرَبِ على النبيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم قوله ، فذكر ألفاظهم ، وجهد معانيهم ، ومقاديرهم التي كانت
في وزن ما يكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٢)
وقال : ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَخُضِّمَ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ . ومثله
هذا كثير ، ألا ترى أنَّكَ لا تجدُ بُدًّا في كلِّ بلدةٍ وفي كلِّ عصرٍ للحاكة من أن
يكونوا على مقدارٍ واحدٍ^(٣) وجهة واحدة ، من السَّخَطِ والحَمَقِ ، والغباوة
والظلم ؛ وكذلك النحاسون^(٤) على طبقاتهم ، من أصناف ما يبيعون . وكذلك
الساكون والقلاسون^(٥) وكذلك أصحابُ الخلقان^(٥) كلُّهم ، في كلِّ دهرٍ
وفي كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهةٍ واحدة .

وكلُّ حجَّامٍ في الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا

في البلدان والأجناس والأسنان .

(١) يريد اللغات واللهجات .

(٢) في الأصل : « للحاكة فيهم على مقدار واحدة » .

(٣) النحاس : يباع الدواب والرقيق ، وفي ط ، م « النحاسون » وهي على الصواب في س .

(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفي ط « الساكون القلاسون » وفيه تصحيف

وتحريف أصلح من س ، م .

(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالي ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ

(١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْرُوباً عندَ السُّلْطَانِ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ : إِنِّي مَظْلُومٌ !

ولذلك قال الشاعر :

لم يَخْلُقِ اللهُ مَسْجُونًا تَسْأَلُهُ مَا بَالُ سِجْنِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ^(١)
وليس في الأرض خصمان يتنازعان إلى حاكم ، إلا أكلُّ واحدٍ منهما
يدَّعي عدمَ الإنصافِ والظلمَ على صاحبه .

(مبالغة الإنسان في تقدير ما ينسب إليه)

وليس في الأرض إنسانٌ إلا وهو يطرب من صوتِ نفسه ، ويعتريه
الغلط في شعره وفي ولده . إلا أنَّ الناسَ في ذلك على طبقاتٍ من الغلط :
فهم الفرق المغمور^(٢) ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ،
ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسن حاله ما لم
يُمتحن بالكشف . ولذلك احتاج العاقل [في العجب بولده ، و^(٣)]
في استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقُّ ، ومن إعادة النظر والتُّهمة
إلى أضعاف ما يحتاج إليه في سائر ذلك .

(١) وكذا في البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت في عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ :

: (١١٦)

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الفرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) للزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامّة تحكّم أنّ حاتمًا أجودُ العرب ، ولو قدّمته على هَرمِ الجوادِ لما
اعتَرَضْتَهُ عليهم . ولكنّ الذي يُحدّثُ [به] ^(١) عن حاتم ، لا يبلغ مقدارَ ما روّوه
عن كعبِ بن مامة ؛ لأنّ كعباً بذلَ نفسه في أعطيّة الكرمِ وبذلَ المجهودِ
فساوى حاتمًا من هذا الوجه ، وبأينّه ببذلِ المهجّة ^(٢) .

ونحن نقول : إنّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها] ^(٣) المقدارُ الذي يوجبُ
اليقين بأنّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ في هذا إلى الجُدودِ
والحُظوظِ والاتِّفاقاتِ ^(٤) ، وإلى عللِ باطنةٍ تجري الأمورُ عليها ،
وفي الغوصِ عليها وفي معرفتها بأعيانها عُسر ، لمّا جرت الأمورُ على هذه

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ما روى من أن كعباً هذا خرج في ركب ، فيهم رجل من
النمر بن قاسط ، في شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم - وهو أن يطرح
في القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغير الحصاة ، فيشرب كل إنسان
بقدر ذلك - فقعدهوا للشرب ، فلما دار القعب فأنهى إلى كعب ، أبصر النمرى
يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه وقال للساق : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب
النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث في غدهم ما حدث في أسهم ؛
ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارتحل ! فلم يكن
بكعب قوة للنهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقبل له « رد كعب إنك وراة »
فمجز. عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميداني ١ : ١٦٧
والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام في حاجة إليها .

(٤) في الأصل : « فلو كان الأمر » النخ ؛ والوجه ما أثبت .

المجارى . ولو كان الأمر فيها مفوضاً إلى تقدير الرأى ، لكان ينبغى لغالب ابن صعصعة^(١) أن يكون من المشهورين بالجوود ، دون هرمٍ وحاتم .

(كلف العامة بماثر الجاهلية)

فإن زعمتَ أن غالباً كان إسلامياً وكان حاتمٌ فى الجاهلية ، والناسُ بماثر العرب فى الجاهلية أشدُّ كلفاً ، فقد صدقت . وهذا أيضاً يُنبئك أن الأمورَ فى هذا على خلافِ تقدير الرأى ، وإتما تجرى فى الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدّم فى تعييتهما^(٢) وتسويتهما من لا تخفى عليه خافية ، ولا يفوته شيءٌ ولا يُعجزه . وإلا فما بالُ أيامِ الإسلام ورجالها لم تكن أكبرَ فى النفوس ، وأحلَّ^(٣) فى الصدور من رجال الجاهلية ؛ مع قرب العهد وعِظَمِ خطرِ ماملِكوا ، وكثرة ماجادات به أنفسهم ؛ ومع الإسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم . ولو أن جميعَ ماثر الجاهلية وُزنت به ، وبما كان فى الجماعات اليسيرة^(٤) من رجالات^(٥) قريش فى الإسلام لأربت [هذه^(٦)] عليها ، أو لكانت مثلها .

٣٨

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على على . وأبوه صعصعة له صحبة . وأخته هنية بنت صعصعة زوج الزبير بن بدر ؛ أدركت النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب فى نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبىة الجيش بمعنى تهيئته فى مواضعه ، وفى ط : « تعيينها » وهو تحريف ما أثبت من س ، م .

(٣) كذا بالخاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفى س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هى صفة « الجماعات » .

(٥) فى الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخالق على الخالق)

فليس لقدّر الكلب والدّيك في أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلّهما من صدور العامّة أسلفنا^(١) هذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقف على أثمانهما من الفضة والذهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما نتنظر^(٢) فيما وضع الله عزّ وجلّ فيهما من الدّلالة عليه ، وعلى إتقان صنّعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيف حكمته ؛ وفيما استخزناهما^(٣) من عجائب المعارف ، وأودعناهما من غوامض الأحساس^(٤) ، وسخر لهما من عظام المنافع والمرافق ، ودلّ بهما على أن الذي ألبسهما ذلك التدبير ، وأودعناهما تلك الحكم ، يجب^(٥) أن يفكر فيهما ؛ ويعتبر بهما ، ويسبح الله عزّ وجلّ عندهما . فغشى ظاهرهما بالبرهان ، وعمّ باطنهما بالحكم ، وهيج على النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلّ ذى عقل أنه لم يخلق الخلق سُدىً ؛ ولم يترك الصّور هملاً ؛ وليعلموا أن الله عزّ وجلّ لم يدع شيئاً غفلاً غير موسوم^(٦) ، ونثراً غير منظوم ، وسُدىً غير محفوظ ؛ وأنه لا يخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حليّ تدبيره^(٧) ، ولا من زينة الحكم وجلال قدرة البرهان .

-
- (١) ط ، م : « أسبقنا » و س : « سبقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .
(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفي الأصل : « نتنظر » من الانتظار ، وهو تحريف .
(٣) استخزناهما : استودعناهما . وفي الأصل : « اسخرجهما » ، وليس بشيء .
(٤) الأحساس : جمع حس .
(٥) في الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .
(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى في الأصل « مرسوم » .
(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثُمَّ عَمَّ ذَلِكَ بَيْنَ الصُّوَابَةِ^(١) وَالْفَرَّاشَةِ ، إِلَى الْأَفلاكِ السَّبْعَةِ وَمَا دُونَهَا
مِنَ الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ .

(تَأْوِيلُ آيَةِ الْكَرِيمَةِ : وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجِه هذا الكلامُ
في وجوه : أحدها أن تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لا يعلم بمكانهم
[كثيرٌ]^(٢) من الناس ، ولا بدَّ أن يعرف ذلك الخلقُ معنى نفسه ، أو يعلمه
صفوة [جنود]^(٣) الله وملائكته ، أو تعرفه الأنبياء ، أو يعرفه [بعضٌ]^(٤)
الناس ، لا يجوز إلا ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عني أنه خلق أسباباً ،
ووهب عللاً ، وجعل ذلك رِفدًا لما يظهر لنا ونظاما .

وكان بعض المفسرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله :
﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فليؤقِدْ نارا في وسط غَيْضَةٍ ، أو في صحراء
برية^(٥) ثم ينظر إلى ما يغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج
فإنه سيرى صوراً ، ويتعرف خلقاً لم يكن يظنُّ أن الله تعالى خلق شيئاً
من ذلك العالم^(٦) . وعلى أن الخلق الذي يغشى ناره [يختلف]^(٧) على
قدر اختلاف مواضع الغياض والبحار والجبال . ويعلم أن ما لم يبلغه أكثرُ

(١) الصُّوَابَةُ : بيضة القملة أو البرغوث . وهي في ط : « الصُّوَابَةُ » وفي س ، م :

« الصُّوَابَةُ » ، وكلاهما تحريف .

(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام . وجنود الله : في معنى ملائكته .

(٤) زيادة ضرورية .

(٥) لعلها « أو برية » .

(٦) لعلها « خلق شيئاً منه في ذلك العالم » .

(٧) الزيادة من س .

وأعجب . وما أَرَدُ هذا التأويل ، وإنه ليدخل عندي في جملة مَآتِلُ عليه
الآية . وَمَنْ لَمْ يَقْلْ ذلك لم يفهم عن ربّه ولم يفقه في دينه .

٣٩

(ديدان الخل والملح)

كأنك لا ترى أنّ في ديدان الخل والملح ، والديدان التي تتولد
في السموم إذا [عتقت ^(١)] وعرض لها العفن - وهي بَعْدُ ^(٢) قوائل - عبرة
وأعجوبة ، وأن ^(٣) التفكير فيها مشحذة للأذهان ، ومنبهة لذوى الغفلة ،
وتحليل لعقدة البلدة ^(٤) ، وسبب لاعتیاد الرويّة وانفساح الصدور ، وعزّ
في النفوس ، وحلاوة تقتاتها الرّوح ، وثمرّة تغذّي العقل ، وترقّ في الغايات
الشریفة ، وتشرف إلى معرفة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وكأنك لا ترى أنّ في فأرة البيش ^(٥) وفي السمندل ^(٦) آية غريبة ، وصفة
عجيبة ، وداعية إلى التفكير ، وسبباً إلى التعجب [والتعجب ^(٧)] .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لها فراغ في كل من س ، م
والتيمورية ، ولم يترك لها في ط . وقد سدّت هذا الفراغ بما نقل الشعالي
عن الجاحظ في ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه في (دودة الخل) . وعتق
الشيء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) في ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) في الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور .
وفي الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنهما بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغذى بالسموم فلا تضرها « وليست بفأرة ولكن هكذا
تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط في النار فلا يحترق ريشه - زعموا . (الحيوان ٥ :

٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكلّة من مب .

(الجُعَلُ والورد)

وكأنَّكَ لا ترى أن في الجُعَلِ ، الذي متى دفنته في الورد سكنت حركته
وبطلت^(١) في رأى العين رُوْحُه ، ومتى أعدته إلى الرُّوث انحلت عُقدته^(٢) ،
وعادت حركته ، ورجع حسُّه - أعجب العجَبِ ، وأحكم الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شىء أعجبُ من الخُلْدِ^(٣) ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهَيُّ
[الله^(٤)] له مايقوته^(٥) وهو أعمى لا يبصر ، وأصمُّ لا يسمع ، وبليدٌ
لا يتصرَّفُ ، وأبله لا يعرف ! ومع ذلك أنه لا يجوز بابَ جُحره ، ولا^(٦)
يتكلَّفُ سوى ما يجلبُ إليه رازقه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شىء أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلا أن يخلل أسنان
التَّمساح ، ويكون ذلك له^(٧)] .

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عياء صماء لا تعرف
ما يدنو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهي تعلم أن لاسمع لها ولا بصر لها ،
فتفتح فاهها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شديقها ويهر بين
حييها ، فتسد فها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها
وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكي في
التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان في حجم ابن عرس . . . وليس له بصر . . .
وهو أقوى الحيوانات سمماً » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكملة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأىُّ شَيْءٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر (١)
 من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقِّ السُّند ، أحدهما كبيرُ الجُثَّة
 يرتفع في الهواء صُعْدًا (٢) ، والآخَرُ صغير الجُثَّة يتقلَّب عليه ويعبَثُ به ، فلا
 يزال مرَّةً يرفرفُ حَوْلَه ويرتقى على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند دُنابَاهُ ،
 ويدخلُ تحتَ جَنَاحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزال يغمُه ويكرُّبه (٣)
 حتَّى يتَّقِيه بذرقِهِ ، فإذا ذَرَقَ شحاله فاه (٤) فلا يخطى أقصى حلِقِه حتَّى كأنَّه
 دحا (٥) به في بئر ، وحتَّى كأنَّ ذَرَقَه مدحاةٌ بيد أسوار (٦) ، فلا الطائر
 الصغير يخطى في التلقَّى ، وفي معرفته أنَّه لارزق له إلَّا الذي في ذلك المكان ،
 ولا الكبير يخطى التَّسديد (٧) ، ويعلمُ أنَّه لا ينجيه منه إلا أن يتَّقِيه
 بذرقِهِ ، فإذا أوعى ذلك الذَّرَق (٨) ، واستوفى (٩) ذلك الرِّزق ، رجع

(١) الجدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدة بالكسر
 أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا م ب : « مصعدا » .

(٣) ط : « يغمه ويكرُّبه » ، وصوابه في س ، م . وفي م ب : « يغمه ويكرُّبه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا م ب : « يذرق فإذا ذرق شحافاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت ما في س . و « رما - وصوابهما رمى - » و « دحا »
 بمعنى . وفي م ب : « كأنه راد في بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أى الرمي . الأسوار بالضم والكسر : الجيد
 الرمي بالسهم . م ب : « مدحاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التَّسديد : إصابة الهدف . ماعدا م ب : « التَّسديد » .

(٨) الذَّرَق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . م ب : « وعى » .

(٩) ط : « استوى في » ، وصوابه في س ، م ب .

شبعان رِيَّانَ بقُوتِ يومه ، ومضى الطائرُ الكبيرَ لِطَبِئَتِهِ . وأمرهما مشهورٌ
وشأنهما ظاهر ، لا يمكن دفعه ولا نُهْمَةُ المخبرين عنه .

(التخالف بين الحيوان في الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوشِ كَسُوباً محتالاً ، وبعضَ الوحوشِ
متوكِّلاً غيرَ محتالٍ ، وبعضَ الحشراتِ يدَّخِرُ لنفسه رِزْقَ سنَّتِهِ ؛ وبعضاً
يتكل على الثَّقةِ بأنَّ له كلَّ يومٍ قَدْرَ كِفَايَتِهِ ، رزقاً معدَّاً وأمرًا مقطوعاً .
وَجَعَلَ [بعضَ (١)] المَمَّجِ يدَّخِرُ ، وبعضه يتكسَّبُ ، وبعضَ الذكورِ يعولُ
ولده ، وبعضَ الذكورِ لا يعرف ولده ، وبعضَ الإناثِ مُنْخَرَجٌ ولدها (٢) ،
وبعضَ الإناثِ تضيِّع ولدها وتكفلُ ولدَ غيرِها ، وبعضَ الأجناسِ معطوفةٌ
على كلِّ ولدٍ من جنسها ، وبعضَ الإناثِ لا تعرف ولدها بعد استغنائها عنها ،
وبعضَ الإناثِ لا تزال تعرفه وتعطفُ عليه ، وبعضَ الإناثِ تأكلُ ولدها ،
وكذلك بعضَ الذكورِ . وبعضَ الأجناسِ يُعادى كُلُّ ما يكسر بيضها (٣)
أو يأكل أولادها . وجعل يُتَمُّ بعضَ الحيوانِ من قِبَلِ أمهاتها ، وجعل يُتَمُّ
بعضها من قِبَلِ آبائها ، وجعل بعضها لا ياتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها
مستفْرِغَ الهمِّ في حُبِّ الذرِّ (٤) والتماسِ الولدِ ؛ وجعل بعضها يُزَاجُ وبعضها لا يزَاجُ

(١) التكلة من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج .
كما نقل الجاحظ عن أرسطو في الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لا بد أن
تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اه لكن المقابلة ترجح
الضبط الأول . وفي مب : « تبفض ولدها » .

(٣) ما عدا مب : « كل شيء يكسر بيضها » .

(٤) الذرء : النسل .

ليكون للمتوكل من الناس جهةً في [توكله ، وللمتكسب جهةً في ^(١)] تكسبه
وليُحْضِرَ ^(٢) على بالهم أسباب الِبرِّ والعُتوق ، وأسبابَ الحُظْر والتربية ،
وأسبابَ الوَحْشَة من الأرحام الماسَّة .

(افتراق المعاني واختلاف العلل)

ولم كانِ افتراقِ المعاني ^(٣) واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبعضهم : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » ^(٤) . وقال لبلال : « أَنْفِقْ بِلَالُ ، وَلَا تَخْشَ
مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ! » .

[فافهموا هذا التدبير ، وتعلموا هذه الحكم ، واعرفوا مداخلها ومخارجها
ومفرقاتها ومجموعاتها ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُرَدِّدْ في كتابه ذِكْرَ الاعتبارِ ، والحثِّ
عَلَى التَّفْكِيرِ ، والترغيبِ في النظرِ وفي التثبُّتِ والتعرُّفِ والتوقُّفِ ^(٥)] ، إلَّا
وهو يريد أن تكونوا علماء من تلك الجهة ، حكماء من هذه التعبئة ^(٥) .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنه لولا الاستدلال
بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع ^(٦) ، والردى
من الجيد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعل الله عزَّ وجلَّ العيونَ المدركة .
والإنسانُ الحساسُ ^(٧) إذا كانت الأمور المميَّزة عنده ، أخذ ما يحتاج إليه وترك
ما يستغنى عنه وما يضرُّ لُخْذَه ^(٨) ، فيأخذ ما يحبُّ ويدعُ ما يكره ، ويشكر

(١) التكلة من مب . (٢) ماعدا مب : « ولتحظر » .

(٣) ماعدا مب : « اقتران المعاني » .

(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .

(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : « الضار من النافع » .

(٧) في الأصل : « ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « وما يضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفية العقاب ،
ويذكر بالمحسوب كيفية الثواب ، ويعرف بذلك كيفية التضاعيف ، ويكون
مايغمه رادعاً له ، وممتحناً بالصبر عليه ، وما يسره باسطاً له وممتحناً بالشكر
عليه . وللعقل في خلال ذلك مجال ، وللرأى ثقل ، وتندى^(١) للخواطر
أسباب ، ويتهيأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسية^(٢)
والوجدانات الغريزية ، وتميز الأمور بها ؛ إلى ما يميز عند العقول^(٣) وتحصره
المقاييس . وليكون عمل الدنيا سلماً إلى عمل الآخرة ، وليترقى من معرفة
الحواس إلى معرفة العقول ، ومن معرفة الروية من غاية إلى غاية ؛ حتى
لا يرضى من العلم والعمل إلا بما أذاه إلى الثواب الدائم ، ونجاءه من
العقاب الأليم^(٤) .

(ما يحسن الكلب مما لا يحسنه الإنسان)

سندك كُرُّ طرفاً مما أودع الله - عز وجل - الكلب مما لا تحسنه أنت
أيها الإنسان ، مع احتقارك له وظلمك إيَّاه .

وكيف لا تكون تلك الحكم لطيفة ، وتلك المعاني غريبة ، وتلك
الأحاساس دقيقة ، ونحن نعلم أن أدق الناس حساً وأرقهم ذهناً وأحضرهم
فهماً ، وأصحهم خاطراً وأكملهم تجربة وعلماً ، لو رام الشيء الذي يحسنه
الكلب في كثير من حالات الكلب لظهر [له^(٥)] من عجزه وخرقه ، وكلال

(١) في س : م ، م : « وتشر » . وفي ط : « تنشو » . وأثبت ما في م ب .

(٢) ط : « الحبيبة » ، وتصحيحه من س .

(٣) ماعدا م ب : « عنه العقول » تحريف .

(٤) ماعدا م ب : « الدائم » . (٥) التكلمة من م ب .

حدّه وفساد حسّه ، ما [لا^(١)] يعرف بدونه أنّ الأمور لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا على مبلغ عقله وتقديره ، ولا على محبّته وشهوته ؛ وأنّ الذي قسم ذلك لا يحتاج إلى المشاورة والمعاونة ، وإلى مكائفة ومُرافدة^(٢) ، ولا إلى تجربة وروية . ونحن ذاكرون من ذلك جملاً إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب في الصيد)

أعلم أنّ الكلب إذا عاين الطّباء ، قريبة كانت أو بعيدة ، عرف المعتلّ وغير المعتلّ^(٣) وعرف العنز من التّيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلاّ قصد التّيس - وإنّ علم أنّه أشدّ حُضراً ، وأطول وثبةً ، وأبعد شوطاً - ويدعُ العنز وهو يرى ما فيها من نقصان حُضرها وقصر قابِ خطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقَبَ ببوله^(٤) !!

(ما يعترى الحيوان عند الفزع)

وكلّ حيوانٍ^(٥) إذا اشتدّ فزعه ، فإنّه يعرض^(٦) له إمّا سلس البول والتقطير ، وإمّا الأُسْرُ^(٧) والحَقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأكتاف ، وبالعصى على الأستاه . وما^(٨) أكثر ما يعترهم البول والغائط .

(١) هذه الزيادة يستقيم الكلام .

(٢) ماعدا مب : « مكائفة ومرادفة » .

(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفي الديميري - وأحسب أنه نقل عن الجاحظ - « عرف المقتل من المدبر » .

(٤) حقب ببوله : تعمر عليه البول . (٥) ماعدا مب : « وكلّ الحيوان » .

(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .

(٧) الأُسْر ، بالضم : احتباس البول .

(٨) ط : « وأما » ، وصوابه في س . وفي مب : « فا » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأبطال إذا عاينَ العدوَّ قَطَرَ إلى أن يذهب عنه ، لهولِ الجنان^(١) .

وإذا حَقِبَ التَّيس^(٢) لم يستطع البَولُ مع شِدَّةِ الحُضْر ، ومع النَّفْرِ والزَّمَع^(٣) ، ووضع القوائم معاً ورفِعَها معاً ، في أَسْرَعَ من الطَّرْف^(٤) فيثقلُ عَدُوَّهُ ، ويقصُرُ مَدَى خُطَاهُ^(٥) ، ويعتريه البُهْرُ حَتَّى يُلْحِقَهُ الكلبُ فيأخذه .

والعز من الظباء إذا اعترها البولُ من شِدَّةِ الفزَع لم تجمععه ، وحذفت به كإيزاغ المخاض الضوَّارِبِ^(٦) ، لسَعَةِ السَّيْلِ وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدومَ شِدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

فهذا شيءٌ في طبعِ الكلبِ معرفته ، دونَ سائرِ الحيوان .
والكلبُ المحرَّبُ لا يحتاجُ في ذلك إلى مُعَانَةٍ ، ولا إلى تعلُّمٍ ، ولا إلى رويَّةٍ ولا إلى تكلفٍ ، قد كفاه ذلك الذي خلَقَ العَقْلَ والعَاقِلَ والمعقُولَ ، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداويَ ، وقَسَمَ الأمورَ على الحكمةِ ، وعلى تمامِ مصلحةِ الخليقةِ .

(ذكاء الكلب ومهارته في الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّ المُكَلَّبَ يُخرجه إلى الصيد في يومٍ ، الأرضُ فيه ملبَّسة من الجليد ، ومغشاة بالثلج ، قد تراكم عليها طبقاً على طبقٍ ،

(١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : «تعب» .
(٣) النفز : وثب الظبي خاصة ، ويقال ظبي ينفوز . وفي ط ، س : «النفز» بالراء . وفي مب : «البعر» . وفيما عدا مب : «والجزع» . والزمق : القلق والحرق .
(٤) كذا في س ، مب ، وهو الصواب . وفي ط : «فما أسرع في الطرف» .
(٥) ماعدا مب : «يقصر خطوه» .

(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . والمخاض : النوق الحوامل ، وهي في ط «المخاض» محرفة ، وصوابها في س ، مب . والضوَّارِب : التي تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :
بضرب يزيل الهام عن سكناه وطعن كإيزاغ المخاض الضوَّارِب

حَتَّى طَبَّقَهَا واستفاض فيها^(١) ، حَتَّى رُبَّمَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ بِرَدِّهَا ، فيعود كلُّ طَبَقٍ مِنْهَا وكأنَّه صَفَاءٌ مَلْسَاءٌ ، أو صَخْرَةٌ خَلْقَاءُ^(٢) ، حَتَّى لَا يَثْبُتَ عَلَيْهَا قَدَمٌ وَلَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ ، [إِلَّا]^(٣) بِالتَّثْبِيتِ الشَّدِيدِ ، أو بِالْجُهْدِ وَالتَّفْرِيقِ - فيمضَى^(٤) الكَلَابُ بِالْكَلبِ ، وهو إنسانٌ عَاقِلٌ ، وَصِيَاءٌ مَجْرُبٌ ، وهو مع ذلك لا يدري أينَ جُحِرَ الأَرنبُ مِنْ جَمِيعِ بَسَائِطِ الأَرْضِ^(٥) ، وَلَا مَوْضِعَ كُنَّاسِ ظَبْيٍ ، وَلَا مَكْرٍ ثَعْلَبٍ^(٦) ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِجِ^(٧) وَحُوشِ الأَرْضِ ؛ فيتخرَّقُ الكَلبُ^(٨) بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَيَتَشَمَّمُ وَيَتَبَصَّرُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقِفَ عَلَى أَفْوَاهِ تِلْكَ الجِحْرَةِ ، وَحَتَّى يُثِيرَ الَّذِي فِيهَا بِتَنْفِيسِ الَّذِي فِيهَا^(٩) ، وَذَلِكَ أَنَّ أُنْفَاسَهَا وَبُخَارَ أَجْوَافِهَا وَأَبْدَانِهَا ، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الحَرَارَةِ المَسْتَكْنَةِ^(١٠) فِي عَمقِ الأَرْضِ - مِمَّا يُذَيِّبُ مَلاَقَاهَا^(١١) مِنْ فَمِ الجُحْرِ ، مِنَ التَّلْجِ الجَامِدِ ، حَتَّى يَرِقَّ وَيَكَادُ أَنْ يَثْتَبِهَ^(١٢) وَذَلِكَ خَفِيُّ غَامِضٍ ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ قَانِصٌ^(١٣) وَلَا رَاعٍ ، وَلَا قَائِفٌ وَلَا فَلَاحٌ ، وَلَيْسَ يَقَعُ عَلَيْهِ إِلَّا الكَلْبُ الصَّائِدُ المَاهِرُ .

(١) ط : « استفاض فيها » ؛ وصوابه في سائر النسخ .

(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة الملساء التي لا يؤثر فيها شيء .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ماعدا مب : « فضى » ، تحريف .

(٥) مب : « بسيط الأرض » .

(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكن ثعلب » .

(٧) موالج : مداخل .

(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .

(٩) بتنفيس الذي فيها ؛ ليس في مب .

(١٠) ط : « المستكنة » ، وأثبت ما في س ، م ، مب .

(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .

(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .

(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه في س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أن للكلب^(١) في تتبّع الدرّاج^(٢) والإصعادِ خَلْفَ الأرانب
في الجبلِ الشاهق ، من الرّفق وحسن الاهتداء والتأثّي^(٣) مايجئى مكانه
على البيازرة^(٤) والكلّابين .

(الانتباه الغريزي في الكلب)

وقد خبرني صديقٌ لي أنه حبس كلباً له في بيتٍ وأغلقَ دونه الباب
في الوقت الذي كان طبّأخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثمّ أحدّ
سيكّيناً بسكين ، فنبّح الكلب [وقدق^(٥)] ، ورام فتح الباب ؛ لتوهّمه أن
الطبّأخ قد رجّع من السوق بالوظيفة^(٦) ، وهو يجد السكّين ليقطع اللحم !!
قال : فلما كان العشيّ صنعناً به مثلَ ذلك ، لتتعرّف حاله في معرفة
الوقت ، فلم يتحرّك !!

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لي آخرَ فلم يقلقُ إلاّ قلقاً يسيراً ، فلم يلبث
أن رجّع الطبّأخُ فصنع بالسكّين مثل صنيعى ، فقلق حتى رام فتح الباب !!
قال فقلت : والله لئن كان عرفَ الوقتَ بالرّصد^(٧) فتحرك له ، فلما لم
يشمّ ريحَ اللحم عرفَ أنه ليس بشيء ، ثمّ لما سمع صوتَ السكّين

(١) في الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .

(٢) الدرّاج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا
أنه اللطف . و « تتبّع » هي في الأصل : « تنبّيح » وفي مب : « تبنيج » ، والوجه ما أثبت .

(٣) مب : « التأثّي » ؛ وفيما عداها : « التأثّي » ؛ والوجه ما أثبت . والتأثّي : حسن الاحتيال .

(٤) ماعدامب : « لايجئى » و « لا » مقحمة ؛ و البيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو
الصائد باليازى . ماعدامب : « البياز » ؛ وهو تحريف ما أثبت من مب .

(٥) التكلّة من مب .

(٦) الوظيفة : ما يقدر من طعام أو رزق في اليوم ، وكذا في السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهَب ، وَقَدْ جِئَءَ بِاللَّحْمِ [فِشْمٌ رِيحَ اللَّحْمِ] من المَطْبِخِ (١) وهو في البيت ، أو عرف فَصْلُ (٢) ما بين إحدَادِي السُّكَّيْنِ وإحدَادِ الطَّبَاخِ ، إنَّ هذا أيضاً لَعَجَبٌ .

وإنَّ اللَّحْمَ لِيَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الذَّرَاعَانِ وَالثَّلَاثَ الأذْرَعِ ، فَمَا أَجْدُ رِيحَهُ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ أُذْنِيَهُ مِنْ أُنْقَى . وَكُلُّ ذَلِكَ عَجَبٌ .

وَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ سَكَّةِ أَصْطَفَانُوسِ (٣) ، وَدَارَ جَارِيَةَ ، وَبَاعَةَ مُرَبَّعَةَ بَنِي مِثْقَرٍ (٤) يَشْكُونَ أَنَّ كَلْباً كَانَ يَكُونُ فِي أَعْلَى السَّكَّةِ ، وَكَانَ لَا يَجُوزُ مَحْرَسَ الحَارِسِ أَيَّامَ الأَسْبُوعِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَقْبَلَ قَبْلَ صَلَاةِ الغَدَاةِ ، مِنْ مَوْضِعِهِ ذَلِكَ إِلَى بَابِ جَارِيَةَ ، فَلَا يَزَالُ هُنَاكَ مَا دَامَ عَلَى مِغْلَاقِ الجُزَارِ شَيْءٌ مِنْ لَحْمٍ . وَبَابُ جَارِيَةَ تُنْحَرُ عِنْدَهُ الجُزُرُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ الجَمْعِ خَاصَّةً ، فَكَانَ ذَلِكَ لِهَذَا الكَلْبِ عَادَةً ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ [مِنْهُمْ] فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ فِي سَائِرِ الأَيَّامِ (٥) ، حَتَّى إِذَا كَانَ غَدَاةَ الجُمُعَةِ أَقْبَلَ !

فَلَيْسَ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا إِلاَّ عَنِ مَقْدَارِيَّةٍ (٦) بِمَقْدَارِ مَا بَيْنَ الوَقْتَيْنِ .

وَلَعَلَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَنْتَابُونَ بَعْضَ [هَذِهِ (٧)] المَوَاضِعِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ ،

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما في س ، م ب . والتكلمة قبله من م ب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) موضع في البصرة ، سمى باسم كاتب نصراني كان في أيام زياد أو ما قاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « المخطوط مقسومة » لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصفهانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضاف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصراني من أهل البحرين - يريد أصفهانوس - وتركوا الصحابة . معجم البلدان (أصفهانوس ، وسكة أصفهانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفي ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ما أثبت من س ، م ، م ب ، والتيمورية . وهي وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكلمة من م ب . و « في سائر الأيام » ساقط من م ب . وفي سائر النسخ : « في سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعي من كلمة « مقدار » . م ب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إِمَّا لصلَاةٍ ، وإما لغير ذلك ، فلا يَعْدِمُهُمْ^(١) النَّسِيَانُ من أنفسهم ،
والاستذكار بغيرهم^(٢) . [وهذا^(٣)] الكلبُ لم ينسَ من نفسه ، ولا
يستذكر بغيره^(٤) .

وزعم هؤلاء بأجمعهم أنهم تَفَقَّدُوا شَأْنَ هذا الكلب منذ انتبهوا
لصنعيه هذا^(٥) ، فلم يجدوه غادراً ذلك يوماً واحداً . فهذا هذا .

(قصة في وفاء الكلب)

وأنشد أبو الحسن بن خالويه^(٦) عن أبي عبيدة لبعض الشعراء :
يُعَرِّدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ وَيُنْدِشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ^(٧)
قال أبو عبيدة^(٨) : قيل ذلك لأنَّ رجلاً خرج إلى الجَبَّانِ ينتظر رِكَابَهُ
فأتبعه كلبٌ كان له ، فضرب الكلبَ وطردَه ، وكره أن يتبعه ، ورماه
بحجر ، فأبى الكلبُ إلا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذي يريد فيه
الانتظار ، ربض الكلبُ قريباً منه ، فبينما هو كذلك^(٩) إذ أتاه أعداءُ له يُطلبونه

(١) يقال ما يعدمني هذا الأمر : أى ما يعدوني . ويقال أيضا : أعدنى الشيء :

إذا لم أجده . وفى ط : « لا يعد فيهم » ، وهو تحريف ماى س ، م ب .

(٢) ما عدا م ب : « لغير » .

(٣) التكملة من م ب . (٤) ما عدا م ب : « ولم يتذكر » .

(٥) كلمة « هذا » من م ب فقط . وفيما عدا م ب : « لصنعه » . (٦) م ب : « بن حلوه » .

(٧) التعرید : الإحجام والفرار . وفى الأصل : « يعود » ، وليس لها وجه يصح .

والصواب ما كتبت من تأويل مختلف الحديث ص ١٦٦ .

(٨) قصة البيت رواها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث عن أبي عبيدة أيضا ، ولكنها تبين

ما هنا ، قال : « وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له ،

فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً ، وجاءت الغربان

وصباح الطير فحاتت حوله ، تريد أن تنهشه وتقلع عينيه ، ورأى ذلك كلب كان معه ،

فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه ، وأسلمه » .

(٩) ما عدا م ب : « قريباً فبينما هو كذلك » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جارٌ له وأخوه دُنِيًّا^(١) ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جراحاتٍ ورُمى به في بئرٍ غيرِ بعيدةٍ القعر ، ثم حَثُوا عليه من التراب حتى غَطَّى رأسَه^(٢) ثم كُمَّمَ فوقَ رأسِهِ منه^(٣) ، والكلبُ في ذلك يَزْجُمُ^(٤) وَيَهْرُ ، فلَمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئرِ ؛ فما زال يَعمى وينبث^(٥) عنه ويحشُو التُّرابَ بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسه ، فتنفَّسَ ورُدَّتْ إليه الرُّوحُ^(٦) ٤٤ وقد كاد يموتُ ولم يبق منه إلا حُشاشةٌ ، فبينما هو كذلك إذ مرَّ ناسٌ فأنسكروا مكانَ الكلبِ ورأوه كأنه يحفر عن قبرٍ ، فنظروا فإذا هم بالرجُلِ في تلك الحال ، فاستشالوه^(٧) فأخرجوه حيًّا ، وحملوه حتى أدَّوه إلى أهله . فزعم أن ذلك الموضعَ يُدعى بئرَ الكلبِ . وهو مُتَيَّمين عن النَّجفِ^(٨) . وهذا العملُ يدلُّ على وَفَاءٍ طَبِيعِي^(٩) وإِلْفٍ غَرِيزِيٍّ ومَحَامَاةٍ شَدِيدَةٍ . وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرمٍ وشكرٍ ، وعلى غِنَاءٍ عَجِيبٍ ومنفعةٍ تفوقُ المنافعَ ؛ لِأَنَّ ذلك كُلَّهُ كان من غيرِ تكلفٍ ولا تصنعٍ .

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسي : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين . وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعلى لا يكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث . » ودنيا بمعنى الأذى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تنقل إلا في ابن العم أو العمّة أو ابن الحال ، أو الحالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) اعدا مب : « ثم حشى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزجم » . وفي سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ما أثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش تراها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النجف » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابي)

وقال مؤمل^(١) بن خاقان، لأعرابي من بني أسد، وقد أكل جروا كلب:

أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر^(٢) :

إذا أسدىُّ جاع يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبه فهو آكله

أكل هذا قرماً إلى اللحم؟ ! قال : فأنشأ^(٣) الأسدى يقول:

وصباً بحظّ اللبث طُعماً وشهوةً

فسائل أخا الحلفاء إن كنت لا تدري^(٤)

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسد^(٥) لا يحرص على شيء من اللحمانِ حرصه على

لحم الكلب . وأمّا العامّة فتزعم أنّ لحوم الشاء أحبُّ اللحمانِ إليه ، قالوا :

ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لأنَّ وثبة

الأسد تُعجل الكلب عن القيام وهو رابض . حتّى رُبّما دعاهم ذلك إلى

إخراج الكلب من قراهم ؛ إلاّ أن يكون بقرب ضياعهم خنازير ، فليس

حينئذٍ شيء أحبّ إليهم من أن تكثر الأسد عندهم . وإِنّما يُخرجون

عنهم في تلك الحالات الكلاب^(٦) ، لأنّهم يخافونها على ما هو عندهم أنفسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥ .

(٢) هو الفرزدق كما في البخلاء ١٩٨ والمعاني الكبير ٢٥٤ .

(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .

(٤) ماعدا مب : « الخلاء » وفي ط : « أخى » ، صوابه في مب والمعاني الكبير . قال

ابن قتيبة : « وأخو الحلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الحلفاء في الغياض » .

(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ما أثبت من س ، م . وفي مب : « وذلك أن الأسد » .

(٦) مب : « وإِنّما يخرجون في تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ في الكلب^(١) ، ولا يكون ذلك إلا في القرى
التي يقرب الغيضة أو المأسدة^(٢) .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعم^(٣) بعض الدهاقين قولاً لا أدري كيف هو : ذكر^(٤) أنهم لا يشكون
أنه إنما يطلب الكلب لحنقه عليه . لا من طريق أن لحمه أحب اللحمان
إليه . وإن الأسد ليأتي مناقيع المياه ، وشطوط الأنهار ، فيأكل السراطين
والضفادع ، والرق^(٥) والسلاحف ، وإنه أشرد من أن يختار لحمًا على لحم .
قال : وإنما يكون ذلك منه إذا أراد المتطرف من حمير القرية وشائها
وسائر دوابها . فإذا لجج الكلب في النباح انتبهوا ونذروا بالأسد^(٦) . فكانوا
بين أن يحصنوا أموالهم وبين أن يهجهجوا به^(٧) . فيرجع خائباً . فإذا أراد
ذلك بدأ بالكلب ؛ لأن يأمن [بذلك] الإنذار^(٨) ، ثم يستولى على القرية^(٩)
بما فيها . فإتما يطالب الأسد الكلاب لهذه العلة .

٤٥

(١) هذه الجملة ساقطة من م .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا م : « التي تقرب » .

(٣) ما عدا م : « وقال » .

(٤) ما عدا م : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفي الأصل : « الرق » بالزاي ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الدال . م : « فالج الكلب
في النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج ! .

(٨) أى لكي يأمن الإنذار . ما عدا م : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط . بيتون في أعلى القرية . م ، م : « ثم يستولى على القرية » ، صوابها من م .

(من حيل الأسد في الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شيوخ ملاحى الموصل - وأنا هائب له - ورأيتُ الحديثَ يدور بينهم ، ويتقبله جميعهم . وزعموا أنَّ الأسدَ رُبَّما جاء إلى قلس السفينة^(١) ، فيتشبَّث به ليلاً ، والملاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القلس قد التفتَ على صخرة ، أو تعلقَ بمجذم شجرة^(٢) . ومن عاداتهم أن يبعثوا الأوَّل من المدادين ليحلَّه^(٣) . فإذا رجع إليه الملاح ليمدَّه تمدد الأسدُ بالأرض ، ولزق بها^(٤) وغمض عينيه كي لا يبصرَ ويصُصُّهما بالليل^(٥) ، فإذا قرب منه وثب عليه فخطفه^(٦) ، فلا يكون للملاحين همٌّ إلاَّ الإلقاءَ أنفسهم في الماء وعبورهم إليه . وربما أكله إلا ما بقى منه ، ورُبَّما جرَّ فريسته إلى عريسه وعرينه^(٧) ، وإلى أجراءه وأشباليه ، وإن كان ذلك على أميال^(٨) .

(سلاح الكلب وسلاح الديك)

قالوا : فليس الديك من بابة الكلب ؛ لأنه إن ساوره قهره قهراً ذريعاً . وسلاح الكلب الذى هو [فى^(٩)] فيه ، أقوى من صيصة^(١٠)

-
- (١) القلس ، بالفتح : جبل غليظ من جبال السفن . ما عدا مب : « جليل قلس السفينة » .
 (٢) جذم الشجرة : أصلها .
 (٣) ط : « أول المدادين » ، محرفة . وفى م : « أول المدادين » ، وأثبت ما فى س ، مب . وفيما عدا مب : « ليحلّه » .
 (٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
 (٥) الوبيص : البريق . مب (٦) : « فخطمه » .
 (٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفى م : « عريشته » وفى مب : « إلى عريسته وعرسه » .
 (٨) ما عدا مب : « وإن كان ذلك على أميال » .
 (٩) زيادة ضرورية .
 (١٠) الصيصة : شوكة فى رجل الديك ، كما فى اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك مخنفة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الديك التي (١) في رجله (٢) ، وصوته أُنْدَى وأبَعْد مَدَى (٣) .
وعينه أيقظ .

(دفاع عن الكلب)

والكلب يكتفى نفسه (٤) ويحمى غيره ، ويعول أهله ، فيكون لصاحبه
غُنمه وليس عليه غُرمه . وَلَمَّا يَرْمَحُ (٥) الدوابُّ من الناس ، وَلَمَّا يَجْرَن
ويجْمَح ، وتنطح وتقتل أهلها في يومٍ واحد ، أكثرُ مما يكونُ من جميع
الكلاب في عام .

والكباش يَنْطَحُ فيعقِر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبَث به .

والبرذون يَعْضُ ويرْمَح من غير أن يُهاج به ويُعبَث .

وأنت لانتكادُ ترى كلباً يَعْضُ أحداً إلا من تهبيج شديد ، وأكثر ذلك

أيضاً إنما هو النباح والوعيد .

(١) في الأصل : « الذي » ، والوجه ما أثبت .

(٢) قرأت في نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفي الديك الصيصة ، وهي طرف عرْفه

الحاد ، وهي سلاحه الذي يقاتل به ، وبها سمي قرن الثور صيصة » ، فقد جعل

الصيصة في العرف كما ترى .

(٣) أُنْدَى في معنى أبعد . وفي ط : « الذي أبعد » : تحريف صوابه في س . وكلمة « مدى »

من مب .

(٤) ما عدا مب : « يحمى نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ماءدا مب : « ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة السكاب صاحبه وفرحه به)

والسكاب يعرف وجهَ ربِّه ^(١) [من وجه عبده] وأمته ، ووجهَ الزائر .
حتَّى رَجَمَا غاب صاحب الدار حولاً مجرماً ^(٢) ، فإذا أبصره قادماً اعتراه من
الفرح والبصبة ، والُغواء ^(٣) الذي يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ،
مالا يكون فيه شيءٌ فوقه ^(٤) .

(قصّة في وفاء كلب)

وخبرني صديقٌ لي قال : كان عندنا جروٌ كلب ، وكان لي خادمٌ
لهجٌ بتتريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرٌ المعايضة له ، فغاب عن
البصرة أشهراً ^(٥) ، فقلت لبعض من عندي : أتظنون أن فلانا (يعني الكلب)
يُثبت اليوم صورةَ فلان (يعني خادمه الغائب) وقد فارقه وهو جرو ، وقد
صار كلباً يشغّر ببوله ؟ قالوا : مانشك أنه قد نسيَ صورته وجميعَ برّه كان به ^(٦) .
قال : فبينما أنا جالسٌ في الدار إذ سمعت من قبَلِ بابِ الدار نباحه ، فلم أرَ
شكلاً نباحه من التائب ^(٧) والتعثيث ^(٨) والتوعّد ، ورأيت فيه بصبّة

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكلمة بعده من مب .

(٢) مجرماً : كاملاً . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولاً كاملاً » وفي س : « نعم ربما

غاب عنه صاحبه حولاً كاملاً » ، صوابه في مب .

(٣) ط : « والالتواء » .

(٤) ماعدا مب : « بما لاشيء فوقه » .

(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهراً » .

(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .

(٧) كذا . وفي س : « التائب » وفي مب « من شكل التائب » .

(٨) التعثيث : الترجيع في الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُرور ، وحنين الإلف . ثمَّ لم ألبث أن رأيتُ الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ ٤٦
الكلبَ ليلتفُّ على ساقيه ، ويرتفع إلى فخذيه ، وينظر في وجهه ، ويصبح
صياحاً يستبين فيه الفرحُ . واقدم بلغ من إفراط سُورهِ أنِّي ظننتُ أنه
عُرِضُ^(١) . ثمَّ كان بعد ذلك يغيب الشهرين والثلاثة ، أو يمضي إلى بغدادَ
ثم يرجع إلى العسكر^(٢) بعد أيام ، فأعرفُ بذلك الضربَ من البصبصة ، وبذلك
النوع من النباح ، أنَّ الخادمَ قديم . حتَّى قلتُ لبعض من عندي^(٣) : ينبغي أن
يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الكلب .

وزعم لي أنه ربَّما ألقِيَ لهذا الجرو إلى أن صار كلباً تاماً ، بعضُ الطعام
فيأكل منه ما أكل ، ثم يمضي بالباقي فيخبؤه^(٤) . وربَّما ألقِيَ إليه الشيءُ
وهو شبعان فيحتمله ، حتَّى يأتي به بعض الخابي فيضعه هناك ، حتَّى إذا
جاء رجَع إليه فأكله .

(أدب الكلب)

وزعم لي غلماني وغيرهم من أهل الدرب ، أنه كان ينبح على كلِّ
راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه ، سائساً كان أو صاحب دابةٍ
إلا أنه كان إذا رأى محمد بن عبد الملك داخلاً إلى باب الدرب أو خارجاً
منه ، لم ينبح ألبتة ، لا عليه ولا على دابته ، بل كان لا يقف له على الباب
ولا على الطريق ، ولسكنه يدخل الدهليز سريعاً ، فسألتُ عن ذلك فبلغني

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدي ، المعروف بالرصافة ، سمى بذلك لأن المهدي عسكر به حين شخص إلى
الري . منجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندي » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاح به الخادم ، وأهوى له بالضرب^(١) ، فيدخل الدهليز ،
وأنه ما فعل ذلك به إلا ثلاث مرار^(٢) ، حتى صار إذا رأى محمد بن عبد الملك ،
دخل الدهليز من تلقاء نفسه ، فإذا جاوز وثب على عراقيب دواب
الشاكرية^(٣) . ورأيت هذا الخبر عندهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين ، فكان
لا يقربنا ، لمكان الزجر^(٤) ، ولا يبتعد عن الخوان ، لعلَّه الطمع ، فإن ألقينا
إليه شيئاً أكله ثمَّ ، ودنا من أجل ذلك بعض الدُّنُو . فكُنَّا نستظهرُ
عليه^(٥) ، فزرمي باللُّقمة فوق مَرَبِضِهِ بأذرع . فإذا أكلها ازداد في الطَّمع ،
فقربهُ ذلك من الخِوان ، ثمَّ يجوز موضعه الذي كان فيه . ولولا ما كنا
نقصد إليه من امتحان ما عنده ، ليصير ما يظهر لنا حديثاً ، لكان إطعام
الكلب والسُّنور من الخِوان خطأ من وجوه : أوَّها أن يكون بصير
له به ذرْبَةٌ^(٦) ، حتى إنَّ منها ما يمدُّ يده إلى ما على المائدة^(٧) حتى

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب : « مرات » .

(٣) في القاموس « الشاكري : الأجير المستخدم ، معرب چاكر » ، والجاحظ يستعملها
بمعنى الجند ، قال في رسالته إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (رسائل الجاحظ
١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت
في الصورة والخط والهجاه أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب
ماتوهم ، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والهجاه اسم الجند ، فإن
المعنى فيهما ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد
بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فرجمناه » ، و « لمكان الرجم » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدرية » ، والوجه ما في مب .

(٧) ماعدا مب : « الخوان » .

ربما تناول بفيه ما عليها^(١) ، وربما قاء الذي يأكل^(٢) [وهم يرؤنه] ، وربما لم يرضَ بذلك حتى يعودَ في قيئه . وهذا كله مما لا ينبغي أن يحضره الرئيس ، ويشهده ربُّ الدار . وهو على الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدي السباع)

٤٧ فأما علماء الفرس والهند ، وأطبائهم اليونانيين ودُهاة العرب ، وأهلُ للتَّجربة من نازلة الأمصار وحذاق المتكلمين^(٣) ، فإنهم يكرهون الأكل بين أيدي السباع ، يخافون نفوسها وأعينها ، للذي فيها من الشرِّه والحرص ، والطلب والكَلْب ، [ولِمَا^(٤)] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء ، وينفصل من عيونها من الأمور المفسدة ، التي إذا خالطت طباعَ الإنسان نقضته^(٥) .

وقد روى مثل ذلك عن الثوري عن سماك بن حرب عن ابن عباس أنه قال على منبر البصرة : إن الكلاب من الجن ، وإن الجن من ضعفه الجن ، فإذا غشيتكم منها شيء [فآلقوا إليه شيئاً^(٦)] واطردوها ، فإن لها أنفساً سوء .

ولذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالنداب والأشربة على رؤوسهم وهم يأكلون ؛ مخافة النفس والعين . وكانوا يأهرون بإشباعهم قبل أن

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .

(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكلمة بعده من مب .

(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست في مب .

(٤) التكلمة من مب ، وبعدها في مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .

(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الغائبة .

(٦) الزيادة من م ، م ، مب . وفي تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيتكم عند طعامكم فآلقوا لها ، فإن لها أنفساً » ، قال ابن قتيبة : « يعني أن لها عيوناً نصيب بها . والنفس العين » .

يأكلوا ، وكانوا يقولون في السنور والكلب : إِمَّا أَنْ تَطْرَدَهُ قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَ
وإِمَّا أَنْ تَشْغَلَهُ بِشَيْءٍ يَأْكُلُهُ ، وَلَوْ بَعْظَمَ .

ورأيتُ بعضَ الحكماء وقد سقطت من يده لقمة فرفَعَ رأسه ، فإذا
عينُ غلامٍ له ^(١) تحدق نحو لقمته ، وإذا الغلامُ يزدردُ ريقه لتحلب فيه من
الشهوة . وكان ذلك الحكيمُ جَيِّدَ اللَّقْمِ ^(٢) ، طَيِّبَ الطَّعَامِ ، وَيَضِيْقُ
عَلَى غُلْمَانِهِ .

فيزعمون أن نفوسَ السباع وأعينها في هذا الباب أردأ ^(٣) وأخبث .
وبينَ هذا المعنى وبين قولهم في إصابة العينِ الشيءَ العجيبَ المستحسنَ
شِرْكَةً وَقَرَابَةً ؛ وذلك أنهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب ^(٤) ذلك
إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العين مقداراً من العدد ، لانستطيع أن
نجعل ذلك السق من باب الاتفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره
وترادُفه ، ولأنَّ العيانَ قد حققه ، والتجربة قد ضُمَّت إليه .

(العين التي أصابت سهل بن حنيف)

وفي الحديث المأثور في العين التي أصابت سهل بن حنيف ^(٥) فأمرَ

(١) ما عدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) في ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداء لا الإرداء ، ولا تكون من الثاني
لأنه فوق الثلاثة ، والصواب في س .

(٤) ط : « رجال لا ينسب » ، بزيادة « لا » وصحته من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، ومن تبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفخ
عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه على البصرة
بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ما آخى الرسول بين
المهاجرين والأنصار جعل سهلاً أخاً لعل بن أبي طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين .
الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلاً » بالتصغير .
والمعروف « سهل » كما في الإصابة وسيرة ابن هشام في غير ما موضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بالذي أمر ، وذلك مشهور (١) .

(كلام في العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسن إلى بدن المستحسن ، حتى يكون ذلك الداخِلُ عليه هو الناقض (٢) لقواهُ لَمَّا جاز أن يلقى [مكروها البتة . وكيف يلقى (٣)] المكروه من انساق في (٤) حيزه وموضعه (٥) ، [والذي أصابته العين في حيزه أيضا وموضعه (٣)] ، من غير تماس ولا تصادم ، ولا فاصل (٦) ولا عامل لاقى معمولا فيه . ولا يجوز أن يكون المعتل بعد صحته يعتلُّ

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتي : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكنني جمع طريقه الآن ولكنه في الموطأ (٣ : ١١٨ - ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية في كتاب الطب . وهو في الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبي ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ! - في الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! - قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضع له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرک من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ - ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكلمة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان في » .

(٥) حيزه : أى حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناضل » ، صوابه في س ، مب .

من غير معنى بدنه^(١) . ولا تنتقض الأخلاط ولا تنزابل إلا لأمرٍ يعرض ، لأنه حينئذٍ يكون ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أن يعتل من غير حادثٍ ، جاز للمعتل أن يبرأ من غير حادث .
٤٨ وكذلك القول في الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائب قياساً على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيء من مستحسنٍ له . فإذا كان لا بد من معنى قد عمل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلا أن يكون انفصل إليه شيء عمل فيه . وإلا فكيف يجوز أن يعتل من ذات نفسه ، وهو على سلامته وتمام قوته ، ولم يتغير ولم يحدث عليه ما يغيره . فهو وجسم غائب^(٢) في السلامة من الأعراض سواءً . وهذا جواب المتكلمين [الذين يصدقون بالعين ، ويثبتون الرؤيا^(٣)] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكون المتكلم^(٣)] جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتى يكون الذي يُحسن من كلام الدين في وزن الذي يُحسن من كلام الفلسفة . والعالمُ عندنا هو الذي يجمعهما ، والمصيب [هو^(٣)] الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أن التوحيد لا يصلح^(٤) إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

(١) ما عدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا ما في س ، مب ، وهو الحق . وفي ط : « فهو جسم ثابت » ، وفي م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) الحكمة من مب ، وفي أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ما عدا مب : « لا يصلح » .

عجزه على الكلام في التوحيد . وكذلك إذا زعم أن الطبائع لا تصح إذا
قرنتها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزه على الكلام في الطبائع .

ولئنما ييأس^(١) منك الملحد إذا لم يدعك^(٢) التوفر على التوحيد
إلى بنس^(٣) حقوق الطبائع ؛ لأن في رفع أعمالها رفع أعيانها . وإذا كانت
الأعيان هي الدالة على الله فرفعت الدليل^(٤) ، فقد أبطلت المدلول عليه .
ولعمري إن في الجمع بينهما لبعض الشدة .

وأنا أعود بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتي باب من الكلام
صعب المدخل ، نقضت ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم
يُنتفع به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصل الذى لا يشعر به التوم
الحضور ولا الذى انفصل منه ، ولا المار بينهما ، ولا المتلقى له ببدنيه وليس
دونه شيء ، وكيف لم يعمل في الأقرب دون الأبعد ، والأقرب إنسان
مثله ، ولعله أن يكون طبعه أشد اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيء يصرع الصحيح ويضع القائم ،
وينقض القوى ، ويمرض الأصحاء ، ويصدع الصخر ويهشم العظم ،

(١) فى الأصل : « يانس » ، ولا وجه له .

(٢) ط ، م : « يرعك التوقير » ، وفى مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .

(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .

(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال للدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .

(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما المتلقى » ، تحريف

ويقتل^(١) الثور ، ويهد^(٢) الحمار ، ويجرى في الجماد مجراه في النبات ، ويجرى في النبات^(٣) مجراه في الحيوان ، ويجرى في الصلابة والملاسة جريه في الأشياء السخيفة الرخوة ؛ وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر ، أو غرب كغرب السيف ، أو حده كحد السنان ؛ وليس من جنس السم [فيحمل على نفوذ السم^(٤)] ؛ وليس من جنس الغذاء فيحمل على نفوذ الغذاء ، وليس من جنس السحر فيقال إن العمار^(٥) عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعراب . فلعل ذلك إنما كان شيئاً وافق شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدار سم الجرارة^(٦) أو سم الأفعى ، وكيف لو وزنتم الجرارة^(٦) قبل لسعها وبعده لوجدتموها على حال واحدة . وأنت ترى كيف تفسخ عقده بدن الفيل ، وكيف تنقض^(٧) قوى البعير ، من غير صدم [كصدم^(٨)] الحجر ، [وغرب كغرب السيف^(٤)] ، وحده كحد السنان .

فإن قلت : فهل ناب الأفعى وإبرة العقرب إلا في سبيل حد السنان ؟ قلنا : إن البعير لو كان إنما يتفسخ لطعن العقرب بإبرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار النخس^(٩) فقط ، ولكنه لا بد أن يكون ذلك

(١) ط : « يقتل » ، والصواب من س .

(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف ماقى س . وفي مب : « ويقتل » .

(٣) ما عدا مب : « الموات » .

(٤) التكلة من مب .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفي مب : « فعلوا » .

(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها

الجاحظ في الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفي ط : « الجرادة » ، وهو تحريف

ماقى س ، م ، مب .

(٧) في الأصل : « تنقص » بالصاد .

(٨) التكلة من س ، م ، مب .

(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرين : إما أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الفيلَ والزَّندبيل^(١) ، وإمّا أن يكون طبعُ ذلك الدَّم إذا لاقاه طبعُ ذلك النّاب وتلك الإبرة أن يُجمد^(٢) فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدرتم به المسألة^(٣) .

ولا تنازعَ بين الأعراب - والأعرابُ ناسٌ إنّما وَّضَعُوا بيوتهم وأبديتهم وسطَ السَّبَاعِ والأحناشِ والهمَجِ ، فهم ليس يعبرون إلا بها ، وليس يعرفون سواها - وقد أجمعوا على أن الأفعى إذا هرمت فلم تطعم ، ولم يبقَ في فمها دم أنّها تنكز بأنفها ، وتطعن به ، ولا تعضُّ فيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللدغُ . وهل عندنا في ذلك إلا تكذيبهم أو الرجوعُ إلى الفاصل الذي أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لا يموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمزة .

وقال العجاج ، أو ابنه رؤبة :

كنتم كمن أدخل في جُحرٍ يداً فأخطأ الأفعى ولأقى الأسودا
ثم قال :

* بالشمِّ لا بالسمِّ منه أقصدا^(٥) *

وقال الآخر^(٦) :

-
- (١) الزندبيل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندبيل » .
(٢) ط ، م : « يحمل » ، وتصويبه من س ، مب .
(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ما صدرتم به المسألة » .
(٤) نكزت الحية : لسمت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولا يبق » إلخ .
(٥) ط : « بالشم إلا بالسم » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت في الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبي حفصة ، وانظر .
كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أصمَّ ماشمَّ من خَضْرَاءٍ أَيْبَسَهَا أو مسَّ من حجرٍ أو هَاهُ فانصدعا
وقد حدَّثني الأصمعيُّ بِفَرْقٍ ما بين النَّكْزِ وغيره عند الأعراب (١) .

وههنا أمثال نَضْرِبُهَا ، وأمور قد عاينتموها ، يذللُّ بها هذا المعنى
عندكم ويسهلُّ بها المدخل . قولوا لنا : ما بالُ العجيينِ يكون في أقصى الدار
ويقلقُ إنسانَ بَطِيخَةٍ (٢) في أدنى الدار ، فلا يفلح ذلك العجين أبداً ولا يخنمِر ؟
فما ذلك الفاصلُ (٣) ؟

وكيف تقولون بصدمةٍ كان (٤) ذلك كصدم الحجر ، أو بغرب كغرب
السيف !! وكيف لم يعرض ذلك الفساد في كلِّ معجون هو أقربُ إليه من
ذلك العجين .

وعلى أن نكز الحية التي يصفه (٥) الشعراء بأن المنكوز مئت لا محالة ،
في سبيل ما حدَّثني به [حاذقٌ من (٦)] حذاق الأطباء ، أن رجلاً يضرب الحية (٧)
من دواهي الحيات بعصاه فيموت الضارب (٨) ؛ لأنهم يرون أن شيئاً فصل
من الحية فجرى فيها حتى داخل الضارب فقتله . والأطباء أيضاً والنصارى

(١) كذا والكلام ناقص . وانظر الحيوان ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « ويقلق إنسان بطبخه » وتصحيحه من س ، و مب . وقد ذكر مثل هذا
في تأويل مختلف الحديث ٤٣٩ قال : « وقد يصد العجين إذا قطع في البيت
الذي هو فيه البطيخ » .

(٣) ما عدا ب : « فاذك الفصل » .

(٤) ط : « يصد ذلك » ، وأثبت ما في س . وفي مب : « انصدم كان » .

(٥) ما عدا ب : « تصف » .

(٦) التكلمة من مب .

(٧) ما عدا مب : « أن الرجل يصيب الحية » .

(٨) قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : « وقد زعم صاحب المنطق أن رجلاً
ضرب حية بمصافات الضارب » . فيظهر أن محدث الجاحظ روى له ما أثر
عن أرسطو .

أَجْرًا عَلَى دَفْعِ الرَّؤْيَا^(١) وَالْعَيْنِ ، وَهَذِهِ الْغَرَائِبُ الَّتِي تَحْكِي عَنِ الْحَيَاتِ
وَصَرَخِ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ غَيْرِهِمْ .

فَأَمَّا الدَّهْرِيَّةُ فَمُنْكَرَةٌ لِلشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّؤْيَا وَالرُّقَى ، وَهِيَ
يُرُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ لَا يَتِمُّ لَهُمْ إِلَّا بِمُشَارَكَةِ أَصْحَابِ الْجَهَالَاتِ^(٢) .

وَقَدْ نَجَّدُ الرَّجُلُ يَنْقِفُ شَحْمَ الْخَنْظَلِ^(٣) ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ مَسَافَةٌ
صَالِحَةٌ ، فَيَجِدُ فِي حَلْقِهِ مَرَارَةَ الْخَنْظَلِ ، وَكَذَلِكَ السُّوسُ إِذَا عَوَّلَجَ بِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْإِنْسَانِ^(٤) مَسَافَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ الْبَعْدَ ، يَجِدُ فِي حَلْقِهِ حَلَاوَةَ السُّوسِ . وَنَاقِفُ الْخَنْظَلِ
لَا تَزَالُ عَيْنُهُ تَهْمَلُ مَا دَامَ يَنْقِفُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ حُمَامٍ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهُوَ
الَّذِي يَقُولُ^(٥) :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سُمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ خَنْظَلِ

يَجْبُرُ عَنْ بَكَائِهِ ، وَيَصِفُ دُرُورَ دَمْعَتِهِ فِي إِثْرِ الْحَمُولِ ، فَشَبَّهَ [نَفْسَهُ]^(٦)
بِنَاقِفِ الْخَنْظَلِ ، [وَقَدْ^(٦)] ذَكَرَهُ أَمْرُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ^(٧) :

(١) أَى الْعِتْقَادِ بِصِحَّةِ تَأْوِيلِهَا وَإِنْبَائِهَا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . وَأَجْرًا ، أَى أَجْرًا وَرَسَمًا
فِي مَب : « أَجْرَى » وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « أَجْرَاءُ » .

(٢) مَاعِدَا مَب : « الْجَهَاتُ » . وَانظُرْ ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شَحْمُ الْخَنْظَلِ : مَا فِي جَوْفِهِ سِوَى جَبِّهِ ، كَمَا أَنَّ شَحْمَ الرِّمَانِ مَا بَيْنَ حُبُوبِهِ .
وَنَقْفُ الْخَنْظَلِ : شَقُّ الْخَنْظَلِ عَنِ الْهَيْبِ . وَالْهَيْبُ : حَبُّ الْخَنْظَلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْأَسْنَانُ » .

(٥) ط : « وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ » وَفِي س ، م : « وَلِذَلِكَ قَالَ
ابْنُ حُذَامٍ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ » . وَأُثْبِتَ مَا فِي مَب .

(٦) التَّكْمِلَةُ مِنْ مَب .

(٧) مَاعِدَا مَب : « فِي شَعْرِهِ » .

عوجًا على الطَّلَلِ القديم لعلنا

نَبِكِي الدِّيَارَ كما بَسَكِي ابنُ مُحَامٍ (١)

ويزعمون أنه أول من بسكى في الدِّيَارِ (٢) .

وقد نجدُ الرَّجُلَ يقطعُ للبصلِ ، أو يُؤخفُ الخَرْدَلُ (٣) فتدمع عيناه .
وينظر الإنسانُ فيديمُ النَّظَرَ في العينِ المحمرة (٤) فتعتري عينه حُمرة .

والعرب تقول : « لهُو أعدى من الثوباء ! » ، كما تقول : « لهُو أعدى
من الجرب ! » ، وذلك أن من تشاءب مراراً ، وهو مُجَاهِ عَيْنِ إنسان ، اعترى
ذلك الإنسانَ التثاؤب .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلمين ، منهم مَعْمَر ، ومحمد
ابن الجهم ، وإبراهيم بن السُّنْدِي ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ (٥) من إناء
اللبن لتسوطه (٦) أو تعالج منه شيئاً ، فكأنهم يرون أن لبدنها مادام ذلك
العرضُ يعرض لها ، رائحة لها حِدَّةٌ وبخار غليظ ، يكون لذلك
المسُوطُ مُفسِداً .

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبي بكر ص ١٦٠ -
١٦٥ . ويروي « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لفتان في معنى واحد . ماعدا
ب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بسكى ابن خدام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الخروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفي ط ، س : « ويكسر » صوابها في مب
وفي تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك مؤخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه :
صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه في مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الحائض . وانظر الاستدراكات في آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإن أبيت إلا إنكار ذلك ، فما تقول في فرسٍ تحصَّن تحت صاحبه^(١) ، وهو في وسط موكبِهِ ، وغبارُ الموكبِ قد حالَ بين استبانة بعضهم لبعض ، وليس في الموكبِ حجرٌ^(٢) ولا رمكة ، فإلتفتُ صاحبُ الحصانِ فيرى حجراً أو رمكةً ، على قابِ غرضٍ أو غرضين^(٣) ، أو غلوة أو غلوتين^(٤) . حدثني ، كيف شَمَّ هذا الفرسُ ریحَ تلكِ الفرسِ الأثني ، وما باله يدخلُ داراً من الدُّورِ ، وفي الدَّارِ الأخرى^(٥) حجرٌ ، فيتحصَّن^(٦) مع دخوله من غير معاينة وسماعٍ صهيل !!

وهذا الباب سيقع في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قريب^(٧) : كان عندنا رجلان يَعيَنانِ الناسَ ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تاللهِ ما رأيتُ كالِيومِ قطُّ ! فتطائر الحوضِ فلقين^(٨) ، فأخذه أهله فضدَّبوه^(٩) بالحديد ، فمرَّ عليه ثانية فقال : وأبيك لقلماً أضرتُ أهلكَ فيك ! فتطائر أربعَ فلق .

-
- (١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .
(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .
(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .
(٤) الغلوة : قدر ما تصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفي الدار ذكر » .
(٦) أي يبدو عليه ميل الفحول . وفي ط : « يتحصى » وهو تحريف ما أثبت من س .
(٧) هو الأصمعي .
(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفي س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت ما في مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشيء .
(٩) في اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألبسته الخريد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأما الآخر ، فإنه سمع صوتَ بُولٍ من وراء حائط فقال :
إِنَّكَ لَشَرُّ الشُّخْبِ^(١) ! فقالوا له : إنه فلانُ ابنك ، قال : والانقطاعَ ظهراه ؟
قالوا : إنه لا بأسَ عليه^(٢) . قال : لا يبولُ واللهُ بَعْدَهَا أبداً ! قال : فما بال
حَتَّى مات .

قال الأصمعيّ : ورأيتُ أنا رجلاً عَمِيُونًا فدُعِيَ عليه فَعَوَرَ^(٣) ، قال :
إذا رأيتُ الشَّيْءَ يُعْجِبُنِي ، وجدتُ حرارةً تُخْرَجُ من عَيْنِي .

قال : وسمع [رجلٌ^(٤)] بقرةً تَحْلُبُ فأعجبه صوتُ شَخْبِهَا ، فقال :
أبتهن هذه ؟ فخافوا عينه فقالوا : الفلانية - لأخرى ورَّواها عنها - فهلكتا
جميعاً : المورَّى بها والمورَّى عنها .

وقد حَمَلَ^(٥) النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ في شيءٍ
من المجازات . وقولُ الذي اعور^(٦) : إذا رأيتُ الشَّيْءَ يُعْجِبُنِي وجدتُ حرارةً
تُخْرَجُ من عَيْنِي ، مِنْ أعظم الحجاج في الفواصل من صاحب العين إلى المعين

(استطراد لغوي)

قال : ويقال إن فلانا لَعَيُونٌ : إذا كان يتشوّف للناس ليصيبهم
بعين . ويقال عِنْتُ فلانا أعينه عِينًا : إذا أصبته بعينٍ ، ورجلٌ مَعِينٌ
ومعيونٌ : إذا أصيب بالعين وقال عباس بن مرداس :
قد كان قومك يحسبونك سيِّداً وإخال أنك سيِّدٌ مَعِينٌ^(٧)

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لين الشخب » .

(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : « يدعى عليه بقود » .

(٤) التكلة من تب .

(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذي عان » .

(٧) ماعدا مب « وأخاك » . وانظر الأغاني (٤ : ٨٩) و معاهد التنصيص (١ : ١٣)
ودرة الفواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعيون : إِنَّهُ لَنُفُوسٌ ، وما أنفَسَه ، أى ماأشَدَّ عينه ؛ وقد أصابته

نَفْسٌ أو عين

(دفاع عن الكلب)

وأما قول القائل : إنَّ من لُؤم الكلبِ وغدرِه أنَّ اللصَّ إذا أراد دارَ أهله أطعمَ الكلبَ الذى يحرسهم قَبْلَ ذلكِ مراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومبِحَ ظهره ، حتى يُثبِت صورته ، فإذا أتاه ليلاً أسلمَ إليه الدارَ بما فيها - فإنَّ هذا التأويل لا يكونُ إلَّا من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءَ الرأى يَصوِّرُ لأهله الباطلَ فى صورةِ الحقِّ . وفيه بعضُ الظُّلمِ للكلبِ

وبعض المعاندة للسحتج عن الكلب وقد ثبت للكلب استحقاق المدح من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرنا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مربي القرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرادس والدة العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فإله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرمنا النار فى الغيضة ، فلما اسطارت وعلا هُهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالماً	والظلم أنكد وجهه مدهون
عجبا لقومك يحسبونك سيئاً	وإخال أنك سييد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك قادهن	إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ما أراد بوائل	يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها	فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها	إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تحطها لى ظالماً	وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . . وللخفاجى كلام فى (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « معيون » بالفين المعجمة .

حيثُ أَرَادَ أَنْ يَهْجُوهُ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ الْكَلْبُ يَفْرَطُ^(١) إِلْفِهِ وَشُكْرِهِ كَفَّ
عَنِ اللَّصِّ عِنْدَ ذِكْرِ إِحْسَانِهِ ، وَإِثْبَاتِ صَوْرَتِهِ ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُفْرَطُ
عَلَيْهِ الْحَيَاءُ حَتَّى يَنْسَبَ إِلَى الضَّعْفِ وَالْكَرْمِ وَحَتَّى يَنْسَبَ إِلَى الْغَفْلَةِ
وَرُبَّمَا شَابَ الرَّجُلُ بَعْضَ الْفِطْنَةِ^(٢) بِيَعُضِ التَّغَاظُلِ ، لِيَكُونَ أُمَّمٌ لِكَرَمِهِ ؛
فَإِنَّ الْفِطْنَةَ إِذَا تَمَّتْ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، مَا لَمْ يَكُنِ الْحَيْمُ كَرِيمًا
وَالْعِرْقُ سَلِيمًا .

وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَتَأَوِّلُ ، حِينَ تَكَلَّفَ الْكَلْبَ - مَعَ مَا قَدْ عَجَّلَ إِلَيْهِ
اللَّصُّ مِنَ اللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعْمَةً سَالِفَةً ، وَأَنْ يَحْتَرَسَ مِنْ
خَدِيعَةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ يُرْبِغُ^(٣) بِإِكْرَامِهِ سُوءًا^(٤) - لِحَسَنِ
الرَّأْيِ فِيهِ ، بَعِيدُ الْغَايَةِ فِي تَفْضِيلِهِ

وَلَوْ كَانَ لِلْكَلْبِ آلَةٌ يَعْرِفُ بِهَا عَوَاقِبَ الْأُمُورِ وَحَوَادِثَ الدَّهْوَرِ ،
وَكَانَ يُوَازِنُ بَيْنَ عَوَاجِلِهَا وَأَوَاجِلِهَا ، وَكَانَ يَعْرِفُ مَصَادِرَهَا وَمَوَارِدَهَا ،
وَيَخْتَارُ أَنْقِصَ الشَّرِّينَ وَأُمَّمَ الْخَيْرِينَ ، وَيَتَثَبَّتُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَخَافُ الْعَيْبَ^(٥)
وَيَأْخُذُ بِحُجَّةٍ [وَيُعْطَى بِحُجَّةٍ^(٦)] ، وَيَعْرِفُ الْحُجَّةَ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَالثُّقَّةَ مِنَ
الرَّيْبَةِ ، وَيَتَثَبَّتُ فِي الْعَلَّةِ ، وَيَخَافُ زَيْغَ^(٧) الْهَوَى وَسُرْفَ الطَّبِيعَةِ - لِكَانَ
مِنْ كِبَارِ الْمَكْلُفِينَ ، وَمِنْ رُءُوسِ الْمَمْتَحِنِينَ

(١) ما عدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفنة » تحريف .

(٣) يرِبِغُ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية في ط . وفي س : « برِيع » ، وفي م : « بدِيع »
والصواب فيهما ما أثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة

(٥) ما عدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزِيعُ : الميل . وفي ط : « زيغ » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادة القائمة ، والنسق الذي لا يتخطى^(١) ولا يغادر^(٢) ، [و^(٣)] النظام الذي لا ينقطع ولا يختلط ، في ذوى التمكين والاستطاعة ، وفي ذوى العقول والمعرفة ، أن أبدانهم متى أحست بأصناف المكروه والمحبوب ، وازنوا وقابلوا ، وعايروا^(٣) وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ، ووصلوا كل مضرّة ومنفعة في العاجل [بكل مضرّة ومنفعة في]^(٤) الآجل^(٥) وتتبعوا مواقعها ، وتدبروا ، ساقطها ، كما يتعرفون مقاديرها وأوزانها^(٦) ، واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين وأنقص الشرين . فأما الشر صرفاً والخير محضاً فإنهم لا يتوقفون عندهما ، ولا يتكلفون الموازنة بينهما ، وإنما ينظرون في المزوج^(٧) وفي بعض ما يخشى في معارضته ، ولا يوثق بمعرّاه ومكشّفه^(٨) ، فيحملونه^(٩) على خلاص الذهن ، كما يحمل الذهب على الكير

(١) ماعداً مب : « والسن » . و « يتخطى » هي في الأصل « يخطى » محرفة . ويتخطى - ومثله يخطى - : يتجاوز .

(٢) التكلة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفي ط : « غيروا » .

(٤) التكلة من مب .

(٥) ماعداً مب : « والآجل » .

(٦) ماعداً مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعداً مب : « وإنما ينتظرون في المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكشّفه » س : « بمغزاه وبمكشّفه » ، والوجه ما أثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ما وجد من نصوص الحيوان في نسخة الأهرزيانا .

وأما ذوات الطَّبائعِ المسخَّرَةِ والغريزةَ المَجْبُولَةَ^(١) فإنما^(٢) تَعْمَلُ من جهة التسخير والتنبية ، كالسَمِّ الذي يقتل بالكمية ولا يغذو ، وكالغذاء الذي يغذو ويقتل بانجاوِزة لمقدار^(٣) الاحتمال .

وإن هياً الله عزَّ وجلَّ أصنافَ الحيوانِ المسخَّرَةِ لدرك ما لا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغته بغير معاناةٍ ولا رويةٍ ولا توقُّفٍ ، ولا خوفٍ من عاقبة .

ومتى تقدَّمتُ [إلى الأمور التي يعالجها]^(٤) أهلُ العقولِ المبسوطِ ، المتمكنة بطبائعها ، المقصورة غير المبسوطِ ، لم يمكنها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ما كان موازياً لتلك الأمور ببديةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلما أحسنتُ أمراً أمكنها أن تُحسِنَ ما كان في وزنه في الغموض والإلطاف ، وفي الصنعة التي لا تمكِنُ ، إلا يُحسِنُ التأتى ويبعد الروية ، وبمقابلة الأمور بعضها ببعض . وهذا الفن لا يُصابُ إلا عند من جهته العقل ، ويمكنه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامه^(٥) إذا شاء ، وبلوغ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عقيبهِ من الأفعال ؛ ومن جهته تعرفُ العِللِ ، ويمكنه إكراه نفسه على المقاييس والتكلف والتأتى^(٦) .

٥٣

(١) ط : « المجهولة ، وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « إنما »

(٣) في الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول في حاجة إلى مثلها . والكلام في ذوات الطَّبائعِ المسخَّرَةِ .

(٥) في الأصل : « وبإتمامه » .

(٦) في الأصل : « التأتى » بالنون ، في هذا الموضع وسابقه .

ومنى كانت الآلة موجودةً فإنها تُنبيك^(١) على مكانها ، وإلا كان وجودها كعدمها . وبالحس^(٢) الغريزي تُشعر صاحبها بمكانها ، لا يحتاج في ذلك إلى تلقين وإشارة ، وإلى تعلم وتأديب ، وإن كان صاحب الآلة أحمق من الحباري ، وأجهل من العقرب .

(الإلهام في الحيوان)

والعاقل الممكن لا يفضل في هذا المكان على الأشياء المسخرة ، ولا ينفصل منها في هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلا ما صنعت له ، ونصبت عليه ، وأهملت معرفته وكيفية تكلف أسبابها والتعلم لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسن العنكبوت نسج ثوبه^(٣) وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عمل بيت الزنبور . وإذا صنع النحل خلاياه مع عجيب القسمة التي فيها ، لم يحسن أن يعمل مثل بيت العنكبوت . والسُرْفَة - التي يقال : « أصنع من سُرْفَة » لا تحسن أن تبني^(٤) مثل بيت الأرضة ، على جفاء هذا العمل وغاظه ، ودقة ذلك العمل ولطافته .

وليس كذلك العاقل وصاحب التمييز ، ومَن ملك التصرف ، وخول^(٥) الاستطاعة ؛ لأنه يكون ليس ينجار فيتعلم النجارة ، ثم

(١) لعلها « تنبك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثوب : البيت . وفي الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « لا يحسن أن يبني » .

(٥) خوله الشيء : ملكه إياه وأعطاه . في ط : « حول » بالخاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له^(١) [بعدَ الحَذَقِ الانتقالُ إلى الفِلاحَةِ . ثمَّ ربَّما ملأها بعد أن حَذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ »
أنَّ اللافظة الدَّيْكَ ، لأنَّه يَعْضُ على الحَبَّةِ بطرفي منقاره . ثمَّ يَحْدِفُ بها
قُدَّامَ الدَّجاجةِ . وما رأينا أحداً من العلماءِ ومِنَ الذين رَوَوْا هذا المثلَّ
يقول ذلك . والناسُ في هذا المثل رجُلان : زعم أحدهما أنَّ اللافظة العز :
لأنَّ العز ترعى في رَوْضَةٍ وتَأْكُلُ من مَعْلَفِها وهي جائعة . فيدعوها الراعى
وصاحبُها باسمِها إلى الحَلْبِ ، فتترك ما هي فيه حتى تُنْهَكَ حلباً . وقال الآخر :
اللافظة الرَّحَى ، لأنها لا تمسك في جَوْفِها شيئاً ممَّا صار في بطنها .

وكيف تكون اللافظة الديك ! وليس لنا أن نُدْحِقَ في هذه الكلمة
تاء التأنيث في الأسماء المذكرة^(٢) . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعز
والرَّحَى^(٣) ، وإِنَّمَا سَمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويةً ، وعلامةً ،
حين احتجَّ أهلُ اللغةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه^(٤) ، وكيفَ ولا اختلافَ

(١) الزيادة من س ، وبدلها في ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهي لاتلحق في الأسماء المذكرة » .

(٣) أي هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب في س .

بينهم أن الديك خارجٌ من هذا التأويل ، وإنَّ اختلافهم بين
العزْرِ والرَّحَى (١)

وبعد فقد زعم ثمامة بن أشرس (٢) رحمه الله تعالى : أنَّ دَيْكَةَ مَرُو
نطرُد الدَّجَاجَ عن الحبِّ (٣) ، وتنزِع الحبَّ من أفواه الدَّجَاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أَسْمَح من لافظة » ، لا يليق بالرَّحَى ،
لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صَمَاءٌ ، والذي يُنْجِز ما في بطنها المُدِير (٤) لها ، والعربُ
إنَّما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه في الوجوه الكثيرة ، ليكون
ذلك مَشْحَذَةً للأذهان ، وداعيةً إلى السَّبَاق وبلوغ الغايات .

وأما ترك الشَّاة للعَلْف فليس بلفظٍ للعَلْف ، إلاَّ أنَّ يحملوا ذلك على
المجازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عند بعضهم الضَّرورة . والشَّاة ترضع
من خَلْفِهَا حتَّى تأتي على أقصى لبن في ضرعها ، وتنثُر العَلْفَ ، وتقلبُ

(١) أى في تسمية إحداهما لافظة . في المزهرة للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالي القائل « يقال
أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله في أمثال الميداني ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً
« وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج ما في بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون وغيره
من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ
بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحظ في شأنه : « وما علمت أنه كان في زمانه
قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة
المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه في وزن إشارته ، ومعناه
في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمك ، بأسرع من معناه إلى قلبك » البيان ١ : ١١١ .
« قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حاجة . قال :
وما دى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى
ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لكنى لا أورد
ما أخذت ! ! » . عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المِخْلَب^(١) ، وتنطح من قام عليها وأتاها بغذاؤها . وهى من أموق^(٢)
البهائم^(٣) ، وزوجها شتيم المحيّا ، منتين^(٤) الريح ، يبول^(٥) فى جوف فيه
وفى حاق^(٦) خياشيمه

وتقول العرب : « ما هو إلا تيس^(٧) فى سفينة^(٨) » ، إذا أرادوا به الغبّوة
و « ما هو إلا تيس » ، إذا أرادوا به نثن^(٩) الريح
والعنز^(١٠) خرقاء ، وأبوها وهو التيس^(١١) أخرق^(١٢) منها .
وأمر^(١٣) الديك وشأنه ، وكيف^(١٤) يلفظ^(١٥) ماقد صارا فى منقاره ، وكيف
يؤثر^(١٦) به طرؤفته من ذات^(١٧) نفسه - شىء يراه^(١٨) الناس ، ويراه^(١٩) جميع^(٢٠) العباد
وهذه المكرومة ، وهذا الغزل^(٢١) ، وهذا الإيثار ، شىء يراه^(٢٢) الناس
لم يكن^(٢٣) فى ذكر^(٢٤) قط^(٢٥) ممن يزواج^(٢٦) إلا الديك ، والديك^(٢٧) أحق^(٢٨) بهذا المثل . فإن
كنتم^(٢٩) قد صدقتم^(٣٠) على العرب فى تأويل هذا المثل^(٣١) فهذا غلط^(٣٢) من العرب
وعصبيّة^(٣٣) للبن ، وعشق^(٣٤) للدقيق^(٣٥) .

والمثل^(٣٦) إنما يلفظ^(٣٧) به رجل^(٣٨) من الأعراب ، وليس الأعرابي^(٣٩) بقُدوة

(١) المِخْلَب والمِخْلَب ، بكسرهما : إناء يخلب فيه .
(٢) من أموقها : من أحققها .
(٣) حاق الشئ : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له .
(٤) قال أبو الشمقمق فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغاني ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت
الهميان ١٢٦) :
هلينه هلينه هلينه طعن قثاة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .

(٦) ط : « التمزل » ، وتصحيحه من س .

(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .

(٨) ط : « عشق الدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالكلام .

إلا في الجرِّ والنصب والرفع وفي الأسماء^(١) ، وأما غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب . فالديك أحقُّ بهذا المثل الذي ذكرنا ، وسائر خصاله الشريفة .

والذي يدلُّ على أن هذا الفعل في الديك ، إنما هو من جهة الغزل لا غير ، أنه^(٢) لا يفعل ذلك إذا هريم وعجز عن السِّفاد ، وانصرفت رغبته ه عنهنَّ وهو في أيام شبابه أنهم وأحرصُّ على المأكول ، وأضنُّ على الحبِّ ؛ فإله لم يؤثِّرهنَّ به عند زهده ، ويؤثِّرهنَّ عند رغبته ؟ ! وما باله لم يفعل ذلك وهو فروج صغير ، وصنع ذلك حين أطاق السِّفاد ؟ ! فتره كنه لذلك في العجز عنهنَّ ، وبذله في أوقات القوة عليهنَّ^(٣) دليل على الذي قلنا^(٤) . وهذا بين لا يرُدُّه إلا جاهل أو معاند .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : لسنا نُنكر خِصالَ الديك ومناقبه من الأخبار المحمودة ، ولولا ذلك ما ميَّلنا بينه وبين الكلب^(٥) . ومن يميل بين العسل والخلِّ في وجه الحلاوة والحموضة ؟ ! وكيف يفضل شيء على شيء وليس في المفضول شيء من الفضل ؟ ! والذي قلتم من قذفه الحبُّ قدامَ الدجاج صحيح ، وليس هذا الذي أنكرنا ، وإنما أنكرنا

(١) المراد بالأسماء هنا الكلمات .

(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما في س .

(٣) ط : « في الأوقات القوت عليهن » ، وللصواب ما أثبت من س .

(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما في س .

(٥) يقال ميل بين الشيتين تميلًا : رجع ووازن . وفي الأصل : « ما مثلنا » وبعده : « ومن

يمثل » ، والوجه ما أثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضع المثل الذي صرفتموه إلى حجبتكم^(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلدونهم [في] الشاهد والمثل^(٢) . وإن جاز لكم أن تردوا عليهم هذا المثل جاز لكل من كره مثلاً أو شاهداً أن يرد عليهم كما رددتم ؛ وفي ذلك إفسادُ أمرِ العربِ كله

فإن زعمت أن الديك ، كان أحقَّ به ، فخصومك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أي مقادير كانوا يضعونها ، ومن أي شيء اشتقوها ، وكيف كان السبب . ورُبَّ شيء أنكرناه فإذا عرفنا سببه أقررنا به وقال أبو الحسن : مرَّ إياسُ بنُ معاوية بديكٍ ينقرحياً ولا يفرقه ، فقال : ينبغي أن يكون [هذا]^(٣) هرماً ؛ فإنَّ الهرم^(٤) إذا ألقى له الحبُّ لم يفرقه ليجتمع الدجاجُ حوله . والهرم قد فنيت رغبته فيهن ، فليس همهُ إلا نفسه

وروا عنه أنه قال : اللافظة الديك الشاب ، وإنه يأخذ الحبة يؤثر بها الدجاج ، والهرم لا يفعل ذلك ، وإنما هو لافظة مادام شاباً . وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سيرين عن أبي هريرة : « أن كلباً مرَّ بامرأة وهو يلهث عند بئر ، فنزعت خُفَّها فسقته ، فغفر الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفر الله لبغى أو لمؤمنة مرَّ بها كلبٌ فنزعت خُفَّها فسقته » .

(١) في الأصل : « محبتكم » .

(٢) في الأصل : « وتركتم ما زال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) ط : « وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن دأحة^(١) : ضرب ناسٌ من السُّلطاء^(٢) جاراهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزل ينبحُ عليهم ويشقُّ ثيابهم ، ولولا أن المضرَّوبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجره ، لقد كان عقر بعضهم أو منعه منهم .

قال إبراهيم النَّظَّام : قدَّمتم السَّنور على الكلب ، ورويتم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانير وتقريبها وتربيتها ، كقوله عند مسألته عنها : « إنهنَّ من الطَّوَافَاتِ عَلَيْكُمْ » . وكلُّ^{٥٦} منفعةٍ عند السَّنورِ إنما هي أكلُ الفأر فقط ، وعلى أنكم قلَّما تجدون سنوراً يطلبُ الفأر ، فإن كان ممَّا يَطْلُبُ ويأكلُ الفأر ، لم يعدمكم^(٣) أن يأكلَ حمامكم وفراخكم والعصافير التي يتلَهَّى بها أولادكم ، والطارئُ يتخذُ لحسنه وحسنِ صوته . والذي لأبدٍ منه الوثوبُ على صغارِ الفراريج . فإن هو عَفَّ عن أموالكم لم يعفَّ عن أموال جيرانكم . ومنافع الكلب لا يحصيها الطَّوامير^(٤) . والسَّنور مع ذلك يأكل الأوزاغ والعقارب ، والخنافيس^(٥) ، وبناتِ وِرْدان^(٦) ، والحيات ، ودخالاتِ الآذان^(٧) والفأر والجُرذان ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سمٍّ ، وكلَّ شيءٍ

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما في س . وانظر ما سبق في ص ٨٢ .

(٢) السلطاء : جمع سليط ، وهو الصخاب البنيء اللسان . وفي الأصل : « السلطان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .

(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرهما ، أو جمع خنفسة بضم الخاء والفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الياء في هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر مع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .

(٦) ضرب من الحشرات التي تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .

(٧) دخال الآذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة في مصر « أم أربعة وأربعين » .

انظر معجم المملوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثمّ قلم في سؤر السنور وسؤر الكلب ماقلتم . ثمّ لم ترضوا به حتى أضفتموه إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشكُّ الناس أن ليس في السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائلِ الريقِ سائلِ اللعاب . والخلوف (٢) لا يعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لا يعتربه الخلوف فهو من البحر أبعدُ . وكما أن طولَ انطباقِ الفمِ يُورث الخلوف ، فكثرةُ تحلُّبِ الأفواه بالريق تنقِ الخلوف . وحتى إن من سال فوه من اللعاب فإنما قضوا له بالسلامة من فيه ، وإن استنكهوه مع أشباهه وجدّوه طيباً ، وإن كان لا يقربُ سواكاً (٣) على الريق . وكذلك يقال ، إن أطيبَ الناسِ أفواهاً الزنج ، وإن كانت لا تعرفُ سنوناً ولا سواكاً (٤) .

على أن الكلبَ سبعٌ ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربعِ موصوفةٌ بالبحر ، والذي يضربُ به في ذلك المثلُ الأسدُ ، وقد ذكره الحكم (٥) بن عبدل في هجائه محمد بن حسان فقال :

(١) بعد هذا في الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهي : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » ، وهي من زيادة الناسخين . ولعل الذي ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهي : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستاك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفي ط : « لا تعرف سنوها

سواكاً » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) في الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . وللحكم ترجمة معجبة في الأغاني :

(٢ : ١٤٤ - ١٥٣) .

فَنَكَّهَتْهُ كَنَكَّهُةٌ أَخْدَرِيٌّ شَتِيمٌ شَابِكِ الْأَنْيَابِ وَرِدٍ^(١)

وقال بشار :

وَأَفْسَى مِنَ الظُّرْبَانِ فِي لَيْلَةِ الْكُرَى

وَأَخْلَفُ مِنْ صَقْرٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ طَعِمَ

يهجو بها حمادَ عجرد .

ويقال : ليس في البهائم أطيبُ أفواهاً من الطبَاءِ .

(رضيعٌ ملهم)

وزعم علماء البصريين ، وذكر أبو عبيدة النحوي ، وأبو اليقظان
سُحيم بن حفص^(٢) ، وأبو الحسن المدائني ، وذكر ذلك عن محمد بن حفص ٥٧
عن مسلمة بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ في مشيخة أصحابنا من
البصريين ، أن طاعوناً جارفاً جاء على أهل دار ، فلم يشكُّ أهل تلك
المحلَّة أنه لم يبقَ فيها صغيرٌ ولا كبير ، وقد كان فيها صبيُّ يرتضع ، ويحبو
ولا يقوم على رجله ، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلَّة إلى
باب تلك الدار فسده ، فلما كان بعد ذلك بأشهرٍ تحوَّل فيها بعضُ ورثة
القوم ، ففتح الباب ، فلما أفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبيُّ يلعبُ مع

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجريء

وانظر قصيدة ابن عبدل في الحيوان (١ : ٢٥٠ - ٢٥٣) . وخبرها في الأغاني

(٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراء كلبه ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعته ذلك ، فلم يلبث أن أقبلت كلبة كانت لأهل الدار ، فلما رآها الصبي حبا إليها ، فأمكنته من أطباؤها فصها ، فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار وصار منسياً واشتدَّ جوعه ، ورأى أجراءها تستقي من أطباؤها ، حبا إليها فعطفت عليه ، فلما سقته مرةً أدامت ذلك له ، وأدام هو الطلب .

والذي ألهم هذا المولود مصَّ إبهامه ساعةً يُولد من بطن أمه ، ولم يعرف كيفية الارتضاع ، هو الذي هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبة . [وُلُوْ]^(١) لم تكن الهداية شيئاً مجعولاً في طبيعته ، لما مصَّ الإبهام وحلمة الثدي ، فلما أفرط عليه الجوع واشتدَّت حاله ، وطلبت نفسه وتلك الطبيعة فيه ، دعت تلك الطبيعة وتلك المعرفة إلى الطلب والدنو . فسبحان من دبر هذا وألهمه وسواه ودلَّ عليه !!

(إلهام الحمام)

ومثل هذا الحديث ماخبر به عن بابويه صاحب الحمام . ولو سمعت نصصه في كتاب اللصوص ، علمت أنه بعيد من الكذب والتزويد . وقد رأيتُه وجالسته ولم أسمع هذا الحديث منه ، ولكن حدثني به شيخ من مشايخ البصرة ، ومن النزول بحضرة مسجد محمد بن رغبان^(٢) . وقال بابويه : كان عندي زوج حمامٍ مقصوص ، وزوج حمام طيار ،

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « رغبان » ، بالزاي . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست في س .

وفرخان من فراخ الزوج الطيار . قال : وكان في الغرفة ثقبٌ في أعلاها وقد كنتُ جعلتُ قُدَّامَ الكَوَّةِ^(١) رقفاً ليكون مسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ في ذلك مخافةً أن يعرضَ لي عارضٌ فلا يكون للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبينما أنا كذلك إذ جاءني رسولُ السلطان ، فوضعتُني في الحبس ، فنسيتُ قدرَ الزوج الطَّيار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتُّ من رَحمةِ الزوج المقصوص ، وشغلني الاهتمامُ بهما^(٢) عن كثيرٍ ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوجُ الطَّيارُ فإنَّهُمَا يخرُجان ويرجعان ويزُقان ، ولعلَّهما أن يَسَلِّما ولعلَّهما أن يذهبا - ٥٨
وقد كنتُ ربَّيتُهما حتى تحصَّنا وورَّداً^(٣) - فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمَّا أن يثبُتا وإمَّا أن يذهبا . ولكن كيفَ يكونُ حالُ المقصوصينِ ، ومن أسوأ حالاً منهما؟! فحُلِّي سَبِيلِي بَعْدَ شهر ، فلم يكن لي همٌّ إلاَّ النَّظَرُ إلى ماخَلَّفتُ خلقني من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثبُتا وإذا الزَّوجانِ قد ثبُتا، وإذا الزَّوجانِ الطَّيارانِ ثبُتا على حالهما ، إلاَّ أنِّي رأيتُهما زاقينِ ، إذ علامةُ ذلك في موضعِ الغَبِّبِ ، وفي القِرْطَمَتَيْنِ^(٤) ، وفي أصولِ المناقيرِ ، وفي عيونهما ، فقلت : فكيف يكونان زاقين مع استغناء فرخيها عنهما؟! ولا أشكُّ في موت المقصوصين . ثمَّ دخلتُ الغرفةَ فإذاهما على

(١) الكوة : الخرق في الحائط ، والنقب في البيت .

(٢) في الأصل : « بها » .

(٣) هي من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفتتان على أصل منقاره ، أى أعلى منقاره .

أَفْضَلَ حَالٍ ، فَاشْتَدَّ تَعَجُّبِي مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ دَنَوْنَا إِلَى أَفْوَاهِ
الزُّوجِ الْكِبَارِ يَصْنَعَانِ كَمَا يَصْنَعُ الْفَرَّخُ فِي طَلْبِ الزُّقِّ ، وَرَأَيْتُهُمَا حِينَ
زَقَاهُمَا ، فَإِذَا هُمَا لَمَّا اشْتَدَّ جَوْعُهُمَا ، وَكَانَا يَرِيَانَهُمَا يَزُقَّانِ الْفَرَّخَيْنِ وَيَرِيَانِ
الْفَرَّخَيْنِ كَيْفَ يَسْتَطْعِمَانِ وَيَسْتَزِقَّانِ ، حَمَلُهُمَا الْجُوعُ وَحُبُّ الْعَيْشِ ، وَتَلَهُبُ
الْعَطَشُ ، وَمَا فِي طَبْعِهِمَا مِنَ الْهَدَايَةِ ، عَلَى أَنْ طَلِبَا مَا يَطْلُبُ الْفَرَّخُ ، فَزَقَاهُمَا
ثُمَّ صَارَ الزُّقُّ عَادَةً فِي الطَّيَّارِ ، وَالْإِسْتِطْعَامُ عَادَةً فِي الْمَقْصُوصِ .

(من عجائب الحمام)

وَمِنَ الْحَمَامِ حَمَامٌ يَزُقُّ فَرَاخَهُ وَلَا يَزُقُّ شَيْئاً مِنْ فِرَاخِ غَيْرِهِ ، وَإِنْ دَنَا
مِنْهُ مَعَ [فَرَاخِهِ فَرَّخٌ مِنْ^(١)] فَرَاخِ غَيْرِهِ ، وَشَا كَلَّ فَرَّخِيهِ فِي السَّنِّ
وَاللَّوْنِ طَرْدَهُمَا وَلَمْ يَزُقَّهُمَا . وَمِنَ الْحَمَامِ مَا يَزُقُّ كُلَّ فَرَّخٍ دَنَا مِنْهُ ، كَمَا أَنَّ
مِنَ الْحَمَامِ حَمَاماً^(٢) لَا يَزُقُّ فَرَاخَهُ أَلْبَتَّةَ حَتَّى يَمُوتَ . وَإِنَّمَا تَعْظُمُ الْبَلِيَّةُ عَلَى
الْفَرَّخِ إِذَا كَانَ الْأَبُ هُوَ الَّذِي لَا يَزُقُّ ، لِأَنَّ الْوِلَادَةَ وَعَامَّةَ الْحُضْنِ وَالْكَفْلَ
عَلَى الْأُمِّ ، فَإِذَا ظَهَرَ الْوَلَدُ فَعَامَّةُ الزُّقِّ عَلَى الْأَبِ ، كَأَنَّهُ صَاحِبُ الْعِيَالِ
وَالْكَاسِبُ عَلَيْهِمْ ، وَكَالْأُمِّ الَّتِي تَلِدُ وَتَرْضِعُ .

(١) ليست بالأصل : وأرى الكلام في حاجة إليها .

(٢) ط : « حمام » .

(الطائر المجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذي يقال له كاسر العظام^(١) ، فإنه يبلغُ من
بِرِّ الفِراخِ كلِّها^(٢) بعد القيامِ بشأنِ فراخِ نفسه ، أنه يتعاهدُ فرخَ العقابِ
الثالثِ ، الذي تخرجه من عُشِّها ؛ لأنها^(٣) أشْرهُ وأرغبُ بطناً ، وأقسى قلباً
وأسوأ خلقاً من أن تحتَمِلَ^(٤) إطعامَ ثلاثة .

وهي مع ذلك سريعة الجزع ، فتخرج ما فضلَ عن فرخين . فإذا أخرجته
قبله كاسرُ العظامِ وأطعمَهُ ؛ لأنَّ العقابَ من اللاتي تبيضُ ثلاثَ بيضات في
أكثر حالاتها^(٥) .

(دفاع أسدي عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعيِّرَ رجلٌ من بني أسدٍ بأكلِ لحومِ الكلاب ، وذهبَ إلى
قوله^(٦) :

* يا فقَعَسِيُّ لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَهُ *

٥٩

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى
إذا كان في كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح
والبلت - كلاهما كزفر - وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم
المعلوف ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) في الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل^٤ تذكر وتؤنث . وقد أنشأ الجاحظ
هنا بقوله : « عشا » .

(٤) في الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول في عموق العقاب أو برها في الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما في اللسان (روح) وكما سبق في ١ : ٢٦٧ .

* لو خافك الله عليه حرمة *
* فإأ كلت لحمه ولا دمه *

قال : فقال الأعرابي : أما علمت أن الشدة والشجاعة ، والبأس والقوة من الحيوان ، في ثلاثة أصناف : العقاب في الهواء ، والتمساح في ساكن الماء ، والأسد في ساكن الغياض .

وليس في الأرض لحم أشهى إلى التمساح ولا إلى الأسد من لحم الكلب .
فإن شتم فعدوه عدواً لهما ، فإنهما يأكلانه من طريق الغيظ وطلب الثأر ،
وإن شتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية في بني أسد)

وبنو أسد أسد الغياض^(٢) ، وأشبهه شيء بالأسد ، فلذلك تشبهى من اللحمان أشهاها إلى الأسد . والدليل على أنهم أسد ، وفي طباع الأسد ، أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم ، لوجدت شطرها أو قريباً من شطرها لبني أسد .

(١) قال ابن الأنباري : معناه لو علم الله ذلك منك .. (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذي لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ في البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا في س . وفي ط : « الغياض » ! ولعل صوابها « للناس » . وجاء في مسألة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطمان ، وهدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلك كلُّه أنَّ الكلبَ لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بياض الطريق ، وعلى عَفْرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارج دون مرافق المطارج^(١) .
فمن نُبِّله في نفسه أن يتخيَّرَ أبداً أنبلَ موضعٍ في المجلس ، وحيثُ يدعُّه ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاءً عليه - إلاَّ أن يتصدَّرَ^(٢) فيه من لا يجوز إلاَّ أن يكون صدرًا ، فلا يقصِّر الكلب دونَ أن يرقى عليه .

وقد كان في حُجج معاوية في اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البرك^(٣)]
إيَّاه بالسيف ، أنه أبصرَ كلباً على منبره .

هذا على ما طبع عليه من إكرام الرَّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لا ينبحُ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسود ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيةٍ تشبهُ حاله حالَ أهل الرِّيبة .

(١) المطارج : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) في الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أي يجلس في الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمي ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل علي ومعاوية وعمرو في ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذي تكفل بقتل علي ، وثالثهم : زاذويه الذي نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصلياً فأصاب ما كتبه (الكامل ٢ : ١٣٥ - ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبري (٦ : ٨٦) .

ومِنْ كِبْرِهِ وَشِدَّةِ تَجَبُّرِهِ ، وَفَرَطِ حَمِيَّتِهِ^(١) وَأَنْفَتِهِ وَاحْتِقَارِهِ ، أَنَّهُ
مَتَى نَبَحَ عَلَى رَجُلٍ فِي اللَّيْلِ ، وَلَمْ يَمْنَعَهُ حَارِسٌ وَلَمْ يَمَكِّنْهُ الْفُوتُ ، فَدَوَّاهُ
عِنْدَ الرَّجْلِ أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَسْتَخْزِيًا مَسْتَسْلِمًا ، وَأَنَّهُ
إِذَا رَأَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ دَنَا مِنْهُ فَشَغَرَ عَلَيْهِ^(٢) وَلَمْ يَهْجِهِ . كَأَنَّهُ حِينَ ظَفَرَ بِهِ ،
وَرَأَاهُ تَحْتَ قَدْرَتِهِ ، رَأَى أَنْ^(٣) يَسِمَهُ بِمَيْسَمٍ ذُلٌّ ، كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تُجَزُّ
نَوَاصِيَ الْأَسْرَى مِنَ الْفُرْسَانِ ، إِذَا رَامَتْ أَنْ تَخْلِيَ سَبِيلَهَا وَتَمُنَّ عَلَيْهَا ،
وَلَوْ كَفَّ الْعَرَبِيُّ عَنِ الْجَزِّ نَاصِيَتَهُ ، لَوَسَّمَهُ الْأَسِيرُ مِنَ الشُّعْرِ وَالْقَوَافِي الْحَالِدَاتِ
الْبَوَاقِي ، الَّتِي هِيَ أَبْقَى مِنَ الْمَيْسَمِ ، بِمَا هُوَ أَضْرُّ عَلَيْهِ مِنْ جَزِّ نَاصِيَتِهِ ،
وَلَعَلَّهُ لَا يَبْلُغُ أَهْلَهُ حَتَّى تَسْتَوِيَ^(٤) مَعَ سَائِرِ شَعْرِ رَأْسِهِ ، وَلَكِنَّ ذُلَّ الْجَزِّ
لَا يَزَالُ يَلُوحُ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَزَالُ لَهُ أَثْرٌ فِي قَلْبِهِ .

(تقدير مطرف للكلب)

وَذَكَرَ أَنَّ مَطْرَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ^(٥) كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لِلْكَلْبِ
أَخْسًا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَفِي دَعَائِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْكَلْبِ الَّذِي كَانَ

(١) الحمية : الأنفة . وفي الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغره عليه : رفع رجله فبال . وفي ط : « فثفر » ، وصوابه في س .

(٣) في ط : « تحت قدرته أنه » ، وفي س : « روا أن » وصحتهما بما ترى .

(٤) في الأصل : « يستوى » ، والكلام في « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان

لأبيه صحبة . قال الجاحظ في شأنه : وكان خطيبا بيننا صاحب أخبار وآثار -

وذكره في جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير

في مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُهُ لا يَمْنَعُونَهُ مِنْ دُخُولِ مُصَلَّاهُ ، قَالَ : اللَّهُمَّ امْنَعْنَهُمْ بَرَكَةَ صَيْدِهِ !!
دَلِيلٌ عَلَى حَسَنِ رَأْيِهِ فِيهِ .

(مِنْ أَقْوَالِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالُوا : وَمَرَّ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ فِي الْحَوَارِيِّينَ بِجِيْفَةِ كَلْبٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا أَشَدَّ نَتْنَ رِيحِهِ ! قَالَ : فَهَلَّا قُلْتَ : مَا أَشَدَّ بِيَاضَ أَسْنَانِهِ !!
قَالُوا : وَقَالَ رَجُلٌ لِكَلْبٍ : اخْسَأْ ، وَيُثَلِّكُ ! فَقَالَ هَمَّامُ بْنُ الْحَارِثِ (١) :
الْوَيْلُ لِأَهْلِ النَّارِ .

(هِرَاشُ الْكَلَابِ)

وَالْهِرَاشُ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَهَا وَهُوَ شَرٌّ ، يَكُونُ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ
الْمَتَّفِقَةِ ، كَالْبِرْذَوْنِ وَالْبِرْذَوْنِ ، وَالْبَعِيرِ وَالْبَعِيرِ ، وَالْحِمَارِ وَالْحِمَارِ ، وَكَذَلِكَ
جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ . فَأَمَّا الَّذِي يَفْرُطُ وَيَتَمُّ ذَلِكَ فِيهِ ، وَيَتَمَنَعُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ،

= « وَكَانَ يُقَالُ : فَهوَ أَحْسَنُ ، وَوَرَعَ ابْنُ سِيرِينَ ، وَعَقَلَ مَطْرَفُ ، وَحَفِظَ
قِتَادَةُ » . الْبَيَانُ ١ : ٢٤٢ . « وَكَانَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : لَا تَطْعَمْ طَعَامَكَ مِنْ
لَا يَشْتَبِيهِ . يَقُولُ : لَا تَقْبَلْ بِحَدِيثِكَ عَلَيَّ مِنْ لَا يَقْبَلُ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ » الْبَيَانُ
١ : ١٠٣ . وَقَدْ رَوَى الْجَاهِظُ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ فِي الْبَيَانِ . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « وَمَاتَ
عَمْرُو مَطْرَفُ بْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، كَأَنَّهُ وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . . . وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ » .
الْمَعَارِفُ ١٩٣ .

(١) فِي الْبَيَانِ ٣ : ١٩٣ : « زَهَادُ الْكُوفَةِ : عَمْرُو بْنُ عَتْبَةَ ، وَهَمَّامُ بْنُ الْحَارِثِ ،
وَالرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ ، وَأُوَيْسُ الْقُرَنِيُّ »

ويقع فيه القِمَار ، ويتَّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغَالَى به ، فالكلبُ
والكلب ، والكبشُ والكبش ، والدَّيْكُ والدَّيْك ، والسُّمَانِي والسُّمَانِي (١) .

(التحريش بين الجرذان)

فَأَمَّا الْجُرْدُ (٢) فَإِنَّهُ لَا يِقَاتِلُ الْجُرْدَ (٢) حَتَّى يَشُدَّ رَجُلٌ أَحَدَهُمَا فِي طَرَفِ
خَيْطٍ ، وَيَشُدُّ الْجُرْدُ (٢) الْآخَرَ بِالطَّرَفِ الْآخَرَ ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَسَاوَةِ (٣)
وَالِالْتِقَاءِ (٤) ، وَالْعَضُّ وَالْحَمْسُ ، وَإِرَاقَةُ الدَّمِّ وَفَرَى الْجُلُودِ ، مَا لَا يَكُونُ
بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي يُهَارَشُ بِهَا .

والذي يُحَدِّثُ لِلْجُرْدَانِ (٥) طَبِيعَةَ الْقِتَالِ ، الرَّبَاطُ نَفْسُهُ ، فَإِنْ انْقَطَعَ
الْخَيْطُ وَانْحَلَّ الْعَقْدُ ، أَخَذَ هَذَا شَرْقًا وَهَذَا غَرْبًا ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا (٦) أَبَدًا .
وَإِذَا تَقَابَلَتِ جِحْرَةُ الْفَأْرِ ، وَخَلَا هَا الْمَوْضِعُ ، فَيُنْتَهَى شَرْقًا (٧) طَوِيلٌ ،
وَلَكِنَّهُ لَا يَبْعُدُ وَالْوَعِيدُ وَالصَّخْبُ ، وَلَا يَلْتَقِي مَنِمَا اثْنَانِ أَبَدًا .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالسُّمَانِي وَالسُّمَانِي » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَانظُرْ ه : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الْجُرَاد » ، س ، م : « الْجُرْد » ، وَصَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ .

(٣) لَعَلَّهَا « الْمَسَاوَةِ » بِمَعْنَى الْمَوَائِبَةِ ، أَوْ « الْمَشَارَةِ » بِمَعْنَى تَبَادُلِ الشَّرِّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْإِلْتِقَاءُ » . وَانظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ .

(٥) ط : « لِلْجُرَاد » . س ، م : « الْجُرْدَانِ » وَالْوَجْهُ مَا ذَكَرْتُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « يَلْتَقِيَانِ » وَانظُرْ سِيَاقَ الْكَلَامِ .

(٧) الْجِحْرَةُ : جَمْعُ جِحْرٍ . وَ« هَا » وَ« بَيْنَهَا » هِيَ فِي الْأَصْلِ « لَهَا »

وَ« بَيْنَهُمَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، إِذِ الضَّمِيرَانِ رَاجِعَانِ إِلَى الْفَأْرِ ، وَالْفَأْرُ جَمْعُ فَاةٍ .

(قصة ثمامة فيما شاهدته من الفأر)

وحدَّثني ثمامة بن أشرس قال: كان بقي في الحبس جحر فأر^(١)، وتلقاه جحر آخر، فيرى لكل واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً، حتى يُظنَّ أنَّهما سيلتقيان ثم لا يجتزان حتى يقتل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه. فيينا كلُّ واحدٍ منهما في غاية الوعيد، إذ مرَّ هارباً حتى دخل جحره، فما زالا كذلك، حتى أتى الله تعالى بالفرج ونُحِلَّ سبيلي.

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السلوقية الطويلة المناخر أجودُ شماً، والشمُّ العجيب والحسُّ^(٢) اللطيف من ذلك^(٣)، إلا أنَّ ذلك في طلب الذكور للإناث والإناث للذكور خاصة. وأما شمُّ المأكول، واسترواحُ الطَّعم، فليسَّباع في ذلك ما ليس لغيرها. وإنَّ الفأرَ ليشمُّ، وإنَّ الذرَّ والنمل ليشمُّ، وإنَّ السنَّانيرَ لتشمُّ، وكذلك الكلب، وله في ذلك فضيلة، ولا يبلغ ما يبلغ الذئب. وقال أعرابي:

كان أبو الصَّحيم من أربابها صبَّ عليه الله من ذئبها
أطلسَ لا ينحاشُ من كلابها يلتهمُ الطائرَ في ذهابها

(١) كذا، ولعل الكلام « قال إنه كان في الحبس جحر فأر ».

(٢) ط: « الحسن »، وتصحيحه من س.

(٣) أي من طول المناخر.

• فِي الْجَرِيَةِ الْأُولَى فَلَا مَشَى بِهَا •

أَلَا تَرَاهُ يَجْتَهِدُ فِي [الدُّعَاءِ عَلَيْهَا] بِذَنْبٍ^(١) لَا يَنْحَاشُ^٢ مِنَ الْكَلَابِ .

بَاب

مَا يُشَبَّهُ بِالْكَلابِ وَلَا يَسُّهُ هُوَ مِنْهُ

وإذا جرى الفرس المحجل ، شَبَّهوا قوائمه بقوائم الكلب إذا ارتفعت
في بطنه ، فيصير تحجيلها كأنه أكلبٌ صغارٌ تعدو ، كما قال العماني^(٢) :

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلِبًا بِيضًا صِغَارًا يَنْتَهَشْنَ الْمَنْقَبَا^(٣)

وقال البدرى :

كَأَنَّ أَجْرَاءَ كَلَابٍ بِيضٍ دُونَ صِفَاقِيهِ إِلَى التَّغْرِ بِيضٍ^(٤)

(١) في الأصل : « ألا تراه يجتهد في ذنب » ، وأصلحت القول بما ترى .

(٢) العماني هو محمد بن ذؤيب الحنظلي ، وقيل له العماني وهو بصرى ، ولم يكن من أهل عمان ، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال : من هذا العماني ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا ، وكذلك أهل عمان ، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما في بطنه وهو جانع

وكان شاعرا راجزا متوسطا ، من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدتهم في عصره مثل أشجع ، وسلم ، ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بفعله أموالا جائلة ، وكان العماني مقربا لدى الرشيد . الأغاني

(١٧ : ٧٨ - ٨٣) والشعراء لابن قتيبة ٧٣١ - ٧٤٢ .

(٣) انظر ديوان المعاني (٢ : ١١٤) والشعر والشعراء ٣٧٢ .

(٤) الصفاق ، جلد البطن .

وقال الآخر :

كَأَنَّ قِطًّا أَوْ كِلَابًا أَرْبَعًا دُونَ صِفَاقِيهِ إِذَا مَا ضَبَّعًا^(١)
وَيَصْفُونَ الطَّلَعَ أَوَّلَ مَا يَبْدُو صَغَارًا بِأَذَانِ الْكِلَابِ الْبَيْضِ . وَقَالَ
فِي ذَلِكَ الرَّاجِزُ :

أَنْعَتُ جُمَّارًا عَلَى سَحِيضٍ^(٢) يَخْرِجُ بَعْدَ النَّجْمِ وَالتَّبَعِيضِ^(٣)

* طَلَعًا كَأَذَانِ الْكِلَابِ الْبَيْضِ *

وَيُوصَفُ صَوْتُ الشَّخْبِ فِي الْإِنَاءِ بِهَرِيرِ هِرَاشِ الْكِلَابِ .

وقال أعرابي :

كَأَنَّ خَلْفِيهَا إِذَا مَا هَرَّأَ جَرَوًا كِلَابٍ هُورِشًا فَهَرَّأَ^(٤)

وقال الآخر :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا الْمَسْحَنْفِرِ^(٥) بَيْنَ الْأَبَاهِيمِ وَبَيْنَ الْخَنْصَرِ^(٦)

* هِرَاشُ أَجْرَاءٍ وَلَمَّا تُشْغِرُ^(٧) *

(١) ضبع : أسرع . وضبع وضبع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضبع : المضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور الثبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أى صوت هراش أجراء . وتشغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمانة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان

وقال أبو دُوَادٍ (١) :

طَوِيلٌ طَامِحُ الطَّرْفِ إِلَى وَهْوَهَةِ الْكَلْبِ (٢) ٦٢

(جواب صبيّ)

وزعم الهيثم بن عدى (٣) قال : كان رجلٌ يسمّى كلباً ، وكان له بُنْيٌ

يلعبُ في الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابنِ وَوْوَوْوَوْو ! ا

(ما يستحبّ في ذنب كلب الصيد)

ويحبّون أن يكون ذنب الكلب الصّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم

قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

(١) في الأصل : « أبو داود » ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتي في أدب الكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبي دواد . لكن قال أبو عبيد البكري في التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبي دواد ولا وقع في ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزاني . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق في الأصميات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية في المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الكلب » : أي نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الكلب إيساد صاحبه أي إغراءه . والبيت في صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الكلب عند جزعه . والبيت يروي برفع « طويل » وخفضه ، فن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور في البيت الذي قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيب كل ذي مية سكب

أشم سلجم المقبل ل لا شخت ولا جاب

ومن رفع فعلى خبر مبتدأ مضمّر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا في س ، وهو الصواب . وفي ط : عرابي ، وفي م : « عربي » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالماً بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارج . توفي سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر في ٥ : ٢٨٨ .

• تلوي بأذنانٍ قليلاتٍ اللَّحَا (١) •

وقال الشاعر (٢) :

إِنِّي وَطَلَبَ ابْنِ غَلَّاقٍ (٣) لِيَقْرِبَنِي (٤)

كالغابط (٥) الكلبَ يبغي الطَّرْقَ في الذَّنْبِ (٦)

الطَّرْقُ : الشحم اليسير ، يقال : لبس به طَرَق .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس في الأرض فرخٌ ولا جرو ولا شيءٌ من الحيوان أسمنَ ولا أرطبَ ولا أطيّبَ من أجراء الكلب . وهي أشبهُ شيءٍ بالحمام ؛ فإنَّ فراخَ الحمام أسمنُ شيءٌ ما دامت صغاراً من غير أن تسمنَ ، فإذا بلغتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الكلاب .

(١) ط : « اللحم » س : « اللحمي » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد باللحا - وهو مقصور اللحاء - مايكسو الذنب من اللحم . وفي المقصور والمدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للثمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من بني سليم ، كما في اللسان (غبط) .

(٣) في أمثال الميداني ٢ : ٢٠ : « إني وإن ابن غلاق » ، وفي اللسان : « إني وأني ابن غلاق » . والطلب : هو الطلب سكنت لامة للشعر .

(٤) ط : « ليقربني » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميداني واللسان .

(٥) الغابط : الذي يجس الحيوان ليعرف سمته من هزاله . وفي م : « كالغائط » وفي ط : « كالتالب » . وفي الأمثال : « كغابط » ، وذلك تحريف مأثبت من س . وفي اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت في اللسان :

إذا تحليت غلاقا لتعرفها لاحت من اللؤم في أعناقها الكتب

قال الميداني : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللثم .

وقال الآخر :

وأغصَفِ الأذُنِ طَاوِي البَطْنِ مُضْطَمِرٍ

لِوَهْوِهِ رَذِمِ الخَيْشُومِ هَرَّارٍ^(١)

الأصمعيّ قال : قال أعرابيٌّ : أصابتنا سنةٌ شديدةٌ ، ثم أعقبتها سنةٌ تتابعَ فيها الأمطارُ فسمِنتِ الماشيةُ ، وكثرتِ الألبانُ والأسمانُ ، فسَمِنَ وُلدانُ الحَيِّ ، حتَّى كأنَّ استَ أحدهم جرو يتمطَّى !

(طلب أبي دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العباس أميرُ المؤمنين^(٢) لأبي دلامة : سلّ ! قال : كلباً . قال : ويلك ! ما تصنع بالكلب ؟ قال : قلت أصيدُ به . قال : فلك كلب . قال : ودابّةٌ . قال : ودابّةٌ . قال : وغلاماً يركب الدابة ويصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريةٌ . قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريةٌ ودابّةٌ ، هؤلاء عيال ، ولا بدّ من دار . قال : ودار . قال : ولا بدّ لهؤلاء من غلّةٍ ضيّعة . قال : أقطعناك مائةً جريبٍ عامرةً ومائةً جريبٍ غامرة . قال : وأيّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

(١) لوهوه : أي أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجري . والرذم : الذي يقطر أنفه ، وفي اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أي كيدخل ، ويضرب - رذماً ورذماناً : قطر » . وهي في الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار : الكثير الهرير ، وهو التباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية (١٠٤ - ١٣٦) . والحديث في الأغاني ٩ : ١١٦ مع اختلاف في الألفاظ حيث توجد ترجمة أبي دلامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

تبات . قال : أنا أقطعك خمسمائة جريب من فيافي بني أسد غامرة .
قال : قد جعلنا لك المائتين عامرتين كلهما^(١) ، ثم قال : أبقى لك شيء ؟
قال : نعم ، أقبّل يدك . قال : أمّا هذه فدعها . قال : مامنعت عيالي شيئاً
أهون عليهم فقدأ منه ؟ !

(علمه حيلة فوقع في أسرها)

أبو الحسن عن أبي مریم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثر
عليه الدّين حتّى توارى من غرمائه ، ولزم منزله . فأتاه غريم له عليه
شيءٌ يسيرٌ ، فتلطف حتّى وصل إليه ، فقال له : ما تجعلُ لي إن أنا دللتك
على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظهورِ والسّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أفضيكَ
حقك ، وأزيدك ممّا عندي ممّا تقرُّ به عينك . فتوثقَ منه بالأيمان ،
فقال له : إذا كان غداً قبلَ الصّلاةِ مرّ خادمك يكنسُ بابك وفناءك
ويرشٌ ، ويبسطُ على دكانك حصراً ، ويضعُ لك متسكاً ، ثمّ أمهل حتى
تصبح^(٢) ويمرّ الناس ، ثمّ تجلس ، وكلُّ من يمرُّ عليك ويسلمُ انبج له
في وجهه ، ولا تزيدنّ على النّباحِ أحداً كائنا من كان ، ومن كَلّمك من
أهلك أو خدمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتّى تصير إلى الوالى
فإذا كَلّمك فانبج له ، وإيّاك أن تزيدّه أو غيره على النّباحِ ؛ فإنّ الوالى

(١) ط : « كلهما » .

(٢) في الأغاني عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حدقه بالمسألة ولطفه فيها ،
ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال
مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .

(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقنَ أن ذلك منك جِدُّ لم يشكَّ أنه قد عَرَضَ لك عارضٌ من مَسِّ فيخْلِى عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعل ، فرَّ به بعضُ جيرانه فسلمَّ عليه ، فنبَحَ في وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتى تسامعَ غرماؤه فأناه بعضهم فسلمَّ عليه فلم يزدْه على النَّبَاح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزدْه على النَّبَاح ، فرفعه معهم إلى القاضى ، فلم يزدْه على ذلك ، فأمرَ بحبسه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، ومالكٌ نفسه وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ سوى النَّبَاح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ إلا النَّبَاح ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمرَ غرماؤه بالكفِّ عنه ، وقال : هذا رجلٌ به لَمَمٌ . فسكث^(١) ما شاء الله تعالى . ثمَّ إنَّ غريمه الذى كان علَّمه الحيلة ، أتاه متقاضياً لِعِدَّتِهِ^(٢) فلما كلمه جعلَ لا يزيدْه على النَّبَاح ، فقال له : ويلك يا فلان ! ! وعلىَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعلَ لا يزيدْه على النَّبَاح ، فلما يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه به .

(اتحاد المتعاضدين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطاب الأزديّ ، قال : لما تشاغل عبدُ الملك بن مروانَ بمحاربةِ مُصعبِ بنِ الزُّبير ، اجتمعَ وجوهُ الرُّومِ إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنتك الفرصةُ من العرب ، بتشاغلِ بعضهم

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرقة ، وإصلاحها

من س .

(٢) لعدته : لما كان وعدة به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأى لك أن تغزوهم إلى بلادهم ، فإنك إن فعلت ذلك بهم نلت حاجتك ، فلا تدعهم حتى تنقضى الحرب التي بينهم فيجتمعوا عليك ! فهام عن ذلك وخطأ رأيهم ، فأبوا عليه إلا أن يغزوا العرب في بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمر بكلبين فحرش بينهما ، فاقتلا قتالا شديداً ، ثم دعا بشعاب فخلأه ، فلما رأى الكلبان الثعلب ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف ترون؟! هكذا العرب ، تقتل بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤ فعرفوا صدقه ، ورجعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرة لرجلٍ خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديقُ توعدّه بصداقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إن هذا يتوعدني بمعرفتك إياه ، وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ! إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنك بغيره ؟ وأنت لا تصيب من الناس من تنفع عنده المعرفة من ألفٍ واحداً^(١) .

وهذا الكرمُ في الكلابِ عامٌ . والكلبُ يحرسُ ربّه ، ويحمي حريمه شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونائماً ويقظان ، ولا يقصر عن ذلك وإن جفوه ، ولا يخلّمهم وإن خذلوه .

(١) في الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والكلبُ أيقظُ الحيوانَ عيناً في وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثم لا ينام إلاً غراراً وإلا غشاشاً^(١) . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون^(٢)] إسكاراً له ، أن يكونَ كما قال رؤبة :

• لا قيت مطلقاً كنعاسِ الكلبِ^(٣) •

يعنى بذلك القرمطة في المواعيد .

وكذلك فإنه أنومُ ما يكونُ أن يفتحَ عينه بقدر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعةً ، وهو في هذا كله أسمعُ من فرسٍ ، وأحذرُ من عقعق^(٤) ، مع بُعد صوته

(١) الفرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الكلام في هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق - كثعلب - طائر على قدر الحمامة ، في شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثل بالعقق في الحذر ، يضرب به أيضاً في السرقة والخيانة ، قال :

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقعق
قصير الذناب طويل الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينيه في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب في الجمال)

وقيل لرجل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُور العينين ، وإشراف
الحاجبين ، ورُحْب الأُشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السامة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ،
وجوائف اللطعان^(١) ونوافذِ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ،
لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مرهم
ولا إلى علاج .

(طول ذمء الضب والكلب والأفعى)

ترقول العرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذمءٌ^(٢) » ، والكلبُ أعجبُ
في ذلك منه . وإنما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُرُ^(٣) ليلته مذبوحة مفريِّ
الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قَرَّب من النار تحرك . كأنَّهم يظنون أنه
قد كان حيًّا ، وإن كان في العين ميتًا .
والأفعى تبقى أياماً تتحرك .

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذمء : بقية الروح . وفي ط : « أطول شيئاً » ، وهو على الصواب في س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفي ط ، م : « يغبر » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأما الذي يعتريه الاختلاج بعد جموده^(١) ليلة ، فلحمُ البقر
والجُرُز^(٢) ، تختلج وهي على العالِق اختلاجاً شديداً .
والحيّة يُقَطَعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التي تعيش على الجراح ، التي لا يعيش
عليها شيء إلا الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخنفساء .

(قوة فك الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فكاً ، وأزهدّها ناباً ، وأطيبُها^(٣) فماً ،
وأكثرها ريقاً ، يُرمى بالعظم المدمج^(٤) ، فيعلم بالغريزة أنه إن
عضه رضه ، وإن بلعه استمرأه^(٥) .

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخيها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفي س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتي نحو هذا الكلام بمباراة أكثر تفصيلاً في ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو أُلوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانيرَ ، بل يزيد على ذلك في باب الخاصِّ وفي باب العامِّ . فأما باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام (١) ما هو طُوراني (٢) وحشيٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهليٌّ . والخطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيته إلا في أبعدِ المواضع ، من حيث لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادٍ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون في القرب حيث تمتنع منهم في أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملايِسة ، ليس منها وحشيٌّ ، وكلُّها أهليٌّ . وليس من القواطع [ولا] (٣) من الأوابد ما يكون آنس بالناس - من كثيرٍ ممَّا يوصف بالأنس والإلف - من الكلاب دون سواها (٤) . وفي السنانير الوحشيَّة والأهليَّة .

وعلى أن إلفَ الكلب فوقَ إلفِ الإنسان الأُلوف (٥) ، وهو في الكلب أغربٌ منه في الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركها ولم يناسبها ، ورغب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوحوشَ ويمنع جميعَ السباع [من (٦)] الإفساد ؟ ! فذلك أحمدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب في ذلك ما أثبت .
(٢) في معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآني . . . قال : والعامَّة تقول طوراني ، وهو خطأ . وفي اللسان : « وحمام طوراني وطوري منسوب إليه » . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .
(٤) في الأصل : « من الناس دون سواهم » .
(٥) ط : « الأُلوق » ، وصوابه من س ؛ م .
(٦) الزيادة . من س .

وأوجب لشكره . ثم يصيرُ في كثيرٍ من حالاته ، آنسَ بالنَّاسِ منه
بالكلابِ دنيَّةً وقُصرةً^(١) ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه .
ثم لم يرضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع
الخُطاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضلها الله تعالى به من الأُنس ،
حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سلماً ، وإلى أكثر المرافق^(٢) .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس^(٣)] لحارس الناس ولحارسِ أموالهم بُدٌّ من كلب ، وكلَّما
كان أكبرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدُّ لأقاربِ المواشى من الكلاب ، وإلَّا
فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلابِ الصَّيْد ، حتَّى كان أكثرُ
أهل البيت عيالاً على كلِّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقبول التلقين ، وحُسن
التصريف في أصناف اللَّعب ، وفي فِطْن الحكايات [ما ليس^(٤)]

(١) يريد الكلاب القريبة إليه في النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك .
ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلماً » .

(٣) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها . وفي س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله في الأصل : « وفي » ، والوجه ما أثبت .

في الجوارح المذلة لذلك ، المصرفة فيه ، [و^(١)] ما ليس عند الدب والقرد والقبيل ، والغنم المكية ، والبغاء .

(الكلب الزيني)

والكلب الزيني الصيني^(٢) يُسرج على رأسه ساعات كثيرة من الليل فلا يتحرك . وقد كان في بني ضبة كلب زيني صيني ، يُسرج على رأسه ، فلا ينبض فيه نابض ، ويدعونه باسمه ويرمى إليه ببضعة لحم والمسرجة على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرك ، حتى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ، فإذا زایل^(٣) رأسه وثب على اللحم فأكله ! . دُرّب فدرب ، ٦٦ وثقف فثقف ، وأدّب فقيل . وتعلق في رقبته الزنبلة^(٤) والدوخلة^(٥) وتوضع فيها رقعة ، ثم يمضى إلى البقال ويبيع بالحوائج .

(تعليم الكلب والقرد)

ثم صار القراء وصاحب الرباح^(٦) [من^(٧)] ثم يستخرج فيما بين الكلب والقرد ضرباً من العمل ، وأشكالاً من الفطن ، حتى صاروا يطحنون

(١) ليست بالأصل .

(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .

(٣) ط : « أزيل » وصوابه في س .

(٤) كذا ، ولعلها « الزليل » أو « الزنيل » .

(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفينة من

خوص يوضع فيها التمر والرطب .

(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفي الأصل : « الرياح » ! .

(٧) تكملة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضوا به إلى المتعمك^(١) ، فيمكك كما يمكك
حمار المكاري وبغل الطحان .

وقرابة أخرى بينه وبين الإنسان : أنه ليس شيء من الحيوان لذكوره
حجم بادٍ إلا الكلب والإنسان .

(ما يسبح من الحيوان وما لا يسبح)

والكلب بعد هذا أسبح من حية ، ولا يتعلق به في ذلك الثور ،
وذلك فضيلة له على القرد ، مع كثرة فطن القرد وتشبهه بالإنسان ؛ لأن
كل حيوان في الأرض فإنه إذا ألقى في الماء الغمر سبح ، إلا القرد
والفرس الأعسر . والكلب أسبحها كلها ، حتى إنه ليقدّم في ذلك على
البقرة والحية .

(ما في إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفي طباع أرحام الكلاب أعجوبة ؛ لأنها تلقح من أجناس غير
الكلاب ، ويلقحها كما يلغح منها ، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان ،
فتؤدى شبه كل كلب ، وتمتلئ أرحامها أجراء من سفاد كلب ، ومن مرة
واحدة ، كما تمتلئ من عدة كلاب ومن كلب واحد . وليست هذه الفضيلة
إلا لأرحام الكلاب .

(١) المتعمك : مكان تمكك الدابة في التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزنج صِنْفان ، قبيلة زنجية فوق قبيلة ، وهما صِنْفان : النمل والكلاب ، فقبيلة هم الكلاب ، وقبيلة هم النمل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدة^(١) . وهذان الاسمان هما ما اختاراهما لأنفسهما ولم يُكرها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبَةَ^(٢) بن أبي لهب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدةٌ : قد ثبت بذلك أنَّ الأسد كلبُ الله^(٣) . والثانية : أنَّ الله تبارك وتعالى لا يُضاف إليه إلاَّ العظيمُ ،

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الكلاب ، وللقيلعين حديث في البيان ٣ : ٥١ .

(٢) في الأصل : « قال يالهب » . وفي ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبي فيهما نص الجاحظ — « عتبية » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما في الأغاني (١٥ : ٢ — ٣) وكما في المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفي الأغاني عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام في ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي القاصرة ، وهي مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجملوني حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فا أنجني إلا الصبح يشم رؤوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح : أي قوم ! قتلتني دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد في حواشي الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك في آخر الكتاب هنا .

(٣) في فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشر^(١) . فأما الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزوار
الله ، وكتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليق الله ، وكليم الله ،
وروح الله ، وما أشبه ذلك^(٢) . وأما الشر فمكقولهم : دعه في لعنة الله
وسخط الله ، ودعه في نار الله وسعيره^(٣) ، وما أشبه ذلك . وقد يسمّى
المسلمون والناسُ كلاباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أن بنات آوى ، والثعالب والضباع ، والكلاب ،
كلها كلاب ، ولذلك تسافد وتلاقح^(٤) .

وقال آخرون : لعمرى إنها الكلاب إذا أردتم أن تشبهوها ، فأما
أن تكون كلاباً لعلّة أو علتين - والوجه التي تخالف فيها الكلاب أكثر -
فإن هذا مما لا يجوز .

وقول من زعم أن الجواميس بقر وأن الخيل حمر ، أقرب إلى الحق
من قولكم ، وقول من زعم أن الجواميس ضأن البقر . والبقر ضأن أيضاً ،
ولذلك سموا بقر الوحش نعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتفاق الأسماء .

وما بال من زعم أن الأسد والذئب والضبع والثعلب وابن آوى
كلاب أحق بالصواب ممن زعم أن الجواميس ضأن والبقر ضأن

(١) فقه اللغة : « من الأشياء في الخير والشر » ، وفي الثمار « من جميع الأشياء من
الخير والشر » .

(٢) انظر ما سبق في ١ : ٣٤١ .

(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفي الثمار : « وسقره » .

(٤) أراد : « تسافد وتلاقح » فحذف إحدى التامين .

[لوا] (١) الماعزُ كلها شيء واحد . وهذا أقربُ إلى الإمكان ؛ لتشابهها في الظلف والقرون والكروش (٢) وأنها تجترُّ . والسَّنور والفهد والنمر والببر والأسد والذئب والضبع والشَّعْبُ إلى أن تكونَ شيئاً واحداً أقرب . وعلى أننا لم نتبينْ إلى السَّاعة أن الضَّبَاعَ والكلابَ وبناتِ آوى والذئابَ تتلاقحُ ؛ وما رأينا (٣) على هذا قط [سَمِعَا (٤)] ولا عِشْبَاراً ، ولا كلَّ ما يُعدُّون . وما ذِكرهم لذلك إلاَّ من طريق الإخبار عن السُّرعة ، أو عن بعض ما يُشبه ذلك . فأما التلاقح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعرابُ أفطنُ - والكلامُ عندهم أرخص (٥) - من أن يكونوا وصفوا كلَّ شيءٍ يكون في الوحش ، وكلَّ شيءٍ يكون في السَّهل والجبل ، مما إذا جمع (٦) جميعُ أعاجيبه لم يكنْ أظرفَ ولا أكثرَ مما يدَّعون من هذا التَّناسُفُ والتلاقح والتركيب في الامتزازات . فكيف يدَّعون ما هو أظرفُ ، والذي هو أعجبُ وأرغبُ ، إلى ما يستوى في معرفته جميعُ الناسِ ؟ !

(تَمَّةُ الْقَوْلِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أن ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلاَّ على أن تمدحوا كلبكم فيقول قائلكم : ما هو إلاَّ

(١) الزيادة من س .

(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .

(٣) ط : « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما في س .

(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » في الجزء الأول ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٥) س : « أدحض » .

(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسد ؛ وكذلك القول في الأسد إذا سَمِّيموه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإن ذلك على بعض ما وصفنا لك . ويقول أهل حمص : إنهم لا يُغلبون ؛ لأن فيها نورَ الله في الأرض ^(١) . . وما كلبُ الله إلا كُتُور الله . والله ، تبارك وتعالى علواً كبيراً ، لا تُضافُ إليه الكلابُ والسنائيرُ والضَّبَاعُ والشعالب . والنبي صلى الله عليه وسلم] ^(٢) لم يقل هذا قطُّ . وإن كان قاله فعلى صلةٍ كلامٍ أو على حكايةٍ كلام .

وقال صاحب الكلب : قد وضح الأمر ، وتلقاه الناس بالقبول ، في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَكَلَكْ كَلْبُ اللَّهِ » وهو يعنى الأسد . ومن دفع ^(٣) هذا الحديث فقد أنكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الكلب)

والنَّاسُ قد سَمَّوا النَّاسَ بِكَلْبٍ وَكَلْبٍ وَكِلَابٍ وَأَكْلُبٍ وَمَكَالِبٍ وَمَكَالِبَةُ بَنُو رَبِيعَةَ ^(٤) ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفي العرب من

(١) لعلمهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما في معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على علي رضي الله عنه ، بصفين مع معارفة كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن في أهلها كثيراً من رأي مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولاً وأخيراً » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما في الجزء الأول ص ٣١٣ - ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلبية ، وبنو كلاب^(١) ، وأكلبُ بن ربيعة بن نزار
 عمارة ضخمه^(٢) . وكلب بن وبرة جذم من الأجدام^(٣) وهم نفر مجمة^(٤) ،
 وكل سادات^(٥) فهو يحيى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب^(٦) ٦٨
 وأبو عمرو الكلب الجرمي^(٧) وأبو عامر الكلب النحوي . وكيف
 لا يجوز مع ذلك أن يسمّى الأسد بالكلب ، وكل هؤلاء أرفع من
 الأسد؟! !

وقد قالوا : كلب الماء ، وكلبُ الرحي . والضبة^(٨) التي في الرحل
 يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التي تمنع الحائط من السقوط

- (١) في ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .
 (٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى للعظيم .
 (٣) الجذم : الأصل .
 (٤) كذا في ط ، م . وفي س : « وهم بعد مجمة » .
 (٥) كذا في ط . وفي س : « شاداب » . وفي م : « شادات » .
 (٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بني هذيل . قال ابن الأعرابي : سمي
 ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا
 ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو
 بني فهم غزوا متصلا . فنام ليلة في بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم
 قتنه ، وقالت أخته ريطة ترثيه بقصيدة أولها :
 كل امرئ لمحال الدهر مكروب وكل من غالب الأيام مغلوب
 تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبهما مشعجر من نجيع الجوف أسكوب
 والتارك القرن مصفرا أنامله كأنه من رجيع الجوف مخضوب
 تمشى النسور إليه وهي لاهية مشى العذارى عاين الجلابيب
 والمخرج العاتق العذراء مذعنة في السبي ينفخ من أردانها الطيب

الأغاني ٢٠ : ٢٢ - ٢٣ .

(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .

(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدية العقفاء التي تكون في طرف الرحل ، تعلق فيها
 المزارد والأداوى .

وتُشخَّص في القناطر والمسنيَّات (١) .

والكلب الذى فى السماء ذو الصُّور (٢) .

ويقال : داء الكَلْب ، وقد اعتراه فى الطعام كلب ، وقد كلب عليهم

فى الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكذبى شفاء » (٣) .

ومنه الكلبة والكلبتان (٤) والكلَّاب (٥) والكلُّوب (٦) ثمَّ المكلَّب

والمكلب (٧) وهذا مختلف مشتقُّ من ذلك الأصل .

ومنه علُّويَّة (٨) كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجن .

(١) المسناة : السد يمرض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . والكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهى من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى العبور والشعرى اليمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ - ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدرة كما فى ص ٨ - ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمى ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديد التى على خف الرانص للدابة ، وجمها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشيء ورفعها . وقال اللحياني : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد عامه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كمحسن ، وهو الرجل الذى كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوية » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهد أبو علقمة المزني عند سوار بن عبد الله^(١) أو غيره من القضاة [و^(٢)] توقف في قبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقفت في إجازة شهادتي ؟ قال : بلغني أنك تلعب بالكلاب والصقور . قال : من خبرك أنني ألعب فقد أبطل ، وإذا بلغك أنني أصطاد بها فقد صدقك من أبلغك ، وإني أخبرك أنني جاد في الاصطياد بها غير لاعب ولا هازي ، فقد وقف المبلغ بك على فرق ما بين الجد واللعب . قال : ما وقف ولا وقفته عليه . فأجاز شهادته .

(قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنيبه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ ﴾ . فاشتق لكل صائد وجارح كاسب من باز ، وعقير ، وعقاب ، وفهد ،

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبري البصري ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيها فصيحا ، أدبيا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إني جئت في حاجة رفعها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! ف قضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهين ، وزرقي ويويو ، وباشق ، وعناق الأرض (١) ، من اسم الكلب . وهذا يدل على أنه أعمها نفعاً ، وأبعدها صيناً ، وأنبها ذكراً . ثم قال : ﴿ تَعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمهم لها إذ أضاف ذلك إلى نفسه ، ثم أخبر عن أدبها وأنها تمسك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعم أصحاب الصياد أن ليس في الجوارح شيء أجدر أن يتمسك على صاحبه ولا يتمسك على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ (٢) أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ . فخبّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِهْلًا لَقَدْ قُلْنَا

٦٩

(١) عناق الأرض : دوية أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شيء حتى الطير .
(٢) ليست بالأصل .

إِذَا شَطَطًا ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْتَرِ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الصَّفَةِ لِحَالِهِمْ ، وَالتَّمَكِينِ لَهُمْ مِنْ قُلُوبِ السَّامِعِينَ ، وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي أَتَاهُمْ بِهَا : ﴿ وَكَلَبَهُمْ بِأَسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ ﴿٤﴾ فَخَبَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَصْحَبُوا مِنْ جَمِيعِ مَنْ يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ ، شَيْئًا غَيْرَ الْكَلْبِ ، فَإِنَّ مِمَّا يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ : الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ ، وَالْحِمَارَ وَالْبُغْلَ ، وَالتَّوْرَ وَالشَّاةَ ، وَالْحِمَامَ وَالذَّبَّيْكَةَ ، كُلٌّ ذَلِكَ مِمَّا يَرْتَفِقُ [بِهِ (١)] ، وَيُسْتَصْحَبُ فِي الْأَسْفَارِ ، وَيُنْقَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

وَالنَّاسُ يَصْطَادُونَ بِغَيْرِ الْكَلْبِ ، وَيَسْتَمْتَعُونَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، فَخَبَّرَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُمْ خِيَارًا أَوْ أَرَارًا ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَارُوا اسْتَصْحَابَ شَيْءٍ سِوَى الْكَلْبِ ، وَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْفِقِينَ الْمُعْصِمِينَ الْمُؤَيَّدِينَ ، إِلَّا بِخَاصَّةٍ فِي الْكَلْبِ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِهِ .

ثُمَّ أَعَادَ ذَكَرَ الْكَلْبَ ، وَنَبَأًا (٢) عَنْ حَالِهِ ، بَأَنَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُحِصِرْ فِيهِمْ

(١) ارتفق يتعدى بالياء ، فزدت هذه .

(٢) في الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١﴾ وفي قولهم في الآية : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿٢﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَلْبَ رَفِيعُ الْحَالِ ، نَبِيهِ الذُّكْرُ ، إِذْ جُعِلَ رَابِعُهُمْ ، وَعُطِفَ ذِكْرُهُ عَلَى ذِكْرِهِمْ ، وَاشْتَقَّ ذِكْرُهُ مِنْ أَصْلِ ذِكْرِهِمْ ، حَتَّى كَانَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَكْفَاهُمْ أَوْ أَشْبَاهِهِمْ ، أَوْ مِمَّا يَقَارِبُهُمْ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ : سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ . وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ - فَرَقٌ بَيْنَ ، وَطَرِيقٌ وَاضِحٌ .

فَإِنْ قُلْتُمْ : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَحْكِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا حَكَاهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَحَيْثُ يَقُولُ : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿٣﴾ وَقَدْ صَدَقْتُمْ ، وَالصِّفَةُ عَلَى مَا ^(١) ذَكَرْتُمْ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَوْ كَانَ مُنْكَرًا لِأَنكَرِهِ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ كَانَ مَعِيًّا لَعَابَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا ^(٢) حَكَاهُ وَلَمْ يَعْبَهُ ، وَجَعَلَهُ قِرْآنًا وَعَظَّمَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى ، مِمَّا لَا يَنْكَرُ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي اللُّغَةِ ، كَانَ الْكَلَامُ إِذَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ ؛ إِذْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنْزِلَ لَهُ .

(الاستطاعة قبل الفعل ^(٣))

ومثل ذلك مثل بعض المخالفين في القدر ، فإنه سأل بعض أصحابنا فقال : هل تعرف في كتاب الله تعالى أنه يُخْبِرُ عن الاستطاعة ، أمّا قبل

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .

(٢) في الأصل : « فإذا » .

(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولا بن حزم بلح قوی فی هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ - ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . قال المخالف : سألتك أن تخبرني عن الله ، فأخبرتني عن عفرية لو كان بينَ يديَّ لَبَزَقْتُ في وجهه ! قال صاحبنا : أمّا سليمانُ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكِيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كُفْرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لكان سليمانُ ومَنْ حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن العفريةُ في هذا الموضع هو الذي يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرب فيه بذكر سرعة^(١) النفوذ ، ويبشر فيه^(٢) بأنَّ معه من القوة المَجْعولة ما يَتَهَيَأُ لمثلِه قضاء حاجته ، فيكذب ثمَّ لا يرضى بالكذب حتَّى يقول قولاً^(٣) مستنكراً ، ويدَّعى^(٤) قوَّة لا تُجَعَلُ له ، ثمَّ يستقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه - نبيّاً^(٥) قد ملك الجنَّ والإنس ، والرياحَ والطيْر ، وتسيرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شيء ، ثمَّ لا يزجره فضلاً عن أن يضربَه ، ويسجنَه فضلاً عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآناً ، ويترك التنبيه على ما فيه من العيب ، إلا والقول كان صِدْقاً مقبولاً .

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه في س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيننا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القول قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاه
على الناس ، وما زالوا يتلونه في مجالسهم ومحاربيهم ، أفأكان في جميع
هؤلاء واحداً يعرف معرفتك ، أو يغضبُ الله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضت جميع أهل البدو في جميع الآفاق
من الأرض ، أن تُصيبَ^(١) أهلَ خيمةٍ واحدةٍ ، ليس عندهم كلبٌ واحد
فما فوق الواحد لما وجدته . وكذلك كانوا في الجاهليّة ، وعلى ذلك هم
في الإسلام . فمن رجّع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ
والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتهم رأيه ؛ فإن رأى الفردِ
ولاسيما الحسودُ ، لا ينفى برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظاً^(٢) وكيف
بأن ينفى بجميع^(٣) أهل [البدو]^(٤) من العرب والعجم . والدليل على
أن البدو قد يكون في اللغة هما^(٥) جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ
مِنَ الْبَدُوِّ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ولو ابتلى
صاحبُ هذا القول بأن ينزل البادية ، لتحوّل رأيه ، واستبدلَ به رأياً

٧١

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .

(٢) كذا ولعل الكلام « ولاسيما الحسود الذي لا يرى الاستشارة حظاً لا ينفى
برأى واحد » .

(٣) في الأصل : « لجميع » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التمكلة من س .

(٥) ط : « لها » ، والوجه ما أثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعاده . [وقد قال أبو عبّاد النخعي :
لا يكون البُنْيَانُ ^(١) قريةً حتى ينبح فيه كلبٌ ، ويزقو فيه ديك ^(٢)] .
[ولمّا] ^(٣) قال أحمد بنُ الحاركي ^(٤) : لاتصير القريةُ قريةً حتى يصيرَ فيها
حائكٌ ومعلمٌ ، قال : أبو عبّاد ^(٥) : يا مجنونُ ! إذا صارتُ إلى هذا فقد
صارت مدينةً .

وللكلب ^(٦) إثباته وجهٌ صاحبه ، ونظره في عينيه وفي وجهه . وجهه
له ، ودنوه منه ، حتى ربّما لأعبه ولاعب صبيانه بالعضّ الذي لا يؤثّر
ولا يؤجّع ، وهي الأضراسُ التي لو نشبها ^(٧) في الصخر لَنَشِبَتْ ، والأنيابُ
التي لو أنحى بها ^(٨) على الحصَى لرَضَّها .

(١) في الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتى في ص ٢٤٢
من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من ص .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) في الأصل : « الحاركي » . وفي البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركي »
والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة في وسط البحر
الفارسي ، كما في معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الحاركي البصري . وانظر طبقات
ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الحاركي » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشي معجم
المرزباني ٤٣١ .

(٥) هو أبو عبّاد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبي خالد . وأبو عبّاد هو القائل :
إذا أنكر القائل عيني المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي
أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن
كان لاهيا عنه ، حرّمه حسن الحديث ، ونفع المؤانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع
والتقصير في حق المحدث . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) في الأصل : « والكلب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحاها » ، والصواب من ص .

وقد تراه وما يصنع بالعظم المدمج ، وبالفقرة من الصلب القاسى الذى ليس بالنخِر البالى ، ولا بالحديث العهد بالودك الذى يلين معه بالمضغ ويطيب ، فتراه كيف يرضه ويفتته ، ثم إن مانعه بعض المانعة ، ووافق منه بعض . الجوع ، كيف يتلعه وهو واثق بإستمرائه وهضمه ، أو بإذابته وحلّه .

وله ضروبٌ من النغم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعَاءٌ وخُوارٌ^(١) ، وهَرِيرٌ وعُواءٌ ، وبصبصة ، وشيء يصنعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالآنينِ إذا كان يَغشى الصيد ، وله إذا لآعبَ أشكاله فى عُدوات الصيْفِ شيءٌ بين العواء والآنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطى الحصى على أرض السطوح لا يكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا^(٢) .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرٍ الماء ، تنكَّبَ مواضعَ الخربيرِ فى أسفله .

قال الشاعر - ورأى رجلاً اسمه وثاب واسم كلبه عمرو - فقال :

ولو هَيَّا له الله من التوفيق أسبابا^(٣)

لسمى نفسه عمراً وسمى الكلبَ وثابا

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والقطباء والسهام » . فاستماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطى (الحصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه - أى وزن الحصى - يربى على وزنه مراراً » . ووطء الحصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطباء الكلبة والخزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرة الأطباء ، وكذلك الخزيرة . وللفهدة أربعة أطباء من لدن صدرها وقرب إبطيها إلى رُفغيا^(١) . وللليل حلمتان تصغران^(٢) عن جثته . وهما مما يلي الصدر مثل الإنسان ، والذَّكْرُ في ذلك يشبه بالرجل ؛ لأنَّ للرجل ثديين صغيرين عن جثته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنَّ [على^(٣)] الكلابِ واقيةً من عبث السُّفهاء والصُّبيان

بها . قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ ، حين ضربَ امرأته بالسيف ولم يقتلها^(٤) :

٧٢

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ يُعْصَبَانِ عَلَى خِصَابِ

(١) الرفع بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) في الأصل : « حلمتان يصغران » ! .

(٣) التكلمة من س .

(٤) في الأغاني ٩ : ٩ عن ابن الأعرابي : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها

ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها

ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها - أي حزها ولم يقطعها -

فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال : أقر العين « البيتين . ثم قال « قالوا :

يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميداني في الأمثال ٧ :

٢٨٩ يقول : إن الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية

كواقية الكلاب » وقال : « أي وقاية كواقية الكلاب على ولدها . وهي أشد

الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبي في ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا

للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقَاهُنَّ أَنْ لهنَّ جَدًّا (١) وواقية كواقية الكلاب

وقال الآخر :

إِنْ يَقِينَا اللهُ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّ الكلابَ لها واقية (٢)

ويروى :

• سينجيه من شرِّها شرُّه •

وقال غيره (٣) :

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت إن الكلاب طويلة الأعمار

وقال بشر بن المعتمر

الناسُ دأباً في طلاب الثراء (٤) فكلُّهم من شأنه الختر (٥)

كأذوبٍ تنهشها أذوبٌ لها عواءٌ ولها زفرٌ (٦)

(١) في الأصل : « جلدا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما في الأغاني . وفي ثمار القلوب : « لوما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت في جملة أبيات رواها ابن هشام في السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يدها » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) في المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد المبدى .

(٤) في الأصل وكذا في اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هي مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » . ويؤيد ما أثبت رواية البيت في الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفي س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ريج) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل محذوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدأ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) في الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ في تفسير ذلك فإنها - يعني الذئب - قد تهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقه وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكوني يا ابنة الأشم وراق دمي ذئبا المدمى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أخال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قزح الكلب ببوله يقزح قزحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصقر : يقزح ببوله حين يبول ، وشغر الكلب يشغر إذا رفع رجله ، بال أو لم يبيل . ويقال شغرتُ بالمرأة^(١) أشغرُها شغراً^(٢) إذا رفعت رجلها للنكاح . قال : ويقال عاظل الكلبُ معاظلةً ، يعنى السَّفاد ، قال أبو الزحف^(٣) :

كِمِشِيَّةٌ^(٤) الكلبِ مَشَى للكَلْبَةِ يَبْغِي العِظَالَ مُصْحَرًا^(٥) بالسَّوَاءِ
قال : ويقال كلبٌ عاظلٌ وكلابٌ عُظَّلٌ وعَظَالِي .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

ولست بخيرٍ من يزيدَ وخالدٍ ولست بخيرٍ من معاظلة الكلبِ^(٦)

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغر بها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطمى - ابن عم جرير بن الخطمى - وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتي وهدجانا لم يكن من مشيتي

كهدجان الرأل خلف الهيقة مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ - ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كمشية » .

(٥) فى الأصل : « بمصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين - ما يقع فى القافية . فن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق سحا فلا غارب منها ولا راق

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا ولست بخير من معاظلة للكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالك بن عبد الله الجعدي ، يوم فيفِ الرِّيح (١) : حدَّثني أبي ،
لقد نظرتُ يَوْمَئِذٍ إلى بني عبد الحارث بن نعيم ، فما شبَّهتهم إلا بالكلاب
المتعاطلة حَوْلَ اللِّواء .

وقال أبو براء عامر بن مالك ملاعبُ الأَسِنَّة (٢) - لآعبه الحارث
والبيوم قال فقال (٣) منذ يومئذ .

قال : والسَّلُوقِيَّةُ منسوبةٌ إلى سَلُوقٍ من بلاد اليمن ، لها سلاحٌ جيِّدٌ
وكلابٌ فُرَّه (٤) . وقال القطامي :

معه ضواري من سَلُوقٍ له طَوْرًا تُعَانِدُهُ وتنفعه (٥)

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالوا : وليس في الأرض بهيمةٌ [ولا سبعٌ أنثى تريد فِطامَ ولدها
وإخراجَه من اللَّبَنِ إلى اللحم ، أو من اللَّبَنِ إلى العُشبِ ، إن كانت بهيمةٌ

(١) كذا . ولعل الكلام « وقد ذكر يوم فيف للريح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسننة
لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسننة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع
وهو عم لييد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفي العامرين
قالوا : « أفرس من ملاعب الأسننة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغاني
(١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسننة
أربعين مربعا في الجاهلية - والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه .
(بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسننة في نحو سنة ١٠ من الهجرة .

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفي س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راعع وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت في ديوان القطامي ، ووجدت شيئا به ، من قصيدة نونية
ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرد الأرسانا

إلا وهي تعفر ولدها . والتعفير : أن ترضعه وتمنعه حتى يجوع ويطلب اللحم إن كان سبعاً ، والعُشْبُ إن كان بهيمة^(١)] ، فلا تزال تنوّله وتُماطله ، [وكلما^(٢)] مرّت عليه الأيامُ كان وقتُ منعها له أطولَ ، حتّى إذا قوى على أكل اللحمِ أو العُشْبِ فطمته . قال لبيدٌ في مثل ذلك :

٧٣ أَفْتَلِكَ أُمٌّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خُدِلَتْ وَهَادِيَةُ الصَّوَارِ قِوَامُهَا^(٣)
 خَنَسَاءٌ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا^(٤)
 لَمُعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُمْنُ طَعَامُهَا^(٥)
 صَادَفَنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمَنَابِيَا لَا تَطِيْشُ سِهَامُهَا^(٦)
 لأن البقرة إذا كانت بحضرة ولدها لم تضيّعه وتمنع السباع منه ،
 وقاتلت دونه بقرونها أشدّ القتال ، حتّى تُنجيه أو تعطب .

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقره من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم للصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة ككلامه ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقد أضلته فانصرفت هائمة نائرة في طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفريز : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والحجى . والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى أبقى على المعفر وهو التراب ، أو الممفر : الذى تدرجت أمه معه فى طعامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى الكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالكلاب)

[قال : و]^(١) كان ابنُ لِسَانِ الحُمْرَةِ^(٢) يكنى أبا كلاب^(٣) . وكان زوجُ حُبَيِّ المدنيَّةِ يقال له ابنُ أمِّ كِلاب ، وقال الشَّاعر يذكُرُها^(٤) :

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحسين أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفي الفهرست ٩٩ لبيسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصرأ . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسأله المغيرة في طبائع قبائل من العرب ، وفي خاتم النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها في الأغاني ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سثول وقلب عقول ! انظر الدميري برسم (الحمرة) وفي البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبي نضرة وكلام ابن أبي بسكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة » . والحمرة : طائر يشبه المصفور .

(٣) في الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والدميري ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدبة بن خشرم اللعدي ، كما في أمثال الميداني (١ : ٣٥٣) . وحبي هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتي يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فثنى إلى مروان بن الحكم — وهو والي المدينة — وقال : إن أمي السفينة ، على كبر سنها وسني ، تزوجت شابا مقتيل السن ، فصيرتني ونفسي حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا بردعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله ليصرعن أملك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضييبته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبي مصرع هدبة بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو في ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول ؟ ! تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبي فأنشد البيتين الآتين . انظر أمثال الميداني والكامل ٧٦٦ لبيسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجْدِي بِهِ أُمًَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجْدٌ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا كَمَا انْبَعَثَ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ^(١)

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر^(٢) يَصِفُ عَيُونَ الكِلَابِ إِذَا أَبْصَرَتِ الصَّيْدَ :

مَجْزَعَةٌ غُضْفٌ كَأَنَّ عَيُونَهَا

إِذَا آذَنَ الْقُنَاصُ بِالصَّيْدِ عَضْرَسٌ

مَجْزَعَةٌ : فِي أَعْنَاقِهَا جَزَعٌ ، وَهُوَ الْوَدَعُ يُجْعَلُ فِي الْقَلَائِدِ . يَقُولُ : تَبْيَضُّ

عَيُونُهَا حِينَ تَخْتَلُ الصَّيْدَ . وَالْعَضْرَسُ هَاهُنَا : الْبَرْدُ^(٣) .

وَقَالَ الْآخَرُ :

خُوصٌ تَرَّاحَ إِلَى الصَّرَاحِ إِذَا غَدَّتْ

فَعَلَ الضَّرَّاءُ تَرَّاحٌ لِلْكَلَّابِ^(٤)

وَقَالَ آخَرٌ وَذَكَرَ الضَّرَّاءَ ، وَهُوَ يَصِفُ الشَّيْخَ وَضَعْفَهُ :

وَمِنْهَا أَنْ يُقَادَ بِهِ بَعِيرٌ ذَلُولٌ حِينَ تَهْتَرِشُ الْكِلَابُ

(١) فِي الْمِيدَانِي : « عُنْطُنَا » مَوْضِعُ « شَمْرَدَلَا » .

(٢) هُوَ الْبَعِيثُ كَمَا فِي الْإِسَانِ (عَضْرَسٌ) . وَأَنْشَدَهُ ، فِي (حَرْجِ) بَدُونِ نَسْبَةٍ .

(٣) بِمِثْلِ ذَلِكَ فَسَّرَهُ الْجَوْهَرِيُّ ، لَكِنْ عَقِبَ عَلَيْهِ ابْنُ بَرِيٍّ بِقَوْلِهِ « وَالْعَضْرَسُ »

هَهُنَا نَبَاتٌ لَهُ لَوْنٌ أَحْمَرٌ تَشْبَهُ بِهِ عَيُونَ الْكِلَابِ لِأَنَّهَا حَمْرٌ ، وَلَيْسَ هُوَ هُنَا حَبُّ الْغَمَامِ

كَأَنَّ ذَكَرَ - يَعْنِي الْجَوْهَرِيُّ - إِنَّمَا ذَلِكَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ هَذَا وَهُوَ :

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ رَخِيْبَةٌ تَحْيِي بِقَطْرِ كَالْجَمَانِ وَعَضْرَسُ

قَلْتُ : وَلاَمْرِي الْقَيْسُ بَيْتٌ يَلِيْقُ بِتَأْوِيلِ ابْنِ بَرِيٍّ ، وَهُوَ كَمَا فِي الدِّيْوَانِ ١٤٧ :

مَغْرَثَةٌ زَرْقًا كَأَنَّ عَيُونَهَا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيْحَاءِ نَوَارِ عَضْرَسِ

(٤) ط : « الْكِلَابِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ سِ وَالْحَيَوَانَ ٥ : ٣٤٣ .

قال : ومم عند الحاجة يُعِدُّون الكلبَ والمطيبة ، وأنشد^(١) :
فأعقبَ خيراً كلُّ أهوجٍ مِهْرَجٍ وكلُّ مُفدأةٍ العُلاةِ صِلْدِمِ^(٢)
وقال الآخر :

• مُفدَّياتٌ وملقَّباتٌ^(٣) •

وأنشد قول أبي ذؤيب^(٤) في شبهه بالمعنى الأول :
شَغِفَ الكلابُ الضَّارياتُ به فإذا يَرى الصُّبحَ المُصدِّقَ يَفزَعُ
يقول : هذه الثَّيران لما قد لُقِّينَ^(٥) مع الصبح والإشراق من

-
- (١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمل القالي ١ : ١٨٩ .
(٢) قال أبو علي : « أهوج يعني فرساً . أى أعقب خيراً ، مما أقاموا عليه وصنوه .
والأهوج : الذى يركب رأسه فيمضى » . والمهراج والهراج : الكثير الجرى .
وفى الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالى . والعلاة : الجرى
بمد الجرى الأول . ومفدأة العلاة : التى يقال لها إذا طلبت علائها ويها ، فداه
لك !! وفى ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالى . والصلدم : الشديدة .
(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائبة أبي نواس المتقدمة ص ٣٨ .
(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبي ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من
قصيدة أبي ذؤيب الهدلى المشهورة التى مطلعها :
أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وهى قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه فى العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب
أولاده وكانوا سبعة فاتوا كلهم إلا طفلاً . ومنها البيت للسانر :
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع
وقال فيها فى الطفل الذى بقى له :
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تنقع
وقد روى صاحب اللسان (مادة شغف) وكذا الراغب فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :
شغف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع
قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترعب
الكلاب أن تأتبه » . والشطر الأول فى رواية الجاحظ عروضه حذاء .
(٥) فى الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين^(١)] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ^(٢) ؛
وذلك أنها تمطرُ ليلتها فتَشْرِقُ في الشمس^(٣) ، فعندها تُرْسَل
عليها الكلاب .

٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرضُ الذئبُ للغنم مع الصُّبح ، وإِنَّمَا رَقِبَ فِتْرَةَ
الكلب وكرالته ؛ لأنَّه باتَ ليلته دائماً يحرس .
وقال أعرابيٌّ وكسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح^(٤) ، فقال :

أودى بوردة أمَّ الوردِ ذو عسلٍ من الذئاب إذا مراح أو بكرًا^(٥)
لولا ابنها وسليباتُها غرر ما انفكت العينُ تُذري دمعها دررًا^(٦)
كأنما الذئبُ إذْ يعدو على غنمي في الصُّبح طالبٌ وترٍ كان فاترًا^(٧)
اعتامها اعتامه شئنٌ برائنه من الضواري اللواتي تتمصمُ القصرًا^(٨)

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهي من س ، م .

(٢) في الأصل : « فزع » .

(٣) كذا في س ، ط . وفي م : « فتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى
النساءين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا
« ولا تبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس في الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيها أم الورد كما سيأتي في ص ٢٧٦ من
هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال غسل الذئب يعسل - كيضرب - عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب في
علوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهي جمع درة بالكسر .

(٧) اتأر : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة في معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطنق عقيلة مال . الفاحش المتشدد
والشئن البرائن : لتغليظها ، وعنى به اللسع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهي
جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل من الخير ما قال ،
وسماه زيد الخير ، ما سأله زيد شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلا أنه قال :
يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذريح^(١) ، والآخر يكنى أبا دجاجة ،
ولهما أكلب خمسة تصيد الطباء ، فما ترى في صيدهم^(٢) ؟ فأزل الله عزَّ
وجلَّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأولُ شئٍ يعظَّم في عينك شأن الكلب ، أن هذا الوافد الكريم
الذي قيل له ما قيل ، وسمي بما لم يسم به أحد - لم يسأل إلا عن
شأن الكلب .

وثانية وهي أعظمها : أن الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحْكَمًا
[فقال^(٣)] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمي صيدها طيباً ، ثم قال :
﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ ﴾ مخبراً عن قبولها للتعليم^(٤)

(١) روى الحديث برواية أخرى في تفسير ابن أبي حاتم ، وهي أن عدى بن حاتم وزيد
الخيل الطائنين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إنا قوم
نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء . قال
ابن حجر في الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طييء .
لا اسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكملة من س .

(٤) ط : « للتعميم » ، وهو خطأ مطبعي فيما أحسب ، صوابه في س .

والتأديب . ثم قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ ولولا أن ذلك الباب من التعليم والعلم مرضى عند الله عز وجل ، لما أضافه إلى نفسه . ثم [قال (١)] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فأولُ شيء يعظم به في عينك إمساكه عليك . وهكذا يقول أصحابُ الصيد ، إنَّ كلُّ صائدٍ فإِثْمًا يُمَسِّكُ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يُمَسِّكُ عَلَى صَاحِبِهِ .

ولو كان الجوابُ لزيد الخليل سنةً من سنن النبي صلى الله عليه وسلم لكان في ذلك الرِّفْعَةُ ، فكيف والكتابُ فوق السنة .

وقد روى هشام أن ابن عباسٍ سَمَّى كِلَابَ ذَرِيحٍ هَذِهِ وَكِلَابَ أَبِي دُجَانَةَ فَقَالَ : الْمُخْتَلِسُ ، وَغَلَّابٌ ، وَالْقَنِيصُ ، وَسَلْهَبٌ ، وَسِرْحَانٌ ، وَالْمُتَعَاطِسُ (٢) .

(دواء الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ)

وزعم الأطباء أن من أجود أدوية الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ (٣) أن ينفع (٤) في حلق من كان ذلك به ، ماجف من رجميع الكلاب . وأجود ذلك أن يكون يتغرغر به وربما طلوه على جلد المحموم (٥) الحديد الحمى (٦) .

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتعاطيس » ، وأثبت ما في س . وانظر ماسق في ص ١٨ س ٤ .

(٣) الخانوق : داء يأخذ في الحلق .

(٤) ينفع : بمعنى يدفع .

(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .

(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفي الأصل : « الحديد الحمى » .

(ربيع الكلاب)

٧٥ وأجود ربيع الكلاب أن يشتد بياضه . وليس يعتريه البياض إلا
عن أكل الطعام ، وذلك ردىء للقانص منها .

والجُور^(١) قد تبيض إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال
أبو كلاب - وهو ابن لسان الحمرة^(٢) - ومرَّ به رجلٌ من بني أسد فقال :
قد علمت العربُ يامعشرَ بني أسدٍ أنكم أشدُّها بياضَ جُور ، فعكفَ
عليه فضرَّبه بالسَّيف حتى برَد^(٣) .

وذلك أنه عيَّره بأنهم لا يعرفون البقل ، ولا يعرفون إلا اللبن .

وقال الشاعرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلُهُ بِيضُ الجُورِ كأنَّهُمْ بَمَنعَرَجِ الغِيطانِ شُهْبُ العَنَّا كِبِ^(٤)

والعرب تقول : اللحم أقلُّ الطعامِ بَنجراً .

(١) ص : « الجور » بالإنفراد . والجور : ما يبس من العذرة في الحجر أى الدبر ، أو نجس كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب: وما للديك وللكلاب ، والكلابُ يَزَلُ فيها القرآنُ ويُحدِّثُ فيها السننُ ، ويشتقُّ من أسماؤها للناس وللأسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعرافٌ منسوبة ، وبُلدانٌ مشهورة ، وألقابٌ وسماتٌ ، ومناقبٌ ومقاماتٌ !!

وما للديك إلا ما تقول العوامُّ : أنه إذا كان في الدارِ ديكٌ أبيضٌ أفرق^(١) لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خبيرٌ^(٢) ذلك ، ولو كان ذلك حقاً ، بشؤمه ؛ لأنَّ العوامَّ تقضى على مَنْ كان في داره ديكٌ أبيضٌ أفرق^(٣) بالزندقة .

والذين يقولون إنَّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقٌ لم يدخلها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أكلَ لحمَ سنورٍ أسودٍ لم يضره سحر ، وإذا دُخنت الدار بالدُّخنة^(٤) التي سموها بدُّخنة مريم ، أو باللُّبان ، لم يكن عليها لُعْمَار الدَّار سبيل ، فإن مرَّت ساحرة^(٥) تطير سقطت . وهم الذين لا يشكون أن من نام بين البابين تحبَّطه العُمارُ وخبَلته الجن .

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) في الأصل : « خبر » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « أفرق » بالقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) للدُّخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرَّت هابرة » . وفي م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذئبِ والسَّنورِ وأشباه ذلك : جرو .
ويقال للصغير من الحنظل على مثل ذلك : جرو . وقال النَّمِرُ بنُ تَوَلِّبٍ :
بجرو يُلقَى في سِقَاءٍ كأنه مِن الحنظلِ العامِّي جروُ مفلقُ

(من قول صاحب الكلب)

ومما زادَ في ذِكرِ الكلبِ قولُ السيّدِ بنِ محمدٍ^(١) في شأن عائشة
في الحديث الذي رَوَّه^(٢) - وكان السيّد رافضياً غالباً ، وليس في ذكره
شرف ، ولكنّه أجمعُ للفنِّ^(٣) - :

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري . وجده
يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ،
وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج في
الأغاني ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار
وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره - يعنى السيد - لما كان
يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره .
قال الصلاح الكتبي في الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان
رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفي الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد
سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت
بالخواب - وهو موضع بئر قريب من البصرة - فسمعت نباح الكلاب فقالت :
ما هذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الخواب . فقالت : إن الله ، ما أراني
إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأي قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري ، أيتكن تنبجها كلاب الخواب سائرة
إلى الشرق في كتيبة ! وهمت بالرجوع ففالتوهم وحلقوا لها أنه ليس الخواب .
انظر معجم البلدان برسم (الجواب) .

(٣) س : « الفن » .

تهوى من البلدِ الحرامِ فنبهتُ بَعْدَ الْهُدُوِّ كِلَابَ أَهْلِ الْحَوْءِ
قال : ويقال صرّفت الكلبة صِرَافاً وصرُوفاً ، وظلّعت تظلع ظلوعاً

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال في ذلك : « لا أفعلُ حتى ينامَ ظالعُ الكلابِ » . قال
الأصمعيُّ : هذا باطل ، إنّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظلعُ منه لم يُطق
سِفاد الكلبة حتى تهْدأ الرَّجُلُ ، وحتى تملَّ الكلابُ التُّباحَ (١) وتفتريقَ ،
وتحتاجَ إلى النَّومِ لطولِ التعبِ (٢) ، وإذا كان في ذلك الوقت يلتمس (٣) الظالع
ورامَ سِفاد الكلبة ، لم يعرف ظلعه إلا الكلبة . وأنشد فقال (٤) :

تسدّيْتها مِنْ بَعْدِ ما نامَ ظالِعُ الْكِلابِ وَأُخْبِي نارهَ كلُّ مُوقِدِ
وأنشد غيره لجران العود :

وكانَ فُوادِي قَدْ صَحَّأَ ثُمَّ هاجَهَ (٥) حَمَامٌ وَرُقٌ بِالْمَدَائِنِ هَتْفُ
كأنَّ الهديلَ (٦) الظالِعَ الرَّجُلِ وَسَطْها
مِنَ البغْيِ شَرِيبٌ يُغَرِّدُ مُتَرَفٌ (٧)

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه في ص ٥٩ من هذا الجزء

(٥) للرواية في الديوان ١٣ : « ثم هاجني » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صححته من س والديوان . والهديل عى به هنا الفرخ
أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروي : « منزف » ويفتح
الزاي وكسرهما ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثاني من أنزفه السكر :
ذهب بعقله . انظر أدب الكتاب ١٤٩ والاقطصاب ٣٥٢ .

(ما قيل من الشعر في إشلاء الكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً في غير هذا الباب ، قال الأعرابي :

نزلنا بعباد فأشلى كلابه علينا فكِدْنَا بين بابيه نُوكَلُ^(١)
فَقُلْتُ لأصحابي أسرُّ إليهمُ إذا اليومُ أو يومُ القيامةِ أطولُ
وقال آخر^(٢) :

أعددتُ للضيِّفانِ كلباً ضارباً عندي وفضلَ هراوةٍ من أرزن^(٣)
وقال في خلاف ذلك مالكُ بن حريم^(٤) الهمدانيُّ :

وواحدةٌ إلا أبيتَ بغيرِ إذا ماسوأمُ الحىُّ بات مصرعاً^(٥)

(١) البيتان رواهما الجاحظ في البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار » .

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدي ، وكان يعامل تجار المدن ويلويهم بمقوقهم . حماسة للبحترى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية في البخلاء ٢٠٠ . وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفي حماسة البحرى : « أعددت للفرما سيفاً صارماً » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت في حماسة البحرى :

عجراً ظاهرة الخيود متينة أعددتها لتجار أهل المدن

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذراً كذباً ووجهاً بأسراً متشكياً عض الزمان الألزن

ومثل هذا فى اللسان .

وقد روى البحرى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إني وجدك ما أقضى الغريم إذا حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعصد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادى أبى زيد وأمالى

القالى . ومالك : شاعر جاهل . انظر شرح المرزوق للحماسية رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

إن يك شاب الرأس منى فإنى أبيت على نفس مناقب أربعاً

وثانيةً ألا تفرع جارتى إذا كان جارُ القوم فيهم مفرعاً
وثالثةً ألا أصمّت كلبنا إذا نزل الأضيافُ حرصاً لتوزعاً

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لِحَزَّ الكلبُ الإناء ، فهو يلحزه لِحْزًا ، ولِحْسَه فهو يلحسه
لِحْسًا . قال أبو يزيد^(١) : وذلك إذا لِحِسَ الإناء من باطنه . والقَرَوُ :
مِيلَغَةُ الكلب ، فإذا كان للكلب فإِنَّمَا هو من أسفل كَوْزٍ أو ما أشبه
ذلك ، وإلَّا فالقَرَوُ أسفلُ نَخْلَةٍ يُنَجَّرُ ويقوَّبُ ويُنتَبَدُ فيه .

وقال الأعشى :

أرمى بها البيدَ إذا أعرَضتَ وأنتَ بينَ القَرَوِ والعاصِرِ^(٢)
في مجدَلٍ شيدٍ بُنيانُهُ يزلُّ عنه ظفُرُ الطَّائِرِ^(٣)

(أحجية في الكلب)

وممَّا يُحاجِي به النَّاسُ بعضهم بعضاً أن يقولوا : أنعرفون شيئاً إذا
قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الكلب ؛ لأنَّ الكلب قعوده

(١) كذا في ط ، س . وفي م : « أبو زن . » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو
أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمى به » وصوابه في ط ، والضمير للناقة في بيت قبل هذا ، وهو :

لقد أسلى لهم حين اعترى بجمرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كنبير : القصر المشرف ، سمي مجدلاً لوثاقه بنيانه . والقصيدة في ديوان

الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهي من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا ألقى كان أرفعَ لسمكه ، وأرفعَ في الهواء طولاً منه إذا قام . وقال عُمر^(١) بن لُجيا :

عليه حيوف مستقدم^(٢) مُقعِر كإقعا^(٣) الكلبِ بالمعصم

ويقال ألقى الكلبُ إقعاءً ، ولا يقال قعد ولا جلس . وفي الحديث :

« أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقْعِيَ أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ إِقْعَاءَ الْكَلْبِ » .

(معرفة سن الكلب)

قال صاحب الكلب : يُعرَف فتاء الكلب وهَرْمُهُ بالأسنان ، فإذا

كانت سوداء^(٤) كانت دليلاً على كبره ، وإذا كانت بيضاً^(٥) حادة دلَّت على الفناء والحدائث . وقال : أسنان الذكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوان المشقوقة الأفواه كالسكلب والأسد والفهد موصوفات

بشدة الماضيع والفك والحراطين ، كالسكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبه

السكلبُ الأسدَ في شخو الفم واتساعه ، وعلى أن شخوَّفه على مقدار

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب في م . وعمر بن لُجيا : شاعر إسلامي كانت له

مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ - ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يختلف الوزن ، وصوابه في م .

(٤) ط : « سوا » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبّه الذئبَ والخنزيرَ في طول الحَظْمِ وامتداد الخُرطومِ ؛
ولذلك كان شديدَ القلبِ ، جيّدَ الاسترواحِ . فجمع السكّابُ دون هذه
الأصنافِ ما يصلحُ للرضِّ والحطْمِ ، كما جمع ما يصلحُ للابتلاعِ والالتهامِ
واخطم^(١) [و^(٢)] الاستمراءِ .

(بمض ما قيل في الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشَّخْوِ ، فهو يبتلع البَضْعَةَ التي لو رآها الإنسان
لم يظنَّ أنَّ حلقه يتسع لمرورِ ذلك . ويقال إنَّ عنقه عظمٌ واحدٌ واللِّقْمُ
لا يجول فيه^(٣) ، وهو في ذلك قليلُ الرِّيقِ ، فلا يسلسُ في حلقه ما يمرُّ فيه ،
بل يبتلع لفرطِ نهمه وشخوِّ حَيِّيه ضعْفَى ذلك المقدارِ .
وقد زعم ناسٌ أنَّ الذي يدلُّ على أنَّ عنقَ السَّبْعِ عظمٌ واحدٌ ، ضعفه
عن تصريفه عنقه ، فلا يلتفت إلا معاً ، فيسمَّى الأصبِد^(٤) .

وقال جرّان العوّدِ في صفة الذئبِ :

شدُّ الماضغِ منه كلُّ ملتفتٍ وفي الذراعينِ والخُرطومِ تسهيلٌ^(٥)

(١) ليست هذه الكلمة في س .

(٢) التكلة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : ما يهيا للقم أي الابتلاع . وجرى العامة في مصر على تخصيصه
بكسرة الحيز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام في الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد ماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التي ذكرها جرّان العود
في بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أر نعمة من إراخ الرمل أخذها عن إلفها واضح الخدين مكجول
وكل ملتفت ظرف مكان ، عني به كل ناحية . والخُرطوم : الحطم ، وهو مقدم
القم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات)

وقالوا في أسنان الذئب وفي أسنان بعض الحياتِ بِأَنَّهَا مَمْطُولَةٌ^(١)
في الفسكين ، يَذْهَبُ إلى أَنَّهُ^(٢) عَظْمٌ مَخْلُوقٌ في الفك ، وَأَنَّهُ لَا يُشْفَرُ^(٣) .
وَأَنشَدُوا :

مُطِلْنَنَ في اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إلى رَأْسِ وَأَشْدَاقِ رَحِيَّاتِ^(٤)
والحياتُ تُوصَفُ بسعة الأَشْدَاقِ ، والأَفَاعِي خاصَّةً هي المَنْعُوتَةُ بِذَلِكَ .
وقال الشاعر - وهو جَاهِلِيٌّ^(٥) - :

[خُلِقَتْ لَهُازِمُهُ عَزِينٌ وَرَأْسُهُ

كَالْقُرْصِ فُلْطَحَ من طَحِينِ شَعِيرِ^(٦)]

(١) مَمْطُولَةٌ : أى ممتدة داخلية ، أو بمعنى مطبوعة طبما .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أَشْفَرُ : أتق ثفره ، والثفر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، وللصواب أن صاحب الشعر إسلامي ، فقد نسبة صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحر البجلي . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحر هذا إسلامي قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو في الأسمعيات منسوب إلى ابن مهدي وهو أعرابي صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات في أمالي القائل وقد جاء برسم (أبو مهدي) . وابن النديم يعرفه بأبي مهدي ، ومثله في الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما في الأسمعيات :

قد كاد يقتلني أسم مرقش من حب كلم والخطوب كثير
حتى أصد الله عنى رأسه والله بالمره المضاف بصير

(٦) هذا البيت ساقط من ط وأثبتته من س ، م . لهازمه : أصول حنكية .
عزيرين : متفرقات ، وفي اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فططح » وهما
بمعنى ، يقال فرطح الفرص وقلطحه إذا بسطه . وفي الأسمعيات : « فططح من
عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كذب) :

كأن قرصا من طحين معتك هامة في مثل كتاب العيب

ويُدِيرُ عَيْنًا لِلوِقَاعِ كَأَنَّهَا سَمْرَاءٌ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرٍ (١)
وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزٍ مَضْمُضَةً لَطَهُورٍ (٢)

(مما أشبه فيه الكلبُ الإنسانَ والأسدَ)

٧٨ ومما أشبه فيه الكلبُ الإنسانَ والأسدَ ، أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأجناسِ لئنما له بطنٌ واحدٌ ، وبعدَ البطنِ المِعَى ، إلا أنَّ بعضَ بطنها أعظمُ من بعضٍ ، ويناسبها في الذي ذكرنا الذئبُ والذئبُ ، فما أكثرَ ما يناسبان الكلبَ ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلبِ أشبهُ شيءٍ بأمعاء الحيَّةِ . وهذا أيضاً مما يزيدُ في قدره ؛ لأنَّه إمَّا أن يشبه الإنسانَ ، وإمَّا أن يشبه رؤساء السباع ودواهي الحشرات ، وكلِّما كانت هذه المعاني فيه أكثرَ كان قدره أكبرَ .

(١) في اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء غنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوس . وفي الأصل : « نقيض » بالقاف ، وفي اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما في الأصميات . وقد قال طرفة :

وفي الحى أحوى ينفض المرء شادن مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد
والمرء : هو البرير .

(٢) رواه السكري في ديوان المعاني (٢ : ١٤٥) : « فكأن شذقيه . . الخ . وفي الأصميات : « وكان شذقيه إذا ما أقبلا » ، وفي اللسان : « وكان شذقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتمل)

قال : والكلب يحلم ويحتمل ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبى يحلم ولا يحتمل ، والثور في هذا كاهه كالصبى . ويعرف ذلك في الكلب إذا تفرغ^(١) وأنعظ .

وزعم أن الاحتلام قد عُوين من الفرس والبرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وليس العظام والتحامُ الفرجين إلا في الكلب والذئب ، ومن أراد أن يفرق بين الكلاب إذا تعاطلت وتساقدت رامَ أمراً عسيراً .

قالوا : والحيوان الذي يطاول عند السفاد معروف ، مثل الكلب والذئب^(٢) والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السفادَ جلبت الأثني [بعض^(٣)] خيوط نسجها من الوسط ، فإذا فعلت ذلك فعل الذكر مثل ذلك ، فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا^(٤) فيصير بطنُ الذكر قبالةً بطنِ الأنثي . وذلك شبيهٌ بعادات الضفادع .

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض في كل من س ، م ، وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » في كل من ط ، م . وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بمرعة السفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمداً على السياق الآتي .

(٣) الزيادة من س .

(٤) في الأصل : « فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عن بعض الأعراب ، قال : إذا هَجَمَ الرَّجُلُ عَلَى الذَّنْبِ
وَالذُّبَّةِ وَهِيَ يَتَسَافَدَانِ ، وَقَدْ النَّحَمَ الْفَرْجَانَ ، قَتَلَهُمَا ذَلِكَ الْهَاجِمُ عَلَيْهِمَا كَيْفَ
شَاءَ ؛ لِأَنَّهَا قَلِيلًا مَا يُوجَدَانِ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الذَّنْبَ وَحَشِيًّا جَدًّا وَشَهِيًّا (١) ؛
جَدًّا ، صَاحِبُ قَفْرَةٍ (٢) وَخَلْوَةٍ ، وَانْفِرَادٍ وَتَبَاعُدٍ ، وَإِذَا أَرَادَ الذُّبَّةُ تَوَخَّى
مَوْضِعًا مِنَ الْقِفَارِ لَا يَطْوُهُ الْأَنْبِيسُ ؛ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَضَمًّا (٣) بِأَنْذَى يَجِدُ
فِي (٤) الْمَطَاوِلَةِ مِنَ اللَّذَّةِ .

(حَدِيثُ أَحْمَدَ بْنِ الْمَثْنِيِّ)

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمَثْنِيِّ قَالَ : خَرَجْتُ إِلَى صَحْرَاءِ خَوْخِ (٥) الْجُنَايَةِ جَنَيْتَهَا
وَخِضْتُ الطَّلْبَ ، وَأَنَا شَابٌّ ، إِذْ عَرَضَ لِي ذَنْبٌ فَكُنْتُ كَلَّمًا دُرْتُ مِنْ شِقِّ
اسْتِدَارَ بِي ، فَإِذَا دُرْتُ لَهُ دَارٌ مِنْ خَلْفِي ، وَأَنَا وَسَطَ بَرِّيَّةٍ لَا أَجِدُ مُعِينًا
إِلَّا بِشَيْءٍ (٦) أَسْنَدَ إِلَيْهِ ظَهْرِي ، وَأَصَابَنِي الدُّوَارُ ، وَأَيَقَنْتُ بِالْهَلَكَةِ . فَبَيْنَا
أَنَا كَذَلِكَ وَقَدْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي - وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ الذَّنْبُ وَقَدَّرَهُ - إِذَا
ذَنْبَةٌ قَدْ عَرَضَتْ ، وَكَانَ مِنَ الصَّنْعِ وَتَأْخِيرِ الْأَجَلِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي
زَمَنِ اهْتِيَاجِهَا وَتَسَافُدِهَا ، فَلَمَّا عَايَنَهَا تَرَكَنِي وَقَصَدَ نَحْوَهَا ، فَمَا

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته .

كما يقال في غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيق سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنما » وفي س ، م : « وضما » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلفظة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أعر بشيء » .

٧٩ تَلَعَّمَهُ أَنْ رَكِبَهَا^(١) . وقد كنتُ قرأتُ في بعض الكتب أنها تلتحم ، فَفَوَّتَ سَهْمِي^(٢) وهما ينظران إلى ، فلما لم أرَ عندهما نكيراً حَقَّقَ ذلك عندي ما كان في الكتاب من تلاحميهما ، فَشَيْتَ إليهما بسِنِي حتى قتلتها .

(لفاح الكلاب والخنازير)

قال : وما يُعَدُّ للكلاب أنها كثيراً^(٣) ما تُلقحُ وتَلقَحُ لحال الدّفء أو الخِصْب ، والكلبُ والخنزيرُ في ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهُما من الأصناف يتلاقح في ذلك الزمان . فالكلبُ كما ترى بنازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن في جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعبُ أخلاقها إذا كان لها جِراء . وكلُّ شيء له بَيْضٌ أو جِراء أو فِراخٌ فأسوأ ما يكون خُلُقاً وأنزقٌ وأكثرُ ما يكون أذى^(٤) وأغرماً - إذا كان كذلك^(٥) ، إلا إناثُ البقر . والكلبُ كلما كان أسنَّ كان صوتُهُ أجهرَ وأغلظ .

(١) ما تلعم : ما لبث . مثلها : ما لبث ، وما تلوم ، وما تم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « فقومت سهمي » وفي س : « فقومت سهمي » ، والوجه ما أثبت ،

يقال فوق سهمه : جعل له فوقاً . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « وما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) في الأصل : « إذا » .

(٥) في الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمت له ستة أشهر ، وربما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر.. والكلبة الأنثى تحمل واحداً وستين يوماً ، أطول ما يكون ، ولا تضع قبل أن يتم لحمها ستون يوماً ، ولا يبقى الجرؤ ولا يثرى إذا قصر عن ذلك ، والأنثى تصالح أن ينزى عليها بعد ستة أشهر ۞

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحجر^(١) والمرأة وغير ذلك ، يكون أول نبتاجها أصغر جثة ، وكذلك البيض إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرج منه من فرؤج أو فرخ .

(بقية القول في تناسل الكلاب)

وذكور الكلاب تهيج قبل الإناث في السن ، والإناث تهيج قبلها في وقت حركتها . وكلما تأخر وقت الحدث إلى تمام الشباب كان أقوى لولده .

(١) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

والكلابُ لا تريدُ السَّفادَ عُمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .
وهي تُلَقَّح إلى أن تبلغ ثمانىَ عشرة سنة ، وربما انتَدَرت^(١) الكلبة
فبلغت العشرين .

والكلابُ أجناسٌ كثيرةٌ : الكلب السلوقىُّ يَسْفَدُ إذا كان ابن
ثمانية أشهر ، والأنثى تطاب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شُغُور الذكر
بيوله . والكلبة تحمِل من زوِّ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب
وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والكلبة السلوقيةٌ تحمِل سُدس السنة سِتِّين
يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضع يكون أعمى
اثنى عشر يوماً ثمَّ يبصر ، والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثانى ، ولا تسفد
قبل ذلك .

ومن إناث الكلاب ما تحمِل خمس السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ،
وإذا وضعت الجراء تكون عمياء اثنين وعشرين يوماً .

ومن أصناف الكلاب ما يحمِل رُبَّع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع
جِراء وتبقى كذلك^(٢) سبعة عشر يوماً ، ثمَّ تُرضع جِراءها على عدد أيامها
التي لا تبصر فيها .

وزعم أن إناث الكلاب تحيضُ في كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك
وَرَم أنفاريها ، ولا تقبلُ السَّفاد في ذلك الوقت ، بل في السبعة التي بعدها
ليكون ذلك تمامَ أربعة عشر يوماً أكثرَ ما يكون ، وربما كان كذلك
لتمام ستة عشر يوماً^(٣) .

(١) كذا في س . في ط « ابتدرت » وهو تصحيف .

(٢) أى عمياء .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإنَّات الكلاب تُلقى بَعْدَ وَضْعِ الجِراءِ رُطوبةً غليظةً بلغميَّةً ،
وإذا وَضَعَتْها بَعْدَ الجِراءِ اعترأها هُزال ، وكذلك عامَّةُ الإناث . ولبنُها يظهِرُ
في أطبائها قبل أن تَضَعَ بِخَمسةِ أيامٍ أكثرَ ذلك ، وربما كَثُرَ اللبْنُ
في أطبائها قبل ذلك بسبعةِ أيامٍ ، وربما كان ذلك في مقدارِ أربعةِ أيامٍ .
ولبنُها يظهِرُ ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأما السلوقيَّةُ فيظهِرُ لبْنُها
بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكون لبْنُها أوَّلَ ما تَضَعُ غليظاً ، فإذا أزمِنَ رِقٌّ
ودقٌّ . ولبنُ الكلابِ يخالِفُ لبنَ سائرِ الحيوانِ بالغلظ ، بعد لبِنِ
الحنازير والأرانب .

وقد تكون علامةٌ مبلغِ سِفادها مثلَ ما يَعرِضُ للنِّساءِ من ارتفاعِ
الثَّدِينِ^(١) . ومعرفة ذلك عسيرة ، وهذه علاماتُ تَظهِرُ لإناثِ الكلابِ .
وذكورةُ الكلابِ ترفعُ أرجلَها وتبولُ لتمامِ سِتَّةِ أشهرٍ ، ومنها ما لا يفعلُ
ذلك إلى أن يبلغَ ثمانيةِ أشهرٍ ، ومنها ما يَعمَلُ قبل ذلك . قال : ونقولُ
بقولِ عامٍّ إنَّ الذكورَ تَفعَلُ ذلك إذا قَوِيَتْ ؛ فأما الإناثُ فهي تبولُ مُقَعِيَّةً ،
ومنها ما تَشغُرُ .

وأكثرُ^(٢) ما تَضَعُ الكلبةُ اثنا عشرَ جِروا ، وذلك في الفَرَطِ ،

(١) ألمح في الكلام نقصاً .

(٢) بعد هذه الكلمة كلام في النسخة م ليس في ط ، س . وهو ركيك دخيل
على الكتاب لاجرم . وأنا أثبتته هنا إثباتاً تاريخياً فحسب : « الثعالب ربما
عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالب كلاب إلا أنهم مجهولون النسب
وقال ابن عوف في ثعلب بن بدر حيث يقول :

وكرهت أن قال الميم ثعلب يرجى وإني عند ذلك مرتجى

ما ثعلب إلا ابن عاوية الفلا ناهيك من كلب ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهي النسخة م . وستكون مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة

س ، في تحقيق ومراجعة هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والستة ، وربما وضعت واحداً . فأما إناث السلوقية فهي تضع ثمانية أجراء ، وإناؤها وذكورها تسفد ما بقيت^(١) . ويعرض للكلاب السلوقية عرض خاص : وهي أنها كلما بقيت كانت أقوى على السَّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقية تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثني عشرة سنة^(٢) ، وأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وبعض الأجناس^(٣) تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هي في الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًا ما خلا النَّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجل أن الكلاب^(١) لا تُلقى غيرَ هذين النَّابين يشكُّ بعض الناس أنها لا تُلقي سنًا البتة .

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثني عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت في س .

(٣) في الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما في س .

(أمراض الكلاب)

قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسمائها^(١) : الكلب
بفتح اللام ، والذُّبْحَة ، والنقرس^(٢) . والكلبُ جُنونٌ ، فإنْ عَرَضَ
لشيءٍ من الحيوانِ كَلَبٌ أيضاً أماته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل
الكلاب ، وتقتل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عَضَّتْهُ ، إلاَّ الإنسان فإنه
يعالج فيبْسَلُم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلب يعرض للحمار ، فأما الجنون وذهابُ العقل فإنه
يصيبُ كلَّ شيءٍ ، فمن ذلك ما يصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها ما يُصرَعُ كما
يُصرَعُ المجنون . والسائس^(٣) من الدوابَّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطيب)

وقد كان شأن أعين الطيب عَجَباً ؛ وذلك أنَّه كان يُصرَعُ ، واتفق أنَّه
كان له بغلٌ يصرَعُ ، فكان ربُّها اتفق أن يُصرَعَا^(٤) جميعاً ! وقد رأى ذلك
كثير من أصحابنا البصريين .

(١) ط : « وأسماءهم » ، وهي على الصواب في س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع في مفاصل الكمين وأصابع الرجلين . وفي

ط : « النفوس » ، وفي س : « النفوس » بالفاء ، وصوابها ما أثبت .

(٣) س : « السائس » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْعُ عامٌّ في الحيوان ، ليس يسلم منه صِنْفٌ منها حتَّى لا يعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً^(١) ، وكذلك هو^(٢) في العقل والمعرفة والاحتِيال له ، مع دفع المضرَّة واجتلاب المنفعة ، ومَّا أكثر ما يعترِبهم ذلك . ومن ذلك ما يذهب ، ومن ذلك ما لا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَخْتِيشَوْعُ المتطبِّبُ عرَضَ له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُريب^(٣) فذهب عنه . وربَّما عرض للرجل الذي لا يُظنُّ به ذلك في بيان ولا تبين ، ولا في أدبٍ ، ولا في اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحَّةِ من المزاج ، ثُمَّ لا يعرض من ذلك إلَّا ما لا حيلةَ له فيه ، كما [كان]^(٤) يعرض لبشر بن أبي عمرو بن العلاء النحويُّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمى إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبي عمرو ابن العلاء وقررة بن خالد ونافع بن أبي نعيم وشعبة وحامد وغيرهم . وكان يتقن أن يفسر الحديث كما يتقن أن يفسر القرآن ، وهو من أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفي سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والملاحظ بروى عنه كثيراً في كتبه ..

(٤) زدتها مساوقة لقول .

المازني^(١) وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديين ، فمازالا كذلك حتى ماتا ، ولم يبلغنا أنهما صرعا .

(الموتة)

والموتة^(٢) جنسٌ من الصرع ، إلا أن صاحبه إذا أفاق عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشى عليه ، وإن عاش صاحب الموتة في ذلك مائة عام .

وليس يلتقي شيء من الحيوان في هذا الباب كما يلتقي الورشان .

(اختلاف درجات السكر لدى الحيوان كتبأينها لدى الإنسان)

وأما السكر فليس شيء من الحيوان إلا وهو يسكر ، واختلاف سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإن من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيئاً ، حتى يغلب عليه نوم السكر ضربةً واحدة ،

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً سردها السيوطي في البنية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلاته لايسأل عنه » . توفي أبو عمرو سنة أربع وثمانين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده في الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) في القاموس :- « الموتة بالضم : الغشى والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوَّلَ فالأوَّلَ ، وتراه كيفَ تَثْقُلَ حركتهُ ،
ويغلُظُ حسُّهُ ويتمحِّقُ ، حتى يَطْبِشَ عليه السُّكْرُ بالعبثِ ، ويطبِقَ عليه
النومَ . ومنهم مَنْ يأخذُهُ بالعبثِ لايعدُّوه . ومنهم من لا يرضى بدونَ السَّيفِ ،
وإلاَّ بأن يضرِبَ أمَّهُ ويطلِّقَ امرأتهُ . ومنهم مَنْ يعترِبه البكاءُ ، ومنهم مَنْ
يعترِبه الضَّحِكُ ، ومنهم مَنْ يعترِبه الملقُ والتَّفديَّةُ ، والتَّسليمُ على المجالسِ ،
والتَّقبيلُ لرؤوسِ الناسِ . ومنهم من يرقصُ ويثبُ ، ويكونُ ذلك على ضربين :
أحدهما من العَرَضِ (١) وفضل الأشر (٢) ، والآخر تحريكِ المرارة ، وهى علَّةُ
الفسادِ وهيجانِ الآفةِ .

٨٢

وكلُّ هذه الحالات والصُّور ، والنعوت ، والأجناس ، والتوليدِ ،
الذى يختلفُ فى طبائعِ الناسِ ، وطبائعِ الأشربةِ ، وطبائعِ البُلدانِ والأزمانِ
والأسنانِ ، وعلى قدرِ الأعراقِ والأخلاقِ ، وعلى قدرِ القلَّةِ والكثرةِ ،
وعلى قدرِ التصريفِ والتوفيقِ ، قد (٣) وجدوه فى جميعِ أصنافِ الناسِ والحيوانِ ،
إلاَّ أنَّ فى الناسِ واحدةً لم تُوجَدَ فى سائرِ الحيوانِ قطُّ ؛ فإنَّ فى الناسِ من
لا يسكُرُ ألبتَّةَ ، كان (٤) محمد بن الجهم (٥) وأبو عبد الله العمى (٦) .

(١) العَرَضُ هنا بمعنى الجنونِ وذهابِ العقلِ ، يقال عَرَضَ كفى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) فى الأصل : « وقد » . والصواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة
« كل » فى صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاء الخليفة المأمون عدة ولايات . وقد ذكر
أبو الفرج فى الأغاني (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه
المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه
الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزليين .

وكان بين عقل زبيد بن حميد إذا شرب عشرة أرتال ، وبين عقله إذا
ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سكْرُ العمى)

وأما العمى فإن بنى عبد الملك الزياديّين دعونى مرّةً ليعجّبونى منه ، ولم
ينبهونى على هذه الخاصّة التى فيه ، لأكون أنا الذى أنتبه عليه ، فدخلت
على رجلٍ ضخمٍ فدم^(١) غليظٍ اللسان ، غليظ المعانى ، عليه من الكلام
أشل المؤنة^(٢) ، وفى معانيه اختلافٌ ، ليس منها شىءٌ يواتى صاحبه ولا
يعاونه ولا يشاركه ولا يناسبه ، وحتى ترى أن أذنه فى شقٍّ ولسانه فى شقٍّ ،
وحتى تظنّ أن كلامه كلامٌ محمومٍ أو مجنون ، وأنّ كلَّ واحدٍ منهما يقطع
نظام المعانى^(٣) ، ويخلط بين الأسافل والأعلى . فشرب القومُ شربَ الهيم^(٤) ،
وكانت لهم أجسادٌ مدبرة ، وأجوافٌ منكّرة ، وكنتُ كأنتى رجلٌ من
النظّارة . فما زال العمى يشرب رطبلاً بعد رطل ، ويرقُّ لسانه ، وينحلُّ
عقده^(٥) ، ويصفو ذهنه ، ويذهب كدره . ولو قلتُ إنى لم أر مثله حُسنَ
نفسٍ كنتُ صادقاً . فالتفت إلى القومِ أجمعهم فقالوا : لولا هذا العجّب
مَاعَجَّبْنَاكَ^(٦) اليومَ معَ حدائثِ عهدنا بك .

(١) القديم : الأحق الجافى .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « المعال » .

(٤) الهيم : الإبل المطاش .

(٥) العقْد ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) فى الأصل ، « ما عساك » .

وزعم العمى وكان كثيرَ المنازعة عند القضاة ، أنه كان إذا قارب
العشرة الأرتالِ ثمَّ نازَعَ الخصومَ ، كان ذلك اليومُ الذي يفوت فيه
ذَرَعَ الخصومَ لِلْحَنِ بِحَجَّتِهِ^(١) ، ويستميل فيه رأى القاضى المنعقد
فى مجلسه الطويل ، القطوبِ فى وجهِ مَنْ نازَعَ إليه .

وقال الشاعر^(٢) :

وجدتُ أقلَّ الناسِ عقلاً إذا انتشى أقلَّهُمُ عقلاً إذا كانَ صاحبياً
تزيدُ حَسَى الكاسِ السَّفِيهَةِ سَفَاهَةً وتتركُ أخلاقَ الرِّجالِ كما هيا^(٣)

قال : وهذا شعر بعضِ المولدين ، والأعاريبُ لا تُخطئُ هذا الخطأ ؛ ٨٣

قد رأينا أسفَهَ الناسِ صاحبياً أحلمَ الناسِ سكراناً ؛ وهو مرداسُ صاحبِ زهير ،
ورأينا أحسنَ الناسِ خلقاً وأوزنهم حلماً ، حتى إذا صار فى رأسه رطلٌ
كان أخفَّ من فرأشة ، وأكثرَ نزواً من جرادةٍ رمضة^(٤) ؛ فإنَّ المثلَّ
بها يُضربُ .

(سبب ماله عَرَفَ الممتزلة سكر البهائم)

وكان سببُ ماله عَرَفَ أصحابنا سكر البهائم ، أنَّ محمدَ بنَ على بنِ سليمانَ
الهاشمى لما شرب على علويِّه كلب المطبخ ، وعلى الدهمان ، وعلى شراب

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . واللحن ، بالتحريك : أن يفطن المرء لحجته .

(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعاني ١ : ٣٢٤ .

(٣) الحسى بالضم : جمع حسرة بالضم ، وهى المرة من الحس . وأراد بالرجال هنا :

السكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعاني : « أخلاق الكرم » .

(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر

فى أمثال الميديات : « أنزى من جراد » .

البصريين ، وعلى كَلِّ من نَزَع إليه من الأقطار ، وتحذاه من الشراب
الجواد من الشراب ، أحب أن يشرب على الإبل من البخاني والعراب ،
ثم على الظلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، فلما
فرغ من كلِّ عظيم الجثة واسع الجفرة^(١) ، صار إلى الشاء والظباء ، ثم صار
إلى الدسور والكلب وإلى ابن عرس ، وحتى أتاهم حاو^(٢) فأرغبه ، فكان
يحتال لأفواه الحيات حتى يصب في حاو^(٣) أجوافها بالأقماع المدنية ،
وبالمساعط ، ويتخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملبكاً تواتيه الأمور ، وتطبعه
الرجال^(٤) ، فأبصروا تلك الاختلافات في هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النظام)

فخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام ، وقد كان جالساً حيناً - وكان
إبراهيم مأمون اللسان ، قليل الزلل والزيف في باب الصدق والكذب .
ولم أزعم أنه قليل الزيف والزلل على أن ذلك قد كان يكون منه وإن كان
قليلاً ، بل إنما قلت على مثل قولك : فلان قليل الحياء ، وأنت
لست تريد هناك حياءً ألبتة ، وذلك أنهم ربما وضعوا القليل في موضع
ليس . وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه ، وجودة قياسه على العارض

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنين . وفي الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو

تصحيح ما أثبت .

(٢) في الأصل : « حاوى » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاو بمعنى وسط .

(٤) في الأصل : « وقطية الرجال » ، ووجه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذي لا يُوثق بمثله . فلو كان بدَل تصحيحه القياسَ التمس^(١) تصحيحَ الأصل الذي كان قاس عليه أمره على الخلاص^(٢) ، ولكنه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنْ بدءَ أمره كان ظنًّا . فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَمَ عليه ، وحكاهُ عن صاحبه حكايةَ المستبصر في صحَّة معناه . ولكنه كان لا يقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامه إذا خرج مخرج الشهادةِ القاطعة لم يشكَّ السامعُ أنه إنما حكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام في تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدثني إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثرَ هذه التجربةِ التي كانت منهم في إسكار البهائمِ وأصنافِ السباع ، ولقد اختلفَ لأسد ٨٤ مقلم الأظفار يُنادى عليه : العجب العجب !! حتى سقاه وعرّف مقدارَه في الاحتمال ، فزعمَ ، أنه لم يجذ في جميعِ الحيوانِ أملحَ سُكرًا من الظبي . ولولا أنه من الترفه لكنتُ لا يزالُ عندي الظبيُّ حتى أُسكِرَه وأرى طرائفَ ما يكون منه .

(١) في الأصل : « التماس » .

(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير في كلامهم .

(القول في سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الكلابِ السُّلُوقِيَّةِ أسرعُ تعلُّماً من الذُّكُورَةِ (١) .
قال : وجميع أصناف السباع ذُكُورَتُهَا أَجْرَأُ وَأَمْضَى (٢) وَأَقْوَى ، إِلَّا
الْفَهْدَةَ (٣) وَالذَّبِيَّةَ .
والعامَّة تزعم أنَّ اللَّبُوءَةَ أَجْرَأُ مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ، وَهُوَ
أَنْزَقُ وَأَحَدٌ ، وَأَفْرَقُ مِنَ الْمَهْجَةِ (٤) ، وَأَبْعَدُ مِنَ التَّصْمِيمِ
وَشِدَّةِ الصَّوْلَةِ .

(بين عروة بن مرثد و كلب حسبه لصاً)

قال بشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخٌ من بني نَهْشَلٍ يقال له عُرْوَةُ
ابن مرثد ، نزل ببني أختٍ له في سَكَّةِ بني مازن ، وبنو أخته من قُرَيْشٍ ،
فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهرِ رَمَضَانَ ، وَبَقِيَتِ النِّسَاءُ يَصَلِّينَ
في مسجدهم ، فلم يبق في الدار إلا كَابُ يُعَسُّ (٥) ، فرأى بيتاً فدخل
وانصفق الباب ، فسمع الحركةَ بعضُ الإمامِ فظنُّوا أنَّ لَصّاً دخل الدار ،
فذهبت إحداهنَّ إلى أبي الأَعْرَضِ (٦) ، وليس في الحى رجلٌ غيره ، فأخبرتهُ

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهي في ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا » ، وتصحيحه من س .

(٣) في الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلاً .

(٦) س : « أبو الأعرض » ، وكذلك في كل موضع ترد فيه هذه الكلمة من القصة . وانظر عيون

فقال أبو الأعزّ : ما يبتغي اللصُّ مِنَّا؟! ثمَّ أخذَ عصاهُ وجاءَ حتَّى وقفَ على بابِ البيتِ فقال : إيه يأملاًمان^(١) ! أمّا واللهِ إنَّك بي لعارف ، وإني بك أيضاً لعارف ، فهل أنتَ إلّا من لُصوصِ بني مازن ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتَّى إذا دارت الأقداحُ في رأسك منَّتكَ نفسُك الأمانى ، وقلتَ دُورَ بني عمرو^(٢) ، والرَّجالُ خلوف ، والنِّساءُ يصلِّين في مسجدهنَّ ، فأسرقهنَّ ! سوءةٌ واللهِ ، ما يفعلُ هذا الأحرارُ ! لبئسَ^(٣) واللهِ ما منَّتكَ نفسُك ! فأخرجُ وإلّا دخلتُ عليك فصرمتك^(٤) مني العُقوبة ! لأيم^(٥) اللهِ لتخرُجنَّ أو لأهتفنَّ هتفةً مشثومةً عليك ، يلتقى فيها الحيانِ : عمرو وحنظلة ، ويصيرُ أمرُك إلى تباب ، ويجيءُ سعدٌ بعددِ الحصى ، ويسيلُ عليك الرَّجالُ من هاهنا وهاهنا !! ولئن فعلتَ لتكوننَّ أشأمَ مولودٍ في بني تميم !! فلما رأى أَنه لا يجيبه أخذَهُ باللِّين وقال : اخرجُ يا بُنَيَّ وأنتَ مستور ، إني واللهِ ما أراك تعرفني ، ولو عرفتني لقد قنعتَ بقولي واطمأننتَ إليّ ، أنا عروة بن مرثد أبو الأعزِّ المرثديُّ ، وأنا خالُ القومِ وجلدةُ ما بينَ أعينهم^(٦) لا يعصونني في أمر ، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير ، أصبرك

(١) الملامان : اللثيم ، ويقابله المكرمان بوزنه .

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام ، تقديره « آتى » أو « أقصد » .

(٣) في الأصل : « ليس » .

(٤) يقال : عقوبة صارمة : أى قاطعة شديدة . وفي الأصل : « صدمتك » .

(٥) في الأصل : « لأيم » بهمزة القطع ، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل . وكتبت في القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢ : ٢٧٣ برسم « ليم » . وانظر ما كتب ابن منظور في اللسان (يمن) .

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها في مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر - وكان يلام في شدة حبه لابنه سالم :

يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه في اللسان (حوز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

بين شحمة أذني وعانقي لا تُضارَّ ، فاخرج فانتَ في ذمتي ، وإلا فإنَّ عندي
قَوْصَرَتَيْنِ (١) إحداهما إلى ابنِ أختي البارِّ الوصُول ، فخذُ إحداهما فانتبذْها
٨٥ حلالا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ
الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وتبَّ يُرْبِغُ (٢) المخرج ، فتهافت الأعرابيُّ .
أى : تساقط (٣) ، ثمَّ قال : يا ألامَ الناسِ وأوضَعهم ، ألا يأنى لك أنا منذُ الليلة
في وادٍ وأنتَ في آخر ، إذا قلتُ لك السَّوداءَ والبيضاءَ تسكتُ وتطرقُ ،
فإذا سكتُ عنكَ تُرْبِغُ المخرج ؟! والله لتخرُجَنَّ بالعَفْوِ عنكَ أو لالْجِنِّ
عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفُه جَاءَتْ جاريةٌ من إماءِ الحبيِّ
فقالَتْ : أعرابيُّ مجنون !! والله ما أرى في البيتِ شيئاً !! ودفعت البابَ
فخرج الكلبُ شداً ، وحادَ عنه أبو الأعزِّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذي
مَسَّخَكَ كلباً ، وكفاني منك حرباً !! ثمَّ قال : تالله ما رأيتُ كالأيلةِ ، ما أراه
إلا كلباً !! أما والله لو علمتُ بحاله لولجت عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : في الدِّيكِ الشَّجَاعَةُ ، وفي الديكِ الصَّبْرُ عند اللِّقاء ،
وهم لا يجدون الصَّبْرَ تحت السَّياطِ والعصا ، إلا أن يكون ذلك موصولاً بالصَّبْرِ
في الحربِ على وقع السَّلاحِ .

(١) القوصزة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يرْبِغُ : يريد .

(٣) في الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معاني « تهافت » . وتساقط :

تخاذل ودب فيه الضمف .

وفى الدَيْك الجَوْلَان ، وهو ضرب من الرَّوَّغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقَافَةُ والتسديد^(١) ؛ وذلك أنه يقدر إيقاع صِيصِيَّتِهِ^(٢) بعين الديك [الآخر^(٣)] ، ويتقرَّب إلى المذبح فلا يخطئ .
 وهم يتعجَّبون من الجزَّار ، ويضربون به المثل إذ كان لا يخطئ اللَّبَّةَ ، ومن اللِّحَام إذا كان لا يخطئُ المَفْصِلَ ، ولذلك قالوا في المثل : « يطبَّقُ المَحْزَّ^(٤) ولا يخطئُ المَفْصِلَ ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويمدحون . والديك في ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوثبةِ ، والارتفاعُ في الهواءِ . وسلاحه طَرِير^(٥) ، وفي موضعٍ عجيبٍ ، وليس ذلك إلا له ، وبه سمى قرنُ الثور صِيصِيَّةَ ، ثمَّ سَمَّوا الآطام^(٦) التي كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صِيصِيَّةَ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَّاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمي الدَّارِعَ وذا الجُنَّةَ^(٧) صاحبَ سلاحٍ ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صِيصِيَّةَ ، سمَّوا قرنَ الثور الذي يجرح صِيصِيَّةَ . وعلى أنه يشبهه في صورته^(٨) بصِيصِيَّةِ الديك

(١) الثَّقَافَةُ : الحذق . والتسديد : صدق الإصابة .

(٢) سبق الكلام في هذا اللفظ في ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ نقلا عن الحيوان .

(٤) المحز : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفي الأصل : « الحز » والوجه ما أثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبني من الحجارة .

(٧) الدارِع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدي . والجنَّة : ما يلبسه المرء أو يحمله ليق به نفسه . وفي الأصل : « الجارح وذا الجنَّة » وليس بشيء .

(٨) في الأصل : « في صيغة صورته » . وكلمة « صيصية » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثم لما وجدوا تلك الآطام معاقليهم وحصونهم وجنتهم ،
وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة ، أجروها مجرى السلاح ، ثم
سموها صياصي . ثم أسموا شوكة الحائك التي بها تهيأ السداة واللحمة
صيصية ؛ إذ^(١) كانت مشبهة بها في الصورة ، وإن^(٢) كانت أطول شيئاً ؛ ٨٦
ولأنها مانعة من فساد الحوك والغزل ؛ ولأنها في يده كالسلاح ، متى شاء
أن يجأ به إنساناً وجأه به^(٣) .

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٤) :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنُوشُهُ

كَوَقَعِ الصَّيَّاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَسْدَدِ

(استطراد اغوى)

وقد تسمى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمى صيصية الديك
شوكة ، وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك النخل .

(١) في الأصل : « إذا » وإنما هي « إذ » التعليلية ، وقد نبت فيما مضى على
كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) في الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطمته .

(٤) البيت الآتي من قصيدة اختارها أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي

يرثي بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال

فيه أبو هلال السكري ديوان المعاني ٢ : ٥٨ : « أحسن ما قيل في سرعة

وقع الرماح وقداركه » .

ويقال لمن ضربته الحمرة . قد ضربته الشوكة ؛ لأن الشوكة إذا ضربت إنساناً ، فما أكثر ما تعتربه من ذلك الحمرة .

وقد قال القطامي في تسمية إبرة العقرب شوكة :

سرى في جليد الأرض حتى كأنما تخزم بالأطراف شوك العقارب^(١) ،
وتوصف الحجر^(٢) وتشبه بالشوكة ؛ لأن الشوكة غليظة المآخِر^(٣) ،
لطيفة المقادم . والشوك والسلاء سواء . وقال في ذلك علقمة بن عبدة
يصف الحجر :

سَلَاءٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلٌّ لَهَا ذُو فَيْتَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٍ^(٤)
ومن سُمِّي إبرة العقرب حمة فقد أخطأ . وإنما الحمة سموم ذوات الشعر
كالدَّبْر^(٥) والزَّنَابِير ، وذوات الأنياب والأسنان كالأفاعى وسائر

(١) هذا البيت في ديوان القطامي ٥٢ واللسان (وكع ، خزيم) ، و صدره فيهما :

* سرى في جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه في مادة (وكع) : « شوك العقارب » بمعنى ضربها ولدغها .
وفي (خزيم) : « شوك العقارب » كما في الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم
الشوك في رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

(٣) في الأصل : « المتأخر » وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) في اللسان (غل) : « النهدي : الشيخ المسن ، فعصاه ملعاه » . وأراه أنا المنسوب
إلى نهد ، وهي قبيلة يمنية . وغل للذابة : خلط لها النوى بالقت - والقت
هو ما يعرف في مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكي - وفي الأصل : « عل
بها » وتصحيحه من اللسان (فياً ، غل) والبيان ٣ : ١٢٠ والكامل ٤٩٦
ليبسك وخمسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فَيْتَةٍ » أي
ذو رجمة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعزته فهو أصلب . و « قران » :
قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : نمضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم^(١) ذوات الإبر من الععارب . فأما البَيْشُ^(٢) وما أشبهه من السُّموم ، فليس يقال له حُمّة .

وها هنا أمور^(٣) لها سمومٌ في خراطيمها ، كالذَّبَّانِ والبَعوض . وأشياء من الحشرات تعضُّ وربما قتلت ، كالشَّبَثِ^(٤) وسامِّ أبرص . والطَّبُوعُ^(٥) شديد الأذى ، والرُّتِيلاءُ^(٦) ربما قتلت ، والضَّمَجُ^(٧) دون ذلك ، وعقارب طيَّارة : ولم زهم بسمون جميع السُّموم بالحُمّة ، فقلدنا مثل ما قالوا ، وانتهينا إلى حيث انتهوا .

(بعض من تقتل عضته)

وقد يُعرفُ بعضُ النَّاسِ بأذنه متى عضَّ قَتَلَ ، كان منهم صفوان أبو جشم الثَّقَفِيُّ ، وداوُدُ القَرَّادِ .
وسيقع هذا البابُ في موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر في تخوم الهند والصين . وفي الأصل : « فإيما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) في معجم الحيوان : « شبت : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبت ، وفي مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صفار القردان : جمع قراد .

(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويقصر .

(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة منتنة تلسع ، وهي ماتسى في مصر باسم « البت » .
وفي الأصل : « الصحيح » ، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمون الرجل إذا بلغ من حرصه ألا يدع ذكراً ، غلاماً كان أو رجلاً ، وخصياً كان أو فحلاً ، إلا نكحه من فرط غلمته ، ومن قوة فحلتته : صيصية . ويقولون : مافلان إلا صيصية ، وهو عندهم اسم لمن اشتد لواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصية الديك فى الحدة والصلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابه إذا قام ، ومباينته صورة فى العين لصورة الدجاجة ،
٨٧ وليس هذا الفرق الواضح من جميع الإناث والذكور موجوداً إلا فيه ،
وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمار ، ولا للبرذون والرمكة (١) ،
ولا للفرس والحجر ، ولا للجمل والناقة ؛ وليس ذلك إلا لهذه الفحولة
لأنها كالرجل والمرأة ، والتيس والظبية (٢) ، والديك والدجاجة ،
وكالفحال والنخلة المطعمة (٣) . ألا ترى أنك لو رأيت ناقة مقبلة لم تدر

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والفائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال أطعمت الشجرة - بوزن افتعلت - إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعاماً وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال - كرمان - فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ و ٥ : ٢٠٩ .

أناقة هي أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع اللّيل والضرع ، وإلى موضع الحيا .
وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلا أن يدعوا أن للعامة أو لبعض
الخاصة في ذلك خصوصية . ولذلك ضربوا المثل بالتيس والنخلة والفحل ،
فاشتقوا من هذا الفحل . وهذا أيضاً من خصال الديك .

ثمّ للديك لحية ظاهرة ، وليست تكون اللحي إلا للجمل فإنه يوصف
بالعشون ، وإلا للتيس وإلا للرجل . وقال الراجز في الجمل :

مختلط (١) العشون كالتيس الأحمّ

سام كأن رأسه فيه وذم

• إذ ضمّ من قطريه هياج قطم •

ثمّ الديك بعد صاحب اللحية والفرق (٢) . وقالت امرأة
في ولدها وزوجها (٣) :

• أشهب ذى رأس كراس الديك •

أما قولها أشهب ، فإنها تريد أن شعر جسده قد ابيض من الكبر ،
ولأنما جعلت شعر رأسه كراس الديك لأنه كان مخضوب الرأس واللحية
بالحمرة ، ثمّ لم ترض له بشبه الرجال من هذا الوجه حتى جعلت رأسه

(١) ط : « مختلط » وهو تغيير مطبعي .

(٢) للفرق : انفراق العرف .

(٣) في ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابناً
لها منه :

وهبته من سلفع أفوك ومن هبل قد عسا حنيك

• أشهب ذى رأس كراس الديك •

أفرقاً ، وذلك شئ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتهيأ للناس مع كمالهم
ومامهم إلا بالتكلف والاحتيال فيه .

ثم يبلغ من شدة تعجله ومن قوته على السَّفاد ، وعلى الباب (١) الذى
يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو مما يُذكى النفس - كنعحو (٢)
ما ذكر عن التيس المراطى (٣) ، وكنحو ما تراهم يُبركون للبُختى الفالج عدّة
قِلاص (٤) ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يحطمها وهو فى ذلك قد رمى
بمائه مراراً أفلته الرِّجالُ على التى تليه فى القرب ، حتى يأتى على الثلاث
والأربع على ذلك المشال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة
إلا تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأبرص العمى ، وكان من المعتزلين ، أن
التيس المراطى قرع فى أول يومٍ من أوّل هَيْجِه نَيْقاً وثمانين قرعة .

والناسُ يحكون ما يكون من العُصفور فى الساعة الواحدة من العدّد
الكثير . والناسُ يدخلون هذا الشكل فى باب الفضل ، وفى باب شدة
العجلة وتظاهرِ القوّة . والديك يكون له وحده الدجاج الكثير ، فيوسّعها
قطاً وسفاداً .

(١) لعلها « الباه » .

(٢) فى الأصل : « لأنه كنعحو » وليس الكلام فى حاجة إلى « لأنه » . وكلمة
« كنعحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يباغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء فى (٥ : ٢١٩) برسم « المرطى » ، و « المرطى » .

(٤) البختى : الواحد من الإبل البختية ، وهى الحراسانية . والفالج : الضخم
ذو السنامين . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة .

وقد قلنا في حالة البيض الكثير الترابي وقلبه إياه بسفادٍ إلى الحيوانية^(١) . وعلى [أن^(٢)] الذي يخصه إنما يُخرج له من بين الزمكي^(٣) وموضع القطة^(٤) بيضتين عظيمتين معروفتين .

وأنا رأيتُ ديكاً هنديةً تسنم دجاجةً هنديةً فلم يتمكن منها ، فرأيت نطفته حين مجَّها - وقد زلق عن ظهرها - على مدرة^(٥) ، وكانت الدار مُثارة^(٦) لتجعل بُستانا ، فإذا تلك المجة كالبرقة البيضاء ، فأخذها بعض من كان معنا فشمها حين رأى بياضها وخثورتها وكدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحها ريح نطفة الإنسان ، وريح طلع الفحل ، فلم يجد ذلك .

ثم معرفة الديك بالليل وساعاته ، وارتفاقُ بني آدم بمعرفته وصوته : يعرفُ آناء الليل وعددَ الساعات ، ومقاديرَ الأوقات ، ثم يقسطُ أصواته على ذلك تقسيطاً موزوناً لا يُغادر منه شيئاً . ثم قد علمنا أن الليل إذا كان خمسَ عشرة ساعةً أنه يقسطُ أصواته المعروفة بالعدد عليها ، كما يقسطها والليل تسع ساعات ، ثم يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) الزمكي ، بكسر الزاي والميم وتشديد الكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبه . وكعبت في الأصل بالألف .

(٤) القطة : ما بين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحده مدرة . وفي ط : « عن مدرة » وفي س : « عن مدرة » ، وبها تحريف ما أثبت .

(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحصص على حساب ذلك . فليعلم الحكماء أنه فوق الأسطرلاب (١) ،
فوق [مقدار (٢)] الجزر والمد على منازل القمر ، وحتى كأن طبعه فلک
على حدة . فجمع المعرفة العجيبة والرعاية العجيبة .
ورب معرفة تكون نبيلة وأخرى لا تكون في طريق النبالة . وإن
كانت المعارف كلها مفصلة مقدرة ، إلا أنها في منازل ومراتب . وليس
في الأرض معرفة بدقيق ولا جليل وهي في نفسها شريفة كريمة .
والمعرفة كلها بصر ، والجهل كله عمى ، والعمى كله شين ونقص ،
والاستبانة كلها خير وفضل .

ثم له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا (٣) المعنى منه .
ومن ذلك بعد صوته ، وأنه يدل على أن موضعه مأهول مأنوس ،
ولذلك قالوا : لا يكون البُنيان قرية حتى يصقع فيها ديك .
وليس في الأرض طائر أملح ملحاً (٤) من فرّوج ، وليس ذلك
الاسم إلا لولد الديك ، وإلا فكُلُّ شيء يخرج من البيض فإنما هو فرخ (٥)

(١) الأسطرلاب أو الأسطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أسطرلابون » .
وأسطر : وهو النجم ، ولابون هو المرأة . وقد يهذى بعض المولمين بالاشتقاق
في هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر .
وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخب . مفاتيح العلوم ١٣٤ .
قلت : وقد وقع صاحب القاموس في هذا الوهم الذي نبه عليه الخوارزمي
(مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويري عن الجاحظ

(٣) في الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحه .

(٥) في الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفروج حين تنصدع عنه البيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقط
الحب وسدّ الخلة ، وهو أصيد للذباب من السودان^(١) ، ويدرج مع
الولادة بلا فصل .

و [هذا^(٢)] مع ما أعطى من محبة النساء ، ورحمة الرجال ، وحسن
الرأى من جميع الدار^(٣) ، ثم اتباعه لمن دعاه ، وإفقه لمن قرّبه . ثم ملاحه
صوته وحسن قده ، ثم الذى فيه ممّا يصحّ له الفروج ويتفرّج فيه^(٤) . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد في تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنّ الديك أحمدُ من الطاوس ، وأزه
مع جماله وانتصابه واعتداله وتقلّعه^(٥) إذا مشى ، سليمٌ من مقابح الطاوس
[ومن موقه وقبح صورته^(٦)] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و^(٧)] من
قبح رجليه ، ونذالة مرآته^(٨) . وزعم أنه لو ملك طاوساً لألبسَ
رجليه خفّاً .

(١) السودان : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من فى الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع فى مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفى الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم

« أنه كان إذا مشى تقلع » . وفى الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له .

واعتمدت فى تصحيحها على نقل الثمالي عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكلة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحق .

(٧) التكلة من ثمار القلوب .

(٨) المرأة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وإِنَّمَا يُفَخَّرُ له بالتَّلَاوِين ، وبتلك التعاريج^(١)
والتهاويل التي لألوانِ ريشه . وربَّما رأيتَ الدَّيْكَ النَّبَّطَى وفيه شبيهةٌ
بذلك^(٢) . أَلَا إِنَّ الدَّيْكَ أَجْمَلُ من التُّدْرُجِ^(٣) ؛ لمكان الاعتدال والانتصاب
والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الدَّيْكَ النَّبَّطَى في تلاوين
ريشه [فقط^(٤)] لكان فضلُ الديكِ عليه بفضلِ القَدِّ والحَرَطِ ، وبفضل
حُسْنِ الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ^(٥)] من مقدارِ فضلِ حُسْنِ
ألوانِهِ على ألوانِ الديكِ ، ولـكانَ السليمُ من العيوبِ في العينِ أجملَ^(٦)
لاعتراض تلك الخصال القبيحة على حسن الطاوس في عينِ الناظر إليه .
وأوَّلُ منازل الحمد السلامة من الدَّمِّ^(٧) .

وكان يزعم أن قول [الناس^(٨)] : فلانٌ أحسنُ من الطاوس^(٩) ،
وما فلانٌ إلا طاوس^(١٠) ، وأن قولَ الشاعرِ :

-
- (١) التعاريج : الحطوط الملتوية . وفي ثمار القلوب : « التفاريج » .
 - (٢) في الثمار : « شبه بذلك » .
 - (٣) في الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائرٌ شبيه بالحمَام ،
حسن الصوت مبارك ، كثير التناج يبشر بالربيع .
 - (٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « في تلاوين » هي في الأصل « وتلاوين »
وتصحيحها من الثمار . .
 - (٥) الزيادة من الثمار .
 - (٦) في الأصل : « ولـكانَ السليم من العيوب في العين ، والعين فيه أعمل »
وأثبت ما في الثمار .
 - (٧) في الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
 - (٨) الزيادة من الثمار .
 - (٩) في الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
 - (١٠) في الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الخجاذية
ألا ينتقض نفيها بإلا ، وهي على الصواب في الثمار .

• جلودها مثل طواويس الذهب^(١) .

وأَنَّهُمْ لَمَّا سَمَّوْا جَيْشَ ابْنِ الْأَشْعَثِ^(٢) الطَّوَاوِيسَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ مِنَ الْفِتْيَانِ الْمَنْعُوتِينَ بِالْجَمَالِ ، إِنَّمَا^(٣) [قَالُوا ذَلِكَ^(٤)] لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَبْصُرُ الْجَمَالَ . وَلَقَرَسُ رَائِعٌ كَرِيمٌ أَحْسَنُ مِنْ [كَلِّ^(٥)] طَاوِيسٍ فِي الْأَرْضِ ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ . وَإِنَّمَا ذَهَبُوا مِنْ حَسَنِهِ إِلَى حَسَنِ رِيْشِهِ فَقَطْ ، وَلَمْ يَذْهَبُوا إِلَى حَسَنِ تَرْكِيْبِهِ وَتَنْصِبِهِ ، كَحَسَنِ^(٦) الْبَازِي وَانْتِصَابِهِ ، وَلَمْ يَذْهَبُوا إِلَى الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ ، وَإِلَى الشِّيَابِ^(٧) وَالْهَيْئَةِ ، وَالرَّأْسِ وَالْوَجْهِ الَّذِي فِيهِ .

وكان جعفر يقول : لَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي الطَّوَاوِيسِ إِلَّا حَسَنُهُ فِي أَلْوَانِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ [فِيهِ^(٨)] مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا يَزَاحِمُ ذَلِكَ وَيَجَاذِبُهُ وَيُنَازِعُهُ وَيَشْغَلُ عَنْهُ — ذُكْرًا وَتَبَيَّنَ وَظَهَرَ . وَخِصَالُ الدِّيَكِ كَثِيرَةٌ ، وَهِيَ مُتَكَافِئَةٌ فِي الْجَمَالِ . وَنَقُولُ : لَمْ يَكُنْ لِعَبْدِ الْمَطَّلَبِ فِي قَرِيْشٍ نَظِيرٌ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَرَبِ لِقَرِيْشٍ نَظِيرٌ ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ فِي النَّاسِ نَظِيرٌ^(٩) ؛ وَذَلِكَ حِينَ لَمْ تَكُنْ فِيهِ خِصْلَةٌ أَغْلَبَ مِنْ أُخْتِهَا ، وَتَكَامَلَتْ فِيهِ وَتَسَاوَتْ ، وَتَوَافَتْ إِلَيْهِ

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .

(٣) في الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .

(٤) ليست بالأصل . وفي الثمار : « قال ذلك » .

(٥) الزيادة من الثمار .

(٦) في الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .

(٧) الشياب : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفي الأصل : « الشياب » .

(٨) كلمة يحتاج إليها القول .

(٩) ط : « ليس في العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبَعُ في وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح^(١) وسيِّد
الوادي ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سيِّد العرب ،
٩٠ وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس .

ولو كان مثل الأحنف الذي برع في حلمه وبرع في سائر خصاله
لذكروه^(٢) بالحلم ؛ ولذلك ذكر قيس بن زهير في الدهاء ، والحارث بن ظالم
في الوفاء ، وعنتبة بن الحارث في النجدة والشقافة .

ولو أن الأحنف بن قيس رأى حاجب بن زرارة ، أو زرارة بن عدس ،
أو حصن بن حذيفة ، لقدّمهم على نفسه . وهؤلاء أيون أهل الوبر لا يُذكَرون
بشيء دون شيء ، لاستواء خصال الخير فيهم .

وفي منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأمانة لم تخُنْها كذلك كان نوحٌ لا ينجونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإنما ذلك كقولهم كان داودٌ لا ينجون ،
وكذلك كان موسى لا ينجون عليهما السلام . وهم وإن لم يكونوا في حال
من الحالات أصحاب خيانةٍ ولا تجوزُ عليهم ، فإنَّ النَّاسَ إنما يضربون
المثلَ بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر أمورهم ، كما قالوا : عيسى
ابن مريم رُوح الله ، وموسى كلِّم الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله
عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكرُ الصبرِ على البلاء فقال : كذلك كان أيوب لا يجزع

(١) س : « الأبطح » .

(٢) في الأصل : « لذكره » .

كان قولاً صحيحاً . ولو [قال ^(١)] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمة أعطيت حقها .

ولو ذكر الاحتمال ^(٢) وتجرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسهفه ، وكان حاتم ^(٣) لا يفحش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته . ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ، ولكان القول قد وقع موقعه ، وإن كان حاتم لا يُعرَف بقلّة الاحتمال وبالتسرع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فنعتني وقد كان الشّعبي لا يمنع ، وكان النّخعي لا يقول « لا » ، لكان غير محمود في جهة البيان ، وإن كان ممن يُعطى ويختار « نعم » على « لا » . ولكن لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تُصرَف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول في الديك وجماله ؛ لكثرة خصاله ، وتوازن خلاله ، ولأنّ جمال الديك لا يلهج بذكره إلاّ البُصراء بمقادير الجمال والنوسط في ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما ^(٤) يكون ممزوجا [وما يكون ^(٥)] خالصاً . وحسن الطاوس حسن لا تعرف العوام غيرَه ، فلذلك لهجت بذكره .

(١) زدتها ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « الاحتيال » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .

(٤) في الأصل : « وما » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدجاج الخِلاسى^(١) والهنديّ ، ومن الدجاج الزنجي^(٢) ومنها الكسكري^(٣) ، ومن الديكة ما يُخصى فلا يبلغه في الطيب والسمن شيء وإن اشتد لحمه . وإن كان غيرِ خصي^(٤) فقد يُمدح ذلك من وجهه . ٩١
أردُّ عليه في باب الفخر^(٥) ، من رخاوة اللحم واستطابة الأكل . وعلى أنه لو كان أدناه من بعض سباع الطير ، أو عدا خلفه إنسان ، فكان يريد أخذه حتى إذا فسخه البهر ارتد في موضعه لا يبرحه ، ثم ذبحه على المكان ، لجمع به الخصال كلها .

ولو علّق في عنقه حجرٌ ليلته بعد أن ذبحه ، أو أوج بطنه شيئاً من حلثيت^(٥) لجمع به الخصال ؛ فإنه أعملُ فيه من البورق^(٦) وقشور البطيخ في اللحم المفصل^(٧) .

وهو بعدُ غيورٌ يحمي دجاجه^(٨) . وقال الرّاجز :

• يغارُ والغيرةُ خلقٌ في الذّكر •

(١) الخِلاسى ، بالكسر : ما تولد بين الهندي والنبطي . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجري » !

(٣) الكسكري منسوب إلى كسكر ، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكزية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبي في الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور في أطايب الأضمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » . وهي في الأصل : « الكسكري » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفي الأصل : « رد عليه من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) في الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النظرون ، أو النظرون ضرب من ضروب البورق .

(٧) المفصل : المقطع . وفي الأصل : « المفصل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما في س .

وقال الآخر :

• الفحل يَحْبِي شَوْلَهُ مَعْقُولًا^(١) .

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجَاجِ فوق جميع اللُّحمان في الطَّيب والبياض ، وفي الحسن .
والملوك تقدّمه على جميع الفراخ والنواهض^(٢) ، والبَطُّ ، والدَّرَّاج ، وهم
للدَّرَّاجِ آكُلُ منهم للجِداء الرُّضَع ، وللعُنُق الحُمُر^(٣) من أولاد الصَّفَافِيا .
والدَّجَاجُ أكثر اللُّحوم تصرُّفاً ، لأنّها تطيب شِواءً ، ثم حارّاً
وبارداً ، ثمّ تطيب في البَزْمَاوَرْدِ^(٤) ، ثم تطيب في الهرائس^(٥) ،

(١) الشول : النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ حرمة وإن كانت به علة . أمثال الميداني (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض : جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهايا للطيران ، وتعرف في لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفصح ، وهي الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٢٣) .

(٤) في القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامّة يقولون بزماورد ، وفي التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفي كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضي . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتي في ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الحنطة ، أو أقل ، والماء مثلاًهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما في اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصيني والقرنفل وتسد بالمعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسقى دهنها المأخوذ أولاً . تذكرة داود ١ : ٣٤٣ . وهي في ط « الهرائس » وأثبت ما في س . وانظر الأشعار والأخبار التي وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لها به نفحة لا تُصاب مع غيرها ، وتطيب طبيخاً ، وتطيب
فصوصها ، وإن قطعتها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحشاوى ،
وللملاقطى^(١) ، وتصلح في الاسفرجات^(٢) وسمينها يقدم في السكباجة^(٣)
على البط ، إلا أنها تطعم المفصود^(٤) وليس ذلك للبط .

(لفظ : الدجاج)

قال : والديكة دجاج إذا ذكرت في جملة الجنس ، وهذا الباب
مما تغلب فيه الإناث على الذكور . وقال آخرون : لا ، ولكن
الديك نفسه دجاجة ، إلا أنهم أرادوا إبانته بأنه ذكر فقالوا : ديك ،
كما يسمون الذكر والأنثى فرساً بلاهاء ، فإذا أرادوا أن يثبتوا إناثها قالوا
حجر ، وإن كانت حجراً فهي فرس . وقال الأخطل :
نازعه في الدجى الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة السارى^(٥)

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيداجات » . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال لسكباج الحلية والمخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف
إليه أحياناً الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود في تذكرته
١ : ٨١ « يولد دما كثيراً » . وفي الأصل : « المقصود » وأصلحته بما ترى .

(٥) السارى : الذى يسير ليلاً . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب
الفجر . والدجاج يطلق على الذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة
والتاء في الدجاجة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان
(دجج) وشرح شواهد المعنى ٦١ .

وقد بين ذلك القرشي^(١) حيث يقول :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيدٍ كانَ ما كانَ لا تطأهُ الدجاجُ^(٢)
وذلك أنه كان رأى رأسَ زيدِ بنِ علي^(٣) في دار يوسفَ بنِ عمر^(٤) ،
فجاء ديكٌ فوطى شِعْرَهُ ونقره في لحمه ليأكله .

(حوار في صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ من زعم أن الديكة إنما تتجاوب ، بل إنما ذلك
منها شيء يتوافق في وقت ، وليس ذلك بتجاوبٍ كنباح^(٥) الكلاب ؛ ٩٢
لأن الكلب لا وقت له ، وإنما هو صامت ساكت ما لم يحس بشيء
يفزع منه ، فإذا أحس به نبّح ، وإذا سمع نباح كلبٍ آخر أجاب ثم

(١) هو قرشي وشيبي . انظر الكامل . ٧١ لبيسك .

(٢) الرواية في الكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) في الأصل : « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الكامل ، ومعجم
البلدان (كناية) ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وكان خرج على هشام بن عبد الملك ،
وقتله يوسف بن عمر الثقفي وصلبه بالكناسة - هي موضع بالكوفة - عريانا . . .
وكان زيد يلقب بالمهندي . فقال شاعر أموي (انظر الكامل) :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولي اليمين لهشام بن عبد الملك
سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت
على اليمين وتمصد العراق ، فقتل خالد القسري (أمير العراق قبله) ، وأقام بالكوفة
إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه في دمشق
إلى أن قتل يزيد بن خالد القسري بثأر أبيه سنة ١٢٧ . ابن خلكان (٢) :

(٥) في الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخِرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّنَ أَنَّهُ المجاوبُ جميعُ الكلابِ . والدَّيْكَ ليس إذا من أَجَلٍ أَنَّهُ أنكر شيئاً استجاب^(١) ، أو سمع صوتاً صقع^(٢) ، وإِنَّمَا يصفع^(٣) لشيءٍ في طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيْلِ هَيَّجَه . فعَدَّدُ أصواتِهِ في الوقتِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ تتجاوبُ فيه الدِّيَكَةُ ، كعدَدِ أصواتِهِ في القريةِ وليس في القريةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو في المواقيتِ . والعَلَّةُ التي لها يصفعُ في وقتِ بعينه شائعةٌ فيها في ذلك الوقتِ . وليس كذلك الكلابُ ! قد تنبج الكلابُ في الخُرَيْبَةِ^(٤) و«كلابٌ» في بنى سعد غير نابجة ، وليس يجوز أن تكون دِيَكَةُ المهالبة تصقع^(٥) ، وديكة المسامعة ساكنة^(٦) .

فإنَّ أراد مريدٌ بقوله إنَّ الدِّيَكَةَ تتجاوبُ ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تتناظرُ ، إذا كان بعضها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمسكان الذي لو كان إنسانٌ رآه - جاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لا تَتَرَايَ نارَاهُمَا^(٧) » ، ومع قول الشاعر :

(١) في الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئاً إذا استجاب » .

(٢) في الأصل : « صقع » وإِنَّمَا هي « صقع » بمعنى صاح .

(٣) في الأصل : « يصفع » .

(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) في الأصل : « تصقع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بنى مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان

فلعل « المهالبة » أيضاً مخرجة أخرى بها منسوبة إلى بنى المهلب بن أبي صفرة .

(٧) الرواية في اللسان والنهاية وأمثال الميداني (٢ : ١٦٢) : « لا تَرَايَ » بإسقاطه

إحدى التائين . قال الميداني : « يعنى نارى المسلم والمشرك ، أى لا يحول للمسلم

أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد مهتما صاحبه ، فجعل

الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لا تَرَايَ ، فحذف إحدى

التائين . وهو نفي يراد به النهي » .

• لاترأى قبورها^(١) •

وقال ابن مقبل العجلاني^(٢) :

سَلِّ الدَّارَ مِنْ جَنْبِي حَبْرٌ فَوَاهِبٌ

وحيثُ يَرَى هَضْبَ القَلْبِ المَضِيحُ^(٣)

وتقول العرب : إذا كنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظرُ إليك الجبلُ

فخذُ عن يسارك أو عن يمينك .

وقال الرَّاَجَز :

• وكما يرى شيخَ الجبالِ ثَبِيراً^(٤) •

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برئٌ من كلِّ

مسلمٍ مع كلِّ مشركٍ » . قيل : ولم يارسولَ الله ؟ قال : « لاترأى نارهُما » .

(١) كذا . ولعلها « لاترأى قبورها » .

(٢) في الأصل : « ابن مقبر العجلاني » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما في الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبي مقبل . . . الخ كما في الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية) . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب في استمدائه على النجاشي الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) في الأصل : « جبر » موضع « جبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (جبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هي في الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم في الموضعين . و « يرى » هي في الأصل « ترى » مصحفة . و « المضح » هي في الأصل « المضح » كما في اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم في موضعيه . وجبر ، وواهب ، والمضح : أمكنة متقاربة في ديار بني سليم . ويرى المضح هضب القلب ، أي يقابله .

(٤) في الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائي : تقول العرب : دارى تنظر إلى دار فلان ، ودورنا
تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنما قال القوم في تجاوب الديكة بيت شعر سمعوه للطرمح ،
جهلوا معناه ، وهو :

فياصبح كمش غبر الليل مصعداً بيم ونبه ذاك العفاء الموشح^(١)
إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوب صوتَه

حماش الشوى يصدحن من كل مصدح^(٢)

وكذلك غلطوا في قول عبدة بن الطبيب^(٣) :

إذ صفق الديك يدعو بعض أسرته

إلى الصباح وهم قوم معازيل^(٤)

وإنما أراد توافي ذلك منها معاً ؛ فجعلها دعاء وتجاوبا على ما فسرناه.

(١) كش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . ويم : أرض من كرمان .
وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ،
الواحدة عفاءة . وفي اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح »
وأشده عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا
أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه
وشى . حكاه ابن سيده عن اللحياني ، كما في اللسان . والبيت في الأصل محرف ، فصدره
في ط ، س : « فياصبح كمش عبر الليل مصعدا » وعجزه في ط : « ييم وينها كالعفاء »
و س : « ييم وينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرمح ٦٩ واللسان .

(٢) حماش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفي س : « يصدحن
منهن مصدح » وهو تحريف .

(٣) ط : « عبد الله بن الطبيب » س : « عبادة بن الطبيب » وهما تحريف ما أثبت .
والبيت الآتي من قصيدة له مفضلية ، مطلقها :

هل جبل خولة بعد الهجر موصولى أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة
الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ في الجهل ، يقومُ في الصُّباح وفي ساعات الليل مقامَ الديكة ، لقد كان ذلك تولاَ ومذهباً غيرَ مرْدود . ولو أن متفقداً يتفقّد ذلك من الحمار لوجده منظوماً يتبع بعضه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول في نهيق الحمار في ذلك الوقت : ليس على تجاوبٍ ، إنّما ذلك شيء يتوافق معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للديك الموصوفِ بأنّه فوق الأسطربلاب فضيلةً ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدّة صوتِه ما إن حلفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنّ الحمار ما ينم ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأتّى أجدُ صياحه ليس بصياح شيءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحٌ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذي ضرب به القرآنُ المثلَ في بُعد الصوت ، وضرب به المثلَ في الجهل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شيءٌ من الحيوان أجهلَ بما في بطون الأسفار من الحمار ، لضرب الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال في شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الحصال ما ليس في الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعتَه من الأمثال التي هي له في عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا »^(١) وكنناك به مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل هداية أبي سفيان .

وقالت العرب : « أَنْكَحُ مِنَ الْفَرَا » . والفرأ مهموز مفتوحة الفاء مجموعهُ فِرَاءٌ^(٢) ، قال الشاعر^(٣) :

بِضْرَبِ كَأَذَانِ الْفِرَاءِ فَضُوْلُهُ وَطَعْنِ كَالِيزَاغِ الْمَخَاضِ تَبُورُهَا^(٤)

وتقول العرب : « الْعَيْرُ أَوْقَى لِدَمِهِ »^(٥) . وقولهم : « مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَ

يَنْكِ نَيْبًا كَأ^(٦) » . وقالوا : « الْجَحْشَ إِذَا فَاتَتْكَ الْأَعْيَارُ »^(٧) وقالوا :

(١) الفراء بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمبل به رسول الله . وانظر أصل المثل في الميداني (٢ : ٧٤) . والسبب في هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبي فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجهتين » - وكان قد أدخل غيره من الناس قبله - فقال « يا أبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد في جوف الفراء » أراد أن يقول له إنه في الناس كحمار الوحش في الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبت قنع كل محبوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصفه يدخل في جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير في النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ لبيسك والدميرى (فرأ) .

(٢) في الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما في اللسان (فرأ ، بور) . وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كإيزاغ المخاض بواعا » ، ط : « كإيزاغ المخاض النوازع » . وكلاهما محرف

وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ لبيسك والمعاني

(٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة

تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل

لتنظر الألقع هى أم حامل ، وهى إذا كانت حاملا بالت في وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالخذر ، وذلك أنه ليس شئ من الصيد يحذر حذر العير إذا

طلب . وفي الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميداني

(١ : ٢٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلاً لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٢) .

وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يفطم . =

« أَصْبَرُ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارَةَ »^(١) ؛ لأنه كان دفعَ بأهْلِ الموسمِ على ذلك الحمارِ أربعينَ عامًا .

وقالوا : « إن ذهبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ في الرِّباطِ »^(٢) . وقالوا في المديح لصاحب الرأي : « جُحَيْشٌ وَخَدِهِ » ، و « عُمَيْرٌ وَخَدِهِ »^(٣) ، و « العَيْرُ يَضْرِبُ والمِسْكَوأةُ في النَّارِ »^(٤) ؛ وقالوا : « حِمَارٌ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »^(٥) ، و « أَضْلُ من حِمَارِ أَهْلِهِ »^(٦) ، و « أَخْزَى اللهُ الحِمَارَ مَالاً لَا يُزَكَّى وَلَا يذَكَّى »^(٧) ، ٩٤ و « قَدْ حَبِلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالتَّنْزَوَانِ »^(٨) .

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك .
اللسان (جحش) والميداني (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .
(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حبال الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق في الحباله فاقصر على معلق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميداني (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميداني (١ : ٤٢١)
(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرب العير والمسكوأة في النار » .

(٥) مثل قرآني ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعني اليهودي تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لا يعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلا للذي يحوز الشيء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهتمد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لا يزكي : لا تجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلا والمجاجيل لا تجب فيها الزكاة . ولا يزكي : من التذكية ، وهي الذبح ؛ فإن الحمار مما لا يحل أكله في أصح الأقوال . وهذا المثل في الديمري (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ، لا يزكي ولا يزكي » قال الديمري : « أشاروا بذلك إلى الحمار »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن في =

فالذي مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميّز عددًا معلومًا إلى الصبح ، إلا أن له في الأسفار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغي للديك أن يُقضى له بالمعرفة والحمار قد ساواه في يسير^(١) علمه ، ثم بيّنه أن الحمار أحسنُ هداية . والديك إن سقط على حائط جاره لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج من باب الدار ضلّ ، وضلاله من أسفل كضلاله من فوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث في الديك)

قال صاحب الديك : حدّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبي صلى الله عليه وسلم فسبّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تسبّه فإنه يدعو إلى الصلاة » .

وعن ابن الماجشون ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجهني : « أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبِّ الديك وقال : إنه يؤذّن للصلاة » .

= غزوة فرض حولا ، فلتة زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدرًا ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال في ذلك منوها ببر أمه (الميقاتي ٢ : ٣٨) والكمال ٧٤٦ لبيسك :

أرى أم صخر لا تمل عيادق وملت سليمان مضجعي ومكاني
فأى امرئ ساوى بأم حليمة فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
(١) في ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عمارة ، عن عمرو بن مرة ، وعن سالم بن أبي الجعد^(١) ،
يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ تَمَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى لَدَيْكَ
عُرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَبَرَائِئُهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَجَنَاحَاهُ فِي الْهَوَاءِ^(٢) ،
فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ وَبَقِيَ ثُلُثُهُ ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ثُمَّ قَالَ : سُبِّحُوا الْمَلِكَ
لِلْقُدُّوسِ ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ - أَيْ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُ
الْطَّيْرُ بِأَجْنَحَتِهَا وَتَصِيحُ الدَّيْبَكَةَ » .

وأبو العلاء عن كعب : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى دَيْبَكًا عُنُقُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ ،
وَبَرَائِئُهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ ، فَإِذَا صَاحَتِ الدَّيْبَكَةُ يَقُولُ : سُبْحَانَ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ » . قال : والدَّيْبَكَةُ أَكْبَسُ شَيْءٍ
وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدَّيْبَكَةَ الْأَبْيَضَ
صَدِيقِي ، وَعَدُوُّ عَدُوِّ اللهِ ، يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ وَسَبْعَ دُورٍ » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيتته معه في البيت .
وَرَوَى أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسَافِرُونَ بِالدَّيْبَكَةِ .

(ذببح الديك الأفرق)

وزعم أصحابُ التَّجْرِبَةِ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَرُونَ الرَّجُلَ إِذَا ذَبَحَ الدَّيْبَكَةَ
الْأَبْيَضَ الْأَفْرَقَ^(٣) ، أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُنْكَبُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ .

(١) في الأصل : « سالم مولى أبي الجعد » : صوابه في تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المفروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومما في المحاجة أن يقال : كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرج من البيضة ؟ فقالوا : يعلق بمنقاره ، فإن تحرك فهو ديك وإن لم يتحرك فهو دجاجة .

(بعض ما قيل من الشعر في حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر^(١) في حُسن الدَّجاجة ونبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بِشَرِبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ أبا الدهناء من حَلْبِ العَصِيرِ^(٢)
وأخرى بالعقنقل ثم رُحنا نرى العصفورَ أعظمَ من بَعِيرِ
كَأَنَّ الدَّيْكَ دِيكَ بِنِي تُمَيْرِ أميرُ المؤمنين على السَّرِيرِ^(٣)
كَأَنَّ دَجَاجَهُمْ فِي الدَّارِ رُقْطًا بناتُ الرومِ في قُصْرِ الحَرِيرِ^(٤)
فَبِتُّ أَرَى الكواكبَ دَانِيَاتٍ يَنْلَنَ أَنامِلَ الرَّجُلِ القَصِيرِ^(٥)
أُدافعُهُنَّ بالكفَّينِ عَنِّي وأمَّسحَ جَانِبَ القَمَرِ المَنِيرِ^(٦)

(١) انظر الشعر في هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعاني (١ : ٣٣٠) ،
و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧)
وحامسة ابن الشجري (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الخلد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقطة : جمع رقطاء ، وهي ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس .
ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لمن أنامل الرجل القصير ، فو الكلام قلب . انظر الصاحبى ١٧٣ .

(٦) الرواية في ديوان المعاني : « وأمَّسحَ عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب في الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياء التي تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والحطّاف والكلب والسّور . والدّيكُ ممّا يتّخذُه الناس ، وليس ممّا يحنُّ إليهم فيقطع البلادَ نزاعاً ، فيكون كالقواطع من الطير التي تريدُهم كالحطّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذي حيثما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذي [لا^(١)] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهليّ من السنابير التي متى ألفتهم لم تفارقهم ، وتُعسُّ بالليل ، وتطوف في القبائل من دار إلى دار ثمّ لا يكون مرجعُها إلّا إليهم . والدّيك في خلاف ذلك كلّهُ ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف ربّعه ، ثمّ لا يحنُّ إلى دجاجةٍ ، ثمّ لا تتوق نفسه إلى طروقة^(٢) ، ولا يشتاقي إلى ولده ، ولا يعرف الذين غدّوه وربّوه ، بل لم يدر قطّ أنّ له ولداً ، ولو كان درى لكان على درايته دليل ، فإذ قد وجدناه لفراريجه ويبيضه المخلوقة منه ومن نجله ، كما نجده لما لم يلد ولمّا ليس من شكله أيضاً ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف لا تقضى عليه بالنقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلّا بهذا وشبهه !! .

وهو لا يعرف أهل داره ، ولا يثبت وجه صاحبه الذي لم يُخلق إلّا عنده ، وفي ظلّه وتحت جناحه ، ولم يزل في رزقه وعياله . والحمام ترجع إليه من مائتي فرسخ ، ويصطاد فيتحوّل عن وطنه عشرَ حجج ، ثمّ هو

(١) التكلة من س .

(٢) طروقة : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوّةِ عقده ، وعلى حِفَاظِه وإلفه ، والنّزاع إلى وطنه .
فإن (١) وجد فُرْجَةً ووافق جناحَه وافيًا وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُه
مقصوصاً جَدَفَ (٢) إلى أهله ، وتكلّف المضيّ إلى سكّنه ، فإمّا بَلَغَ
وإمّا أَعَذَرَ (٣) .

والخُطَاف يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطوّه صاحب
سفر ؛ على أنّا لا نراه يتخذ وكره إذا صار إليهم إلّا في أحصنِ موضع ،
ولا يحمله الأنس بهم على ترك التّحرّز منهم ، والحزمِ في مُلابَسَتهم ، ٩٦
ولا يحمله الخوف منهم على منع نفسه لذّة السُّكونِ إليهم ، ولا يبخس
الارتفاق بهم حظّه .

والعصافير لا تقيم في دار إلّا وهى مسكونة ، فإن هجرها الناس لم تُقيم
فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب في السنور والهرة)

والسنّور يعرف ربّة المنزل ، ويألف فرخ الحمام ، ويُعابث فراريج
الدار . إن سُرق ورُبط شهراً عاد عند انفلاته ، وانحلال رباطه .
والهرة تعرف ولدها وإن صار مثلها ، وإن أُطعمت شيئاً حملته إليه
وآثرته به . وربما ألقى إليها الشيء فتدنو لتأكله ، ويُقبلُ ولدها فتُمسِكُ

(١) س : « فتي » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه :
جتاحاه . وفي الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩) .

(٣) أى كان له عذر في عدم استطاعته للوصول .

عنه ، وترضه له . وربما طُرح لها الشيء وولدها غائب عنها . ولها ضروبٌ من النغم ، وأشكالٌ من الصياح - فتصيح ضرباً من الصياح يعرف أهل اللدارِ أنه صياحُ الدعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبرُّ من هرة (١) » .

ومتى أرادت ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتت مواضعَ ترابٍ في زاويةٍ من زوايا الدار فتبحثه ، حتى إذا جعلتُ له مكاناً كهيئة الحفرة جعلته فيها ثم غطته من ذلك التراب ، ثم تشمَّت أعلى ذلك التراب وما ظهر منه ، فإن وجدت شيئاً من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تزال كذلك حتى تعلم أنها قد أخفت المرثى والمشموم جميعاً . فإن هي لم تجد تراباً خمشت وجه الأرض ، أو ظهر السطح ، حتى تبلغ في الحفر المبلغ ، ومن ستر ذلك المجهود (٢) .

وزعم ناسٌ من الأطباء أن السنور يعرف وحده ریح رجعه ، وإنما يستره لمكان شمّ الفأر له ، فإنها تفرُّ من (٣) تلك الرائحة . أو يُغطيه لما يكون [فيه] من خلق من أخلاق الأسد (٤) . [و (٥)] ما يشاكل فيه الأسد في الخلق ، على قدر ما يشاكله في الخلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

(١) قال الديرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا ما بها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والديرى تبع في قوله ما في أمثال الميداني (١ : ٤٥١) في كلامه على « أعق من صب » ، ومثله لابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتى تبلغ غاية جدها في ستر ذلك .

(٣) في الأصل : « إلى » ، ووجه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) في الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تسكلة يحتاج إليها للكلام .

(سُلَاحُ الدِّيكِ)

والدِّيكُ لا تراه إلا سالِحًا ، ثمَّ لا يتوقَّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فراشه ولا بساطه . هذا ، وحياتُه التُّراب ، ولذا^(١) يدفن نفسه فيه ، ويُدخله في أصولِ ريشه .

ثمَّ لا ترى سُلَاحًا أنتن من سُلَاحِه^(٢) ، لا يشبه ذرَق الحمام ، وصوم للنعام ، وجَعْر الكلب . ثم مع ذلك لا تراه إلا سائلًا رقيقًا . ولو كان مُدَحْرَجًا كأبعار الشاء والإبل والظباء ، أو متعلقًا^(٣) يابسًا كجَعْر^(٤) الكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لكان أهونَ في الجملة .

وقال أبو نُوَاسٍ في ديكٍ بعض أصحابه :

أذيتنا بديكك السَّلَاحِ فنجنا من مُنْتِنِ الأرواحِ^(٥)

(استخدام الخناقين للكلاب)

وقال صاحب الكلب : ومن مرافق الكلب أن الخناقين^(٦) يظاهر

بعضهم بعضًا ، فلا يكونون في البلاد إلا معًا ، ولا يسافرون إلا معًا ؛

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) في الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجر

(٣) في الأصل : « ومتعلقًا » .

(٤) في الأصل : « كجعر » ، تحريف .

(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .

(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبي منصور الكسفي الذي كان قال لأصحابه : « في

نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطًا » . والمنصورية من الروافض ،

نظر خبرهم في عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان

أيضاً (٦) والمقصد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود

في العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل في الفصل

(٤ : ١٨٥) .

فربما استولوا على دربٍ بأسره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإما بساتين ، وإما مزابيلُ وأشباهُ ذلك . وفي كلِّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوف وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمَ كُتابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنساناً ضربَ النِّساءُ بالدُّفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلّمُ فصاح بالصَّيَّيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهلُ كلِّ دارٍ بالدُّفوف والصُّنوج ، كما يفعل نساءُ أهلِ القرى ، وهيجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حماراً لما شعرَ بمكانه أحد^(١) ، كما كان ذلك بالرقّة .

و [انظر^(٢)] كيف أخذوا أهلَ دَرَبٍ بأسره !! وذلك أن بعضهم رغب في ثوبٍ كان على حمال ، وفيه دريهمات معه ، فألقى الوهق^(٣) في عنقه فغشى عليه ولم يمت ، وتحرك بطنه فأنى المتوضأ وتحرك الحمال والساجور^(٤) في عنقه ، فرجعت نفس الحمال ، فلما لم يحسّ بأحدٍ عنده ، قصدَ نحوَ باب الدار ، وخرج وزياره^(٥) في عنقه ، وتلقته جماعته^(٦) فأخبرهم الخبر ، وتصايح الناس فأخذوا عن آخرهم .

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتاً .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : حبل مفتول يرمى فيه أنشودة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشودة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتتحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع في عنق الكلب .

(٥) الزيار : - هو في الأصل - شناق يشد به البيطار جحفة الدابة . وما أثبت من س . وفي ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما في س .

(٦) في ط : « جماعة » وأثبت ما في س .

(بعض الخبر والشعر في الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهةً بذلك ، وفي غيرها من البلدان . فقال حمادُ
الرَّأوية ، وذكر المرميين بالخنق من القبائل وأصحاب القبائل والنحل ،
وكيف يصنع الخنَّاق ، وسمى بعضهم فقال :
إذا سرتَ في عَجَلٍ فسرْ في صحابةٍ وكِنْدَةٌ فاحذَرها حِذارَكَ للخسْفِ
وفي شِيعَةِ الأعمى زيار (١) وَغَيْلَةٌ وَقَشْبٌ وإِعْمالٌ لَجَنْدَلَةِ القَذْفِ (٢)
وكلُّهم شرٌّ عَلَيَّ أَنْ رَأَسَهُم حميدةٌ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ (٣)
متى كنتَ في حَيٍّ بِجَيْلَةٍ (٤) فَاسْتَمِعْ فَإِنَّ لَهم قَصْفًا يَدُلُّ على حَتْفِ (٥)
إذا اعتزموا يوماً على خنقِ زائرٍ تداعَوْا عَلَيهِ بالنُّباحِ وبالْعَرْفِ (٦)

- (١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .
(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجندلة : واحدة الجندل ، وهو الحجارة . وفي الأصل : « وأعمال محذلة القذف » ، وفي الحيوان (٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لجندلة القذف » ، وتصحيحه من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رهوس الناس بالحجارة وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٨٧) .
(٣) في الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليل الناعظية ، ولها رياضة في الغاية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلي » هذه في البخلاء (ص ٣١) . والكسف هو - كما سبق - أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت الميلاء حاضنته . وفي الأصل : « والميلاء وصاحبة الكسف » وهو تحريف صوابه في الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .
(٤) ط : « حيسى بجيلية » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجلياً ، مولى لهم » .
(٥) أى صوتاً مدوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروباً من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم في الصفحة السابقة .
(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأما ذكره لبني عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بني عجل .
وأما ذكره كِنْدَةَ ، فقد أنشدنا سُفْيَانُ بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوى :
إذا ما سرَّكَ العيشُ فلا تأخذَ عَلَى كِنْدَه (١)
ومن كِنْدَةَ أبو قصبه (٢) أخذ بالكوفة وقتل وصلب .
وكان بالكوفة ممن يأكل لحوم النَّاسِ عَدِيَّةُ المَدِينَةِ الصَّفْرَاءِ (٣) . وكان
بالبصرة رَادَوِيه صاحب قصاب رادويه .

وأما الأعمى فى بنى ضبَّة الذى ذكره فهو المَغِيرَةُ بن سعيد صاحب ٩٨
المَغِيرِيَّة ، وهم صِنْفٌ ممن يعمل فى الخنق بطريق المنصورية (٤) .
والمغيرة هذا من موالى بَجِيلَةَ ، وهو الخارج عَلَى خالد بن عبد الله
القَسْرِي ، وعند ذلك قال خالد وهو عَلَى المنبر (٥) : أطمعوني ماء !
وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل (٦) :

(١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .
(٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » .
وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » ، فعله هو .
(٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .
(٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .
(٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه للعبارة غريبة ، ولكنها
صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال :
أطمعوني ماء » .

(٦) فى الأصل : « بجر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من
الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد - غير الشعر الآتى -
(البيان ١ : ١١٢) .

بل النراويل من خوف ومن وهل واستطم النساء لما جد فى الهسرب
وأخن الناس كل الناس قطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب
ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبناء ، وهو كذلك من رماهم
الناس بالحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلت لما أصابك أطعموني شراباً ثم بُلتَ على السَّرِيرِ
لأعلاجِ ثمانيةِ وشيخِ كبيرِ السنِّ ذى بصرٍ ضيرٍ^(١)

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة في الغالية ، وهي ممن استجاب لليلي
السبائية^(٢) الناعظية^(٣) ، والميلاء^(٤) حاضنة أبي منصور^(٥) صاحب
المنصورية ، وهو الكسف . قالت الغالية : إياه عنى الله تبارك وتعالى
﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ . وقد ذكره
أبو السريِّ معدانُ الأعمى الشَّمِيطِي^(٦) في قصيدته التي صنّف فيها الرافضة
ثمَّ الغالية ، وقدم الشَّمِيطِيَّة^(٧) على جميع أصناف الشيعة^(٨) ، فقال :

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ في البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ :

١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثاني :

وكننت لدى المغيرة غير سوء تصول من الخافة للزبير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرية ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن
ذى بصر ضير » .

(٢) ط : « الشيبانية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما
في اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) في البخلاء ٣١ : « الباعظية » .

(٤) في الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « صاحبة أبي منصور » .

(٦) في الأصل : « الشميطى » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .

(٧) الشميطية : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحر بن شमित ،

وكان صاحب المختار ، وقد قتلها معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩ ،

ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ في البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ،

وفى (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفى (٣ : ٣٥٦) ستة آخر .

إِنَّ ذَا الْكَيْسَفَ صَدَّ آلَ كُمَيْلٍ وَكُمَيْلٌ رَذُلٌ مِنَ الْأَرْذَالِ (١)
تركا بالعراق (٢) داءٌ دويماً ضلَّ فيه تَلَطُّفُ الْمُحْتَمَالِ
منهم جاعلُ الْعَسِيبِ إماماً وفريقٌ يرضُ زَنْدَ الشَّمَالِ
وفريقٌ يقولُ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ عَلِيٍّ وَجُنْدُبِ وَبِلَالِ (٣)
وبراءٍ مِنَ الَّذِي سَلَّمَ الْأُمَّةَ رَ عَلِيٍّ قَدْرَةً بغيرِ قتالِ (٤)
وفريقٌ يدينُ بالنصِّ (٥) حَتْمًا وفريقٌ يدينُ بالإهمالِ
لأنَّ الكَيْمِيَّةَ لا تَجِيزُ الوَكَاةَ فِي الإِمَامَةِ ، وتقولُ لأبَدًا مِنْ إِمَامٍ صَامِتٍ
أَوْ نَاطِقٍ ، ولا بدَّ مِنْ عِلْمٍ يَمُدُّ النَّاسَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَهُمْ . وأبو مَنْصُورٍ يقولُ
بمخلاف ذلك .

وأما قوله :

وفي شِيعَةِ الْأَعْمَى زِيَارٌ (٦) وَغَيْلَةٌ وَقَشْبٌ وَإِعْمَالٌ لَجَنْدَلَةَ الْقَذْفِ (٧)

(١) في الأصل : « زول من الأزوال » وصوابه ما أثبت ، كما في الحيوان (٦ : ٣٩١)
حيث أعيد هذا الشعر . والرذل : الدون الخسيس . وأما الزول فهو الخفيف
الظريف الفطن ، وليس هذا مرادا .

(٢) في الأصل : « بالعراء » وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان .

(٣) جندب هذا هو ابن زهير بن الحارث ، كان مع علي بصفين ، وكان على الرجالة
يومئذ ، وكان هو والأشتر أقوى رجلين من أصحاب علي في يوم الجمل . انظر
الإصابة ١٢١٤ .

(٤) قالوا : إن عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان . (الفصل
٤ : ١٨٣) .

(٥) النص ، أي النص على الإمام ، بأن ينص كل إمام على الإمام الذي يخلفه .
انظر الفرق ص ٤٥ . وفي الأصل : « بالنصر » وهو تحريف . وانظر الكلام على
(النص) في الملل والنحل (١ : ٢٢٣) .

(٦) في الأصل : « زياد » . وانظر التنبية الخامس من (ص ٢٦٥) .

(٧) في الأصل : « مجزلة القذف » . وانظر التنبية الثاني من (ص ٢٦٦) .

فقد قال معدان :

حبشىٌ وكافرٌ سيبانى حَرْبِيٌّ وناسخٌ قَتَالٌ^(١)
تلك نيميَّةٌ وهاتيك صمت^(٢) ثمَّ دين المغيرة المغتالِ
خنق مرَّةً وشمُّ بخارٍ ثمَّ رضخُ بالجنْدَلِ المتوالى^(٣)
لأنَّ من الخناقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمونه إذا جمع الخنق
والتشميم ، وحمل معه في سفره حَجْرَيْنِ مستديرين مُدْمَلَكَيْنِ ومللمين
فإذا خلا برجلٍ من أهل الرُّفقة استدبره فرمى بأحدهما قَحْدُوته^(٤) ،
وكذلك إن كان ساجداً . فإن دمه الأول سلبه ، وإن هو رفع رأسه طَبَّقَ
بالآخر وجهه . وكذلك إن ألفاه نائماً أو غافلاً .

٩٩

ولقد صحبَ منهم ناسٌ رجلاً خرج من الرِّئى ، وفي حقوه هَمِيَانٌ^(٥) ،
فكان لا يفارق مُعْظَمَ النَّاسِ ، فلما رأوه قد قَرُبَ مِنْ مَفْرِقِ الطَّرِيقَيْنِ ،
ورأوا احتراسه ، وهم نزولٌ إمَّا في صحراءٍ وإمَّا في بَعْضِ سَطُوحِ الخَنَاتِ ،
والناسُ مُتَشَاغِلُونَ بِأُمُورِهِمْ ، فلم يشعرُ صاحبُ الهَمِيَانِ نهاراً والناسُ حَوْلَهُ
إِلَّا وَالْوَهْقُ^(٦) في عنقه ، وطرحه الآخر حين ألقاه في عنقه ، ووَثَبَ إِلَيْهِ
وجلسَ على صدره ، ومدَّ الآخر برجليه وألقى عليه ثوباً وأذَّنَ فِي أُذُنِهِ

(١) كذا . وفي البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبي » . والخشبية : فرقة
من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١ .

(٢) كذا .

(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما في س .

(٤) انظر التنبيه الثاني من (ص ٢٦٦) .

(٥) القمحودة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا
الموضع قاتلة .

(٦) الهميان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .

(٧) الوهق مر تفسيره في (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعض أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجع ، فقالوا له : مكانك ؛ فإنه إن رآك خجل واستحى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمَّا خلَّوا به أخذوا ما أحبُّوا ، وتركوا ما أحبُّوا ، ثمَّ حملوه على أيديهم ، حتى إذا برزوا رموه في بعض الأودية .

(شمر أعشى همدان في السبئية)

وقد ذكر أعشى همدان السَّبئية^(١) وشأنهم في كرسى المختار^(٢) :
شهدتُ عليكم أنكم سبئية^(٣) وإني بكم يا شرطَةَ الكُفْرِ عارفٌ
وأقسمُ ما كرسيتُكم بسكينةٍ وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللفائفُ
وأن لبَّسَ التَّابوتُ فُتْنًا وإن سمْتُ حمامٌ حوالبه وفيكم زخارف^(٤)
وإني امرؤٌ أحببتُ آلَ محمَّدٍ وآثرتُ وخياً ضُمَّنتُهُ المصاحِفُ

(١) في الأصل : « السيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة . قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاهما عند خواصه ، وزعم أن الوحي ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبي عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بشار الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بسكربلاه . انظر أخباره وآراءه في الفرق بين الفرق (ص ٢٦ - ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) في الأصل : « سيلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات .

وإن شاكراً طافت به وتمسحت بأعواد ذاوٍ دبرت^(١) لا تساعف
ودانت به لابن الزبير رقابنا ولا غبن فيها أو تحز السوالف
وأحسب عقبها لآل محمد فينصر مظلوم ويأمن خائف
ويجمع ربي أمة قد تشنتت^(٢) وهاجت حروب بينهم وحسائف
أبو عبيدة : الحسيفة^(٣) الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسه بيده ، إمانخوف المثلة ، وإمانخوف
التعذيب والهوان وطول الأسر .

١٠٠ وقد كان الحكم بن الطفيل ، أخو عامر بن الطفيل ، وأصحابه خنقوا
أنفسهم في بعض الأيام^(٤) ، فعبروا بذلك تعبيراً شديداً ، فقال خراشة
ابن عامر بن الطفيل :

وقدتهم للموت ثم خذلتهم فلا وألت نفس عليك تحاذر^(٥)
فهل تبلغني عامراً إن لقيته أسليت عن سلمان أم أنت ذاكر

(١) كذا . وفي س : « بأعواد داود برت » .

(٢) ط : « تشنت » : وتصحيحه من س .

(٣) ط : « الحسيفة » ، وتصحيحه من س .

(٤) هو يوم ساحوق كما في الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر المقد

الفريد (٣ : ٣١٨) .

(٥) وألت : نجت .

فإن وراء الحى غزلان أَيْكَة مُصَمَّخَةً آذانها والغدائر^(١)
وإنكم إذ تخنقون نفوسكم لكم تحت أظلال العِصاهِ جرائرُ
وقال عروة بن الورد في يوم ساحوق^(٢) ، ويذكر خنق الحكم بن الطفيل
وأصحابه أنفسهم ، فقال :

ونحن صبحنا عامراً في ديارها عُلالة أرماحٍ وعَضْباً مُذَكِّراً^(٣)
بكلِّ رقيقِ الشفرتين مُهنِّدٍ ولَدْنٍ من الحطّى قد طرَّ أسمرًا^(٤)
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا^(٥)
يشدُّ الحليمُ منهم عقداً حبله^(٦) ألا إنما يأتي الذى كان حذراً^(٧)

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هو يوم لبى ذبيان على بنى عامر . انظر تفصيله فى كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماح : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكور :
السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما فى ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية فى الأخيرين
« بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين .
والحطى : الرمح منسوب إلى الحط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ،
نضجت قناته فى منبها ويبيت فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا فى الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر
بين الرجال فى خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرًا » .
(٦) فى الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان
وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل
خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتي الذى كان حذر منه وهو الموت . وفى الأصل : « ألا يأتي الأمر الذى
كان أعذرا » ، وأثبت ما فى الديوان والخزانة .

(رثاء أبي زيد الطائي كلبا له)

وقال أبو زبيد^(١) في كلب له ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ،
حين حطمه^(٢) الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أخال أكدرٌ مختالا كعادته^(٣) حتى إذا كان بين الحوض والعطن^(٤)
لاقي لذي ثلل الأطواء داهية^(٥) أسرت وأكدرت تحت الليل في قرن^(٦)

(١) في الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زيد » كما في الأغاني (١١ : ٢٤)
ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زيد الطائي . واسمه حرملة بن المنذر
وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعاداه في المخضرمين ،
أدرك الإسلام ولم يسلّم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدفئ
مجلسه . واشتهر أبو زيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده في ذلك ، وقد نعتة نعتا
طويلا عجبيا في مجلس عثمان (الأغاني ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت
قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف ما يروى في
أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد
ولا يقوم له . وفي الليلة التي قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج
ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى في اختيال ، والرواية في المعجم : « أخال أكدر مشيا لا كعادته »
وفي الأغاني : « أخال أكدر مشيا لالعادته » . وفي البغال ٣١١ : « فجال أكدر
مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية في الأغاني والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل
حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع
طوى كفتى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغاني والمعجم
وفي الأصل : « لاقى الذي جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : « صرت الذهبية مع أكدر في قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت
رواية الأغاني والمعجم . وفي الأصل : « أشوت وأكدرت تحت الليل في قرن »

حَطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ وَرَهَاءٌ تَطْرُدُهُ (١) حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْأَهْوَالِ فِي سَنَنِ (٢)
 إِلَى مُقَارِبِ خَطْوِ السَّاعِدِينَ (٣) لَهُ فَوْقَ السَّرَاةِ كَذَفْرَى الْقَارِحِ الْغَضِينِ (٤)
 رِيَالُ ظُلْمَاءٍ (٥) لَأَقْحَمُ (٦) وَلَا ضَرَعٌ كَالْبَغْلِ خَطَّ بِهِ الْعَجْلَانِ فِي سَكَنِ (٧)
 فَأَسْرِيَا وَهَمَا سَنَا هُمُومَهُمَا إِلَى عَرِينِ كَعُشِّ الْأُرْمَلِ الْيَفْنِ (٨)
 هَذَا بِمَا عَلَقْتَ أَظْفَارَهُ بِهِمْ وَظَنُّ أَكْدَرَ غَيْرُ الْأَفْنِ وَالْحَتَنِ (٩)

(١) يقول : دفعت به خطة حقاء جمعت تسوق به . ورواية الأغاني : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة في معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغاني والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفي الأغاني : « في السن » .

(٣) في الأغاني والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفي المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شيء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس في سن الخامسة . والرواية في الأغاني والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفي البغال : « الفالج الفصن » . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه في س . وبدله في الأغاني والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) في الأصل : « فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغاني والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادي :

حتى استمرت على شزر مريته مستحکم الرأي لاقحما ولا ضرعا

(٧) كذا . وفي البغال : « حطمن المحلين في شطن » وفي المعجم « كالفيل يختطم الفحلين في شطن » . وفي الأغاني : « كالبغل يختطم المجلين في شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية في الأغاني والمعجم .

(٨) فأسريا ، يبنى الأسد والكلب . وسنا همومهما : وجها همهما . وفي س :

« وهما مبنا همومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « بهم » . والأفن : ضعف الرأي . والحتن : الباطل ، وحرك التام للمشر . وفي الأصل : « الأمن والحسن » .

حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْعِرْزَالَ وَانْتَبَهتَ لِحِسِّهِ أُمَّ أُجْرٍ سَتَةٍ شُزْنٍ (١)
 بَادٍ جَنَاحِهَا حِصَاءً قَدْ أَفَلتَ لهن يبهرن تعبيراً على سدن (٢)
 وَظَنَّ أَكْدَرُ أَنْ تَمُوا ثَمَانِيَةً أَنْ قَدْ تَجَلَّلَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالْيَمِينِ (٣)
 فَخَافَ عِزَّتَهُمْ لَمَّا دَنَا لَهُمْ فَحَاصُ أَكْدَرُ مُشْفِئاً مِنَ الْوَسَنِ (٤)
 بِأَرْبَعِ كُلِّهَا فِي الْخَلْقِ دَاهِيَةٌ (٥) غُضِفَ عَلَيْهِنَّ ضِجَارُ اللَّحْمِ وَاللَّبَنِ (٦)
 أَلْفَاهُ مَتَّخِذَ الْأَنْيَابِ جُنَّتَهُ وَكَانَ بِاللَّيْلِ وَالْأَجَا إِلَى الْجَنَنِ

(رثاء أعرابي شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابيُّ وأكل ذيبٌ شاةً له تسمى

وردة ، وكنيتها أم (٧) الورد :

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفي الأصل : « الغروال » ، تحريف . أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها الليوة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض . والشطر الثاني من البيت في ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفي س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر - تمام عدد هذه الفرائس ثمانية - أنه بصيدها يجلب لأهله نميماً وعزاً . وتجلل : اكتسى . واليمين : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود اليمن . والبيت في الأصل هكذا :

أتين أكدر أن تموا ثمانية أن قد تجلل أهل البيت باليمين

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) في هامش س : « أمنة » رواية في « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) في الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما في الشعر الآتي .

أودى بوزدة أم الورد ذو عسل من الذئاب إذا مراح أو بكرًا
لولا ابنها وسليات لها غرر ما انفكت العين تذرى دمعها دررًا
كأنما الذئب إذ يعدو على غنى في الصبح طالب وتر كان فاترًا
اعتامها اعتامه شين برائنه من الضواري اللواتي تقصم القصرًا (١)

قال : في هذا الشعر دليل أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصبح ، عند
فتور الكلب عن النباح ؛ لأنه بات ليلته كلها دائباً يقظان يحرس ،
فلما جاء الصبح جاء وقت نوم الكلاب وما يعترها من النعاس . ثم لم
يدع (٢) الله على الذئب بأن يأكله الأسد حتى يختاره ويعتاهه ، إلا والأسد
يأكل الذئاب ، ويختار ذلك . وإنما استطاب لحم (٣) الذئب بفضل شهوته
للحم الكلب .

(قول صاحب الديك في إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الديك : لم نر شريفاً قط أجازَ شاعراً بكلب ، ولا
جأ به زأراً ، [و] (٤) قد رأيتهم يجيزون للشعراء بالدجاج . وأعظم من

(١) سبق شرح هذه الأبيات في ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « لهم » .

(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ^(١) ، لما قال في افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبي صلى الله عليه وسلم :

رُمِيَتْ نَطَاةُ^(٢) من النبيُّ بفَيْلِقٍ شُهْبَاءِ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَّارٍ^(٣)
وَهَبَ لَهُ دَجَاجِ خَيْبَرَ عَنْ آخِرِهَا . رواه أبو عمرو^(٤) ، والمدائني
عن صالح بن كيسان ، ولتلك الدَّجَاجِ قَيْلٌ : لقيم الدَّجَاجِ .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كان إياس بن معاوية
وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً ذمياً^(٥) ، وكان له أخٌ أشدُّ حركةً منه وأقوى ،
فكان معاوية [أبوه]^(٦) يقدمه على إياس ، فقال له إياس يوماً : يا أبتِ !
[إنك]^(٧) تُقَدِّمُ أخی عَلَيَّ ، وسأضربُ لك مثلي ومثله : هو مثل الفَرُوجِ

(١) في السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم » . وقد نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧٥٥٤
كلام الجاحظ في « لقيم » وقال في تلميح الخلاف بين السيرة والحيوان :
« فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه
« لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطة » وفي الإصابة « مطاة » وصوابها ما أثبت من س والسيرة ، وهي
اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما في المعجم .

(٣) وصف الفيلق - وهو مذكر - بشبهاء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة .
والشبهاء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبدد هذا البيت أبيات سبعة في السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيباني ،
كما في الإصابة .

(٥) س : « ذمياً » ، والأشبه ما في ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلاً عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نفسه^(١) ، يلتقط ، ويستخفه الناس ، وكلما كبر انتقص ، حتى إذا تمَّ فصار دجاجة ، لم يصلح إلا للذبح . وأنا مثل فرخ الحمام حين تنفلق عنه البيضة عن ساقط لا يقدر على حركة ، فأبواه يغذوانه حتى يقوى ويثبت^(٢) ريشه ، ١٠٢ ثمَّ يحسن بعد ذلك ويطير ، فيجد به الناس^(٣) ويكرمونه ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجىء ، فيصان لذلك ويكرم ، [ويشتري بالأثمان الغالية^(٤)] . فقال أبوه : لتمد أحسنت المثل !! فقدّمه على أخيه ، فوجد عنده أكثر مما كان يظن فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياس في هذا القول بعض مصالحي^(٥) الدجاج ، وذلك أن الدجاج من لدن^(٦) يخرج من حد الصغر والكيس إلى أن يدخل في حد الكبر واحتمال اللحم والشحم ، يكون أخبث حالاً لأنه لا يصلح فيه للذبح ، وقد خرج من حد الكيس والاستملاح . وإياس هو الذي يقول : لست بنجب^(٧) والحب لا يندعني ، ولا يندع ابن سيرين وهو يندع أبي ويندع الحسن .

(١) في الأصل : « يخرج كافياً بنفسه » ، وأثبت ما في الثمار .

(٢) في الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .

(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفي س : « فيجده الناس » . وفي الثمار :

« ويتخذونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .

(٤) من الثمار .

(٥) كذا .

(٦) في الأصل : « من له أن » .

(٧) الحب ، بالكسر : الذى يندع الناس . والخبر في البيان (١ : ١٠٦) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرْجُ المرأة والجمع فُرُوج ، وهو القُبْل ، والفَرْجُ كناية ، والاسم الحِرُّ ، وجمعه أحرّاح . وقال الفرزدق :

إِنِّي أَقُودُ جَمَلًا مُمَرَّاحًا فِي قَبَّةٍ مُوقَرَةٍ أَحْرَاحًا^(١)
قالوا : وإنما جمعه على أحرّاح ، لأنَّ الواحد حِرْح^(٢) . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قال الشاعر^(٣) :

تَراها الضَّبْعَ أَعْظَمَهُنَّ رَأْسًا جُرَاهِمَةً لَهَا حِرَّةٌ وَثِيلٌ^(٤)
فلم يرض الاستعارة حتّى ألحق فيها الماء .

وهو الكعْثَب ، وقال الفرزدق :

إِذَا بَطِطِحَتْ فَوْقَ الْأَثَانِي رَفَعْنَهَا^(٥) بَثْدِيَيْنَ مَعَ نَحْرِ كَرِيمٍ وَكَعْثَبٍ

وقال الأُغْلَب^(٦) :

(١) في اللسان (حرح) : « ذاقبة » ، وفي أمالي ابن الشجري (٢ : ٣٨) : « وقد أقود ... ذاقبة مملوءة » .

(٢) انظر في اللسان تصريف هذه الكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما في اللسان (جرهم) .

(٤) عني بالجراهمة للفضحة الثقيلة . وقوله : « لها حرة وثيل » عني به مايزعمون من أن كل ضبع خنتي . اللسان .

(٥) س : « رفعتها » . وانظر ديوان المعاني ١ : ٢٨١ والمقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأُغْلَب بن جشم بن مسعد العجلي ، من رجاز العرب ، وهو مخضرم

أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بناوند . قالوا : وهو أول من أطال

الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلhel - وكان الرجل قبله

يقول البيت والبيتين من الرجز ، إذا فاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مفتخرأ :

إني أنا الأُغْلَب أضحي قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره في الأغاني (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

• حَيَاكَة عَنْ كَعْتَبٍ لَمْ يُصْنِحْ (١) .

وهو الأجم (٢) ، وقال الرَّاجِزُ :

[جارية أعظمها أجمها قد سمّتها بالسُّويق أمها (٣)]

• بَائِنَةُ الرَّجُلِ فَمَا تَضُمُّهَا •

وقال : وقد يسمّى الشُّكْرُ ، بفتح الشُّينِ وإسكان الكاف ،

وأنشدوا :

وكانتَ كليلة الشُّيباءِ هَبَّتْ بِمَنْعِ الشُّكْرِ أتاَمَهَا القَيْبِلُ (٤)

[أتاَمها (٣)] : أفضاها . وأما قوله :

قد أقبلتَ عَمْرَةَ من عِرَاقِهَا مُلصَّقةَ السَّرَجِ بِخَاقِ باقِهَا

قال : وهو إن أرادَ الحِرَّ فليس ذلك من أسمائه ، ولكنّه سَمَاهُ بذلك ١٠٣

على المزاح .

(١) امرأة حياكة تحريك في مشيها ، تمشي مفرجة ما بين رجلها . ويصح من الصباح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخم » وفي سائر النسخ : « الأحم » ، صوابه بالجيم كما في اللسان (جم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هي في الأصل « أحما » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما في اللسان (شيب وتأم) ولم أجده في ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افتقرت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفتقر في تلك الليلة . وفي الأصل : « الشيباء » وهو تحريف صوابه في اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل في الميداني (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفي اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : وَالظُّبْيَةُ اسمُ القَرَجِ من الحافر ، والجمع الظُّبْيَات . وقد استعاره أبو الأخرز^(١) فجعله للخُفِّ فقال :

ساوَرَهَا عِنْدَ القُرُوءِ الوحم في الأرض ذاتِ الطُّبْيَاتِ الجحم
وقد قال الأوَّل :

فجاء بغرمولٍ وفلكٍ مُدْمَلِكٍ فَخَرَّقَ ظَبْيِيهَا الحِصَانُ المُشَبَّقُ
وهو من الظُّلْفِ والْحُفِّ الحيا ، والجمع أحيية . وهو من السبعِ ثَفْرٌ ،
وقد استعاره الأخطلُ للظُّلْفِ فقال :

جَزَى اللهُ عَنَّا^(٢) الأَعُورَيْنِ مَلَامَةً وعَبَلَةٌ^(٣) ثَفْرُ الثَّوْرَةِ المُتَضَاجِمِ^(٤)

فلم يرضَ أن استعاره من السَّبْعِ للبقرةِ حتَّى جعل البقرة ثورة .
وقد استعاره النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ للحافر ، كما استعاره الأخطل
للظُّلْفِ ، فقال :

بُرَيْذِنَةٌ بَلٌّ البَرَاذِينِ^(٥) ثَفْرَهَا وقد شَرِبْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْلًا

(١) ط : « الأحرز » س « الأخرز » وصوابه ما أثبت . وهو أبو الأخرز الحماني ، أحد رجاز العرب ، واسمه (قتيبة) كما في اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكمال ١٥٩ لبيسك والثعالبي في فقه اللغة ٧٦ : « فيها » .

(٣) في الكامل : « عبدة » وفي فقه اللغة واللسان - مادة ضجم - « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما في اللسان : وقال أبو الحسن في شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفي الأصل : « المتضاجم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « برينسة » مصغر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « برينينة »

كما في اللسان . وفي س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخائر .

ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أَيْلًا » . والبيت يقولُه النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ في هجاء ليلي الأخيلىة ، وقبله :

ألا يا ازجرا ليلي وقولا لها هلا وقد ركبت أمراً أغر محجلا

وقد قالوا بِرِذْوَنَةٍ ، وقال الرَّاجِزُ :

تَرْحُزِحِي إِلَيْكَ يَا بِرِذْوَنَةُ إِنَّ الْبِرَازِينَ إِذَا جَرَيْنَهُ (١)
مَعَ الْجِيَادِ سَاعَةً أَعْيَيْنَهُ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلَهُ لِلنَّعْجَةِ فقال :

وَمَا عَمُرُوا إِلَّا زَنْعَجَةً سَاجِسِيَّةً (٢) تَحْرُكُ تَحْتَ الْكَبْشِ وَالثَّفْرِ وَأَوَامُ
وَالسَّاجِسِيَّةُ (٣) : ضَانٌ فِي تَغْلِبِ .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نَحْنُ بَنُو عَمْرَةَ فِي انْتِسَابِ بِنْتِ سُويِدِ أَكْرَمِ النَّصَبِ (٤)
جَلَدْتَنَا مِنْ ثَفْرِهَا الْمِنْجَابِ (٥) *

ويقال لجردان الحمار غرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيب البعير ،
وهو لكل شيء ، ومِقلَمُ الجمل فقط . ومن السباع العقدة (٦) ، وأصله للكلب
والذئب . وقال جرير :

إِذَا رَوَيْنَ عَلَى الْخَزِيرِ مِنْ سَكْرِ نَادِينَ يَا عَظْمَ الْقَسِينِ جُرْدَانَا (٧)

ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصر وفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

(١) الرجز في البغال ٣٤١ .

(٢) في الأصل « شاخسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجن وثفر)
والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت في اللسان (ثفر) برواية « تحزل تحت
الكبش والثفر وارد » .

(٣) في الأصل : « والشاخسية » وانظر التنيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضيب ، وحسل ،
وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) :
« جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقدة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفي القاموس عند تفسير
« العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا في الأمثال: « لا أفعلُ حتى ينامَ ظالِعُ الكلابِ » أي الصارف .
ولم يعرف الأصمعيُّ ظلمت الكلبة بمعنى صرّفت . واستحرمت ،
وأجعلت^(١) واستجعلت ، واستطارت^(٢) . والذئبة في ذلك كالكلبة .
قال : ويقال في السباع : قد وَضَعَتْ ، وولَدَتْ ، ورمصت^(٣) مثلَ
ما يقالُ للنَّاسِ والغنمِ .

(بحث في المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال : ويقال كلبة وكلب^(٤) ، وذئبة وذئب ، وبرذون
وبرذونة . وأنشد :

= رؤساء النصارى في الدين والعلم - والبيت من قصيدة لجرير ، مطلعها :
بان الخليل ولو طوعت سابانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
يهجوها الأخطل . وقبل البيت :

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن إلى الدين تخنانا

(١) في ط : « جعلت » ، وهي على الصواب في س .
(٢) يقال « استطارت » كما يقال « استظارت » . وفي اللسان (طير) :
« ويقال أجعلت الكلبة ، واستطارت ، إذا أرادت الفحل » . وفي مادة
(ظار) - : « قال أبو منصور : قرأت في بعض الكتب استظارت الكلبة بالظاء أي
أجملت واستحرمت » .

(٣) في الأصل : « رمضت » والصواب ما أثبت . وفي القاموس : رمضت السباع :
ولدت . انظر مادة (رمض) . وامت نجد هذه الكلمة بهذا المعنى في اللسان .
(٤) في الأصل : « ويقال في السباع كلبة وكلب » . الخ . وكلمتا « في السباع »
من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها .

أَرَيْتَ إِذَا مَا جَالَتْ الْحَيْلُ جَوْلَةً وَأَنْتَ عَلَى بَرٍّ ذَوْنَةٌ غَيْرِ طَائِلٍ (١)
ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمعٌ من واحدتها . ويقال
بعير وناقاة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ
وشيخة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة (٢) ويقال
أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب (٣) ، وقال الشاعرُ :
كَأَنَّهَا ضِبْعَانَةٌ فِي مَفَازَةٍ وَذَيْبَةٌ مَحَلٌّ أُمٌّ جِرْوَيْنِ تَعْسَلُ (٤)
ويقال إنسان وإنسانةٌ ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ،
وسرحان وسرحانة ، وسيدٌ وسيدة ، وهقل وهقلة ، وإلق وإلقة (٥) ،
وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجَدَّتْ إِلْقَةً مِنَ الْإِلْقِ (٦) *

وزعم أنه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابنا لا يقولون هذا
ويضحكون ممن يقولون : ضبعة عرجاء . ويقال ثرملة (٧) .

-
- (١) أريت بمعنى أرايت . وفي س « أرايت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه
في ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفي البغال ٣٤١ :
« أريتك » ويقال لثشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .
- (٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسد » في مادق (لبأ ، ولبو) .
- (٣) في الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى .
واللبوة مخففة من اللبوة بالهمز .
- (٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفي ط « مغارة » موضع « مفازة »
وفي س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب في عبودها وتهز
راسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو في الأصل الناقة
القوية السريعة .
- (٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتي من النعام .
وفي الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .
- (٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكري ص ٣٣ .
- (٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وفرخة ، ومن النمر نَمِرٌ ونَمِيرَةٌ . قال : ويقال ذَيْخٌ وَذَيْخَةٌ^(١) ، وَضِبَعَانٌ وَضِبَعَانَةٌ ، وَجِيَالٌ وَجِيَالَةٌ^(٢) . ويقال عقرب وعقربة . والعُقْرَبَانُ الذَّكَرُ وَحَدَهُ . وقال الشاعر^(٣) :

كَأَنَّ مَرَعَى أُمَّكُمْ إِذْ غَدَّتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرَبَانٌ^(٤)

ومن الضفادع ضفدع وضفدعة ، ومن التنافذ قنفذ وقنفذة ، وشبههم وشبهمة^(٥) ، ومن القروود قرد وقردة .

ويقال إلقة وقشة^(٦) ، ولا يقال إلق وقش ، ويقال لولد القرد رَبَّاحٌ

وَأَلْأُنْثَى إلقة . وقال الشاعر^(٧) :

وإلقة تُرغِثُ رَبَّاحَهَا وَالسَّهْلُ وَالنَّوْفَلُ وَالنَّضْرُ^(٨)

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما في معنى سابقتهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائي كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحجاسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما في اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هي في الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما في اللسان والحجاسة . ويروى : « سوءة » كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفي شولها وخز أليم مثل وخز السنان

كل حدو يتق مقبلا وأمك سورتها بالعجان

(٥) الشبهم : العظيم من القنفاذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القروود .

(٧) هو بشر بن المتمر . وستأق قصيدة البيت في (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضع . وهي في ط : « نزعت » وفي س « نذغت » وهما محرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هي في الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

وَمِنَ النَّعَامِ هِقْلٌ وَهِقْلَةٌ (١) ، وَهَيْقٌ وَهَيْقَةٌ (٢) ، وَصَعْلٌ وَصَعْلَةٌ (٣) ،
 وَسَفْنَجٌ وَسَفْنَجَةٌ (٤) ، وَنَعَامٌ وَنَعَامَةٌ (٥) ، وَالْوَاحِدُ مِنْ فِرَاحِهَا الرَّأْلُ وَالْجَمْعُ رَثَالٌ
 [وَرِثْلَانٌ (٦)] وَأَرَاالٌ (٧) وَأُرْوُلٌ ، وَالْأُنْثَى رَأْلَةٌ ، وَحَفَانَةٌ وَالْجَمْعُ حَفَّانٌ ، وَقَدْ
 يَكُونُ الْحَفَّانُ (٨) أَيْضًا لِلْوَاحِدِ . وَيُقَالُ لَهَا قِلَاصٌ وَالْوَاحِدَةُ قَلْوَصٌ (٩) وَلَا يُقَالُ
 قَلْوَصَةٌ ، وَيُقَالُ ظَلِيمٌ وَلَا يُقَالُ ظَلِيمَةٌ ، وَيُقَالُ نِقْنِقٌ وَلَا يُقَالُ نِقْنِقَةٌ (١٠) . ١٠٥
 وَيُقَالُ مِنَ الْأَرَانِبِ أَرْنَبٌ وَلَا يُقَالُ أَرْنَبَةٌ ، وَالذَّكَرُ خُرْزٌ . وَيُقَالُ لِلْأُنْثَى
 عِكْرِشَةٌ وَلَوْلِدُهَا خِرْنِقٌ . وَيُقَالُ هَذِهِ أَرْنَبٌ وَهَذِهِ عِقَابٌ ، وَلَا يُقَالُ هَذَا
 الْأَرْنَبُ وَلَا هَذَا الْعِقَابُ . وَقَالَ الشَّامِيُّ :
 فَمَا تَنْفَكُ بَيْنَ عُوْرِيضَاتٍ تَجْرُ بِرَأْسِ عِكْرِشَةٍ زُمُوعٍ (١١)

-
- (١) انظر التنبية رقم (٦) من ص ٢٨٥ .
 (٢) هما بمعنى سابقتهما .
 (٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .
 (٤) السفنج : الخفيف من النعام .
 (٥) نعام : يقع على الجنس وهل الواحد أيضا ، كما هنا وكما في القاموس .
 (٦) الزيادة من س . ومثله في القاموس والديري واللسان .
 (٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .
 (٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف في ط ، وصوابه بالفاء كما في س .
 (٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .
 (١٠) النقتق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفي الأصل : « ويقال نقيق ولا يقال نقيقه »
 وهو تصحيف ما أثبت .
 (١١) يصف عقابا تقتنص الأرانب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت في أرجلها
 الزمعات : شعرات في مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهي لاتسكون إلا بين اثنين
 أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحي ذلك المكان المسمى « عوريضات » وقد أتى
 الجاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جرؤً والأُنثى جروة ، وهو دِرْصٌ والجمع أدراص ، ويقال لمن عضه الكلبُ الكَلْبُ : بال كادر اص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر ، وقد يعرض شبيهٌ بذلك لكثيرٍ من السباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجرؤُ وفتح^(١) وجصص ، إذا فتح عينه شيئاً . وصاصاً إذا لم يفتح عينه^(٢) . ولذلك قال عبد الله بن جحش^(٣) ، والسكران ابن عمرو^(٤) ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إزاً فقحنا وصاصأتم^(٥) » . قال بعض الرُّجَاز^(٦) في بعض الصُّبيان :

-
- (١) ط : « وفتح » وصوابه في س .
(٢) في القاموس : « صاصاً الجرؤ : حرك عينه قبل التفتيح أو كاد يفتحهما » .
(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله في الإصابة . وقد تزوج الرسول أختها زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاة .
(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .
(٥) انظر اللسان (صاصاً) ومقاييس اللغة (صاً) .
(٦) ط : « ثم قال بعض الرُّجَاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفي الأغاني (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآق هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه - أى ضيق عينه - وفي الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقْبَحَ بِهِ مِنْ وُلْدٍ وَأَشْفَحَ . مَثَلُ جُرَى الْكَلْبِ لَمْ يَفْقَحْ (١)
إِنْ يَسِرَّ سَارٍ لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحْ (٢) . بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ .

ويقال لولد الأسد جرو وأجراء وجراء ، وهي لجميع السباع ، ويقال له
خاصةً : شِبَالٌ . والجمع أشبال وشبُول . وقال زهير :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِعُهُ الـ أَبْطَالُ مِنْ لَيْثِ أَبِي أَجْرٍ (٣)

(خبث الثعلب)

وحدثنى صديقٌ لى قال : تعجَّبَ أخٌ لنا من خُبثِ الثَّعلبِ ، وكان
صاحبَ قَنْصٍ ، وقالَ لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب
والكلاب ، فيحتال للكلاب بما يعلم أنه يجوز عليه ، ولا يحتال مثل تلك
الحيلة للكلب ؛ لأن الكلب لا يخفى عليه الميت من المغشى عليه . ولا ينفع
عنده التناوت . ولذلك لا يُحمل من مات من الجوس إلى النار (٤) حتى يُدنى
منه كلبٌ ؛ لأنه لا يخفى عليه مغمور الحسِّ أحيُّ هو أو ميت (٥) . وللكلب عند
ذلك عملٌ يستدلُّ به الجوس .

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغاني والحيوان (١ : ٢٤٤) .

(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان
الروى أو كسره .

(٣) أجر : جمع جرو .

(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناوس » ، بمعنى القبر .

(٥) ط : « أهوى أو ميت » وأثبت ما فى س .

قال : وذلك أُنِّي هَجَمْتُ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي مَضِيْقٍ ، وَمَعَى بُنْيُ لِي ، فَإِذَا
هُوَ مَيِّتٌ مُنْتَفِخٌ ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ لِحِقْتَنِي الْكَلَابُ ، فَلَمَّا
أَحْسَسْتُ بِهَا وَثَبْتُ كَالْبَرْقِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَايَدَ (١) عَنِ السَّنَنِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ
فَإِذَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَلِقَ وَيَنْفِخَ خَوَاصِرَهُ وَيَرْفَعُ
١٠٦ قَوَائِمَهُ ، فَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْذُ دَهْرٍ ، وَقَدْ تَزَكَّرَ
بِالْإِنْتِفَاحِ بَدَنُهُ ، فَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ (٢) ، إِذْ (٣) مَرَرْتُ فِي الزُّرْقَاقِ
الَّذِي فِي أَصْلِ دَارِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْفَذَهُ إِلَى مَازَنِ ، فَإِذَا جَرَوْا كَلْبًا مَهْزُولًا سَيِّئُ
الْغِذَاءِ ، قَدْ ضَرَبَهُ الصُّبْيَانُ وَعَقَرُوهُ فَفَرَّ مِنْهُمْ وَدَخَلَ الزُّرْقَاقَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ
فِي أَصْلِ أُسْطُوَانَةٍ (٤) وَتَبِعُوهُ حَتَّى هَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَمَاوَتَ (٥)
فَضْرَبُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَنَاصِرَفُوا عَنْهُ . فَلَمَّا جَاوَزُوا تَأَمَّلْتُ عَيْنَهُ فَإِذَا
هُوَ يَفْتَحُهَا وَيُغْمِضُهَا ، فَلَمَّا بَعَدُوا عَنْهُ وَأَمِنْهُمْ عَدَا ، وَأَخَذَ فِي غَيْرِ طَرِيقِهِمْ
فَأَذْهَبَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِي لِلثَّعْلَبِ ؛ إِذْ كَانَ الثَّعْلَبُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الرَّوَّغَانُ
وَالْمَكْرُ ، وَقَدْ سَاوَاهُ الْكَلْبُ فِي أَجُودِ حَيْلِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَايَرٌ » .

(٢) تَزَكَّرَ : عَظُمَ . وَفِي ط : « وَقَدْ أَتَذَكَّرَ انْتِفَاحَ بَدَنِهِ فَأَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ »
وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٣) ط : « إِذَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أُسْطُوَانَةٌ » ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالسِّنِّ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « تَمَرَدٌ » وَوَجْهَهُ مَا أَثْبَتَ .

(مقايمة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعد ما ليس معه ، إلا أن يُفخر بفروته^(١) في موضع انتفاع
الناس به ؛ فجعر الكلب للذُّبحة أنفع منه ، إذ كان في الذُّبحة الموت وليس
يقوم مقامه شيء . وجلد الثعلب منه عِوض^(٢) .

(قول صاحب الديك في الكلاب)

قال صاحب الديك : شرار عباد الله من قتل اولاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولم نجد شعراء الناس شبَّهوا أولئك القاتلين بشيء سوى
الكلاب . قال أبو نضلة الأبار ، في قتل سلم بن أحوز المازني ، صاحب
شرطة نصر بن سيار اللبي ، يحيى بن زيد^(٣) وأصحابه ، فقال :

ألم تر ليثاً ما الذي ختمت به لها الويل في سلطانها المتخاذل^(٤)
كلاب تعاوت لا هدى الله سبلها فجاءت بصيد لا يحل لآكل^(٥)
بنفسى وأهلى فاطمى تقنصوا زمان عمى من أمة وتخاذل
لقد كشفت للناس ليث عن استها وغاب قبيل الحق دون القبائل

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بني مروان
وقتل في الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه
قتيلاً ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوباً ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ،
فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتل العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحن غلمان إلا الكلاب .

(التقاصر بالبيض)

وذكر محمد بن عجلان المدني^(١) عن زيد بن أسلم^(٢) ، أنه كان لا يرى بأساً بالبيض الذي يتقاصر به الفتيان ، أن يهدى إليه منه شيء أو يشتريه فيأكله .

وهشام بن حسان^(٣) قال : سئل الحسن عن البيض يلعب به الصبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم ير به بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذي يلعب به الصبيان .

وحاتم بن إسماعيل الكوفي قال : حدثنا عبد الرحمن بن حرمة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه لم يكن يرى بأساً بالبيض الذي يلعب به الصبيان .

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائني » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدني . ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أي ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفي النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت في معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العموي مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدني ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبي عروبة والهادان والسيانان . توفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحدثنى ابن جريج قال ، وأخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب يقول : اقتلوا [من]^(١)
الحيات ذا الطفتين^(٢) ، والكلب الأسود البهم ذا الغرتين^(٣) .
قال : والغرة^(٤) : حوة تكون بعينه^(٥) .

(قول صاحب الكلب في صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرني أبو حرب عن منصور القصاب ،
قال : سألت الحسن عن البيض الذي يتقامرون به ، فكرهه .
وما رأينا قط أحدا يريد الأدلاج ينتظر صقاع الديك^(٦) . وإنما
يوالى الديك بين صياحه قبيل الفجر ثم مع الفجر إلى أن ينبسط النهار ؛
وفيما بين الفجر وامتداد النهار لا يحتاج الناس إلى الاستدلال بأن يصوت
الديك^(٧) . ولها في الأسحار أيضاً بالليل الصيحة والصيحتان ، وكذلك

(١) زيادة يقتضيه الكلام .

(٢) الطفتان : خيطان أسودان في ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) في الأصل : « العزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما في النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) في الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبية السابق .

(٥) في النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الادلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أى سار من آخر الليل ، وهو

المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً .

وصقاع الديك : صياحه .

(٧) في الأصل : « إن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أَنَّ الحِمَارَ أَبْعَدُ صَوْتًا ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَنْبَهُ كُلُّ نَائِمٍ لِحَاجَةِ إِنْ كَانَتْ لَهُ (١) . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يَسْتَعْمَلُهُ (٢) ، وكذلك صاحب الأذنان ، وما رأينا يَتَّكِلُ فِي وَقْتِ أَذَانِهِ عَلَى صَبَاحِ الدَّبِيبِ ، لِأَنَّ صَوْرَةَ صَوْتِهِ وَمَقْدَارَ مَخْرَجِهِ فِي السَّحَرِ الْأَكْبَرِ كَصَبَاحِهِ قَبْلَ الْفَجْرِ . وَصَبَاحُهُ قَبْلَ الْفَجْرِ ؛ كَصَبَاحِهِ وَقَدْ نَوَّرَ الْفَجْرُ وَقَدْ أَضَاءَ النَّهَارُ . وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الصَّبِيحَتَيْنِ فَرْقٌ وَعَلَامَةٌ كَانَتْ لِعَمْرَى ذَلِكَ دَلِيلًا . وَلَكِنَّهُ مَنْ سَمِعَ هُتَافَهُ وَصُقَاعَهُ فَلَمَّا بَفَزَعَ إِلَى مَوَاضِعِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ الْكَاذِبِ وَالصَّادِقِ .

والدبب له عِدَّةُ أَصْوَاتٍ بِالنَّهَارِ لَا يَغَادِرُ مِنْهَا شَيْئًا ؛ وَلَتلك أَوْقَاتٌ لَا يَحْتَاجُ فِيهَا النَّاسُ إِلَيْهِ . وَمَلَوْ كُنَّا وَعِلْمَاؤُنَا يَسْتَعْمَلُونَ بِالنَّهَارِ الْأَسْطِرْلَابَاتِ (٣) وَبِاللَّيْلِ الْبَنَكَامَاتِ (٤) ، وَلَهُمْ بِالنَّهَارِ سِوَى الْأَسْطِرْلَابَاتِ (٥) خَطُوطٌ وَظِلٌّ يَعْرِفُونَ بِهِ مَاضِيَّ مِنَ النَّهَارِ وَمَا بَقِيَ . وَرَأَيْنَاهُمْ يَتَفَقَّدُونَ الْمَطَالِعَ وَالْمَجَارِيَّ . وَرَأَيْنَا أَصْحَابَ الْبَسَاتِينِ [و] (٦) كُلٌّ مَنْ كَانَ بِقُرْبِ الرِّيَاضِ ، يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِرِيحِ الْأَزْهَارِ . وَرَأَيْنَا الرُّومَ وَنَصَارَى الْقُرَى يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِمَحْرَكَاتِ الْخَنَازِيرِ وَبِبُكُورِهَا وَغَدْوِهَا وَأَصْوَاتِهَا ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي وَصْفِ الرَّجُلِ : لَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَأَجْدَرُ عَلَى أَنْ يَنْبَهُ » الْخ . وَالْوَجْهَ حَذْفُ « عَلَى » .

(٢) أَرَادَ بِصَاحِبِ السَّحُورِ مَنْ يَتَّكِلُ لِإِقْطَاطِ النَّاسِ لِلْسَّحُورِ .

(٣) مَرَّ الْقَوْلُ فِي الْأَسْطِرْلَابِ ص ٢٥٥ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ . وَفِي ص : « الْأَسْطِرْلَابِ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْمَنَكَابَاتِ » . وَانظُرِ الْاسْتِدْرَاكَاتِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « الْأَسْطِرْلَابَاتِ » .

(٦) زِدْتَهَا لِحَاجَةِ الْقَوْلِ إِلَيْهَا .

وَنُثْبَةُ الْأَسَدِ ، وَرَوَّغَانِ الثَّعْلَبِ ، وَانْسِلَابِ الذُّئْبِ^(١) وَجَمْعِ الذَّرَّةِ^(٢) وَبُكُورِ
الْحِنْزِيرِ . وَالرَّاعِي يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي بُكُورِ الْإِبِلِ وَفِي حَنِينِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ أَمْرِهَا .

وَلِلْحَمَامِ أَوْقَاتٌ صَبَاحٌ وَدُعَاؤُهُ مَعَ الصُّبْحِ وَقَبِيلَ ذَلِكَ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ،
وَلَسَكَنَ النَّاسُ إِتْمَانًا ذَكَرُوا ذَلِكَ فِي الذَّيْبِ وَالْحِمَارِ ، لِامْتِدَادِ أَصْوَاتِهِمَا .

(هَدِيلُ الْحَمَامِ)

وَهَدِيلُ الْحَمَامِ وَدُعَاؤُهُ لَا يَجُوزُ بَعِيداً^(٣) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْوَرَّاشِينَ^(٤)
وَالْفَوَاحِشِ فِي رُءُوسِ النَّخْلِ وَأَعَالِي الْأَشْجَارِ ، فَلَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ لِمَا يُسْمَعُ ١٠٨
مِنْ مَوْضِعٍ صَالِحِ الْبَعْدِ .

(مَا يَصْبِحُ مِنَ الطَّيْرِ مَعَ الْفَجْرِ وَالصُّبْحِ)

وَلِلْعَصَافِيرِ وَالْحَطَّاطِيْفِ وَعَامَّةِ الطَّيْرِ ، مِمَّا يَصْفِرُ أَوْ يُصْرِصِرُ^(٥) ، وَمِمَّا
يَهْدِلُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى بُعِيدِ ذَلِكَ - صَبَاحٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ الَّذِي لَا يَدْعُ الصُّبْحِ

(١) انْسِلَابِ الذُّئْبِ : انفلاته وسرعة عدوه . وفي س : « استلاب الذئب » من السلب
بمعنى النهب ، وهو الموافق لما في الجزء الأول ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « للذر » . والذرة : الواحدة من الذر ، وهن ضرب من النمل أحمر صغير .

(٣) لَا يَجُوزُ بَعِيداً : لَا يَنْتَهِي إِلَى مَدَى بَعِيدٍ .

(٤) الْوَرَّاشِينَ : جَمْعُ وَرَّاشَانَ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ . وَفِي ط : « الْوَرَّاشِينَ » وَهُوَ
عَلَى الصَّوَابِ فِي س .

(٥) فِي السَّانِ : « صِرْصِرَ الطَّائِرُ : صَوْتٌ . وَخَصَّ بِمَعْضِهِمْ بِهِ الْبَابِزِيُّ وَالصَّقْرُ » .

في الأسحار مع الصُّبْحِ أبدأ الضُّوع^(١) ، والصدى^(٢) ، والهامة ، والبومة وهذا الشُّكْلُ من الطَّير . وقد كتبنا في غير هذا الموضع الأشعارَ في ذلك^(٣) قال : وقد يصيح مع الصُّبْحِ البُوم ، والصدى^(٢) والهامة ، والضُّوع^(١) والخطاطيف ، والعصافير ، والحمر^(٤) في ذلك الوقت أكثر من الدِّيكة . قال الوليدُ بن يزيد في ذلك :

سُلَيْمِي تَيْكَ^(٥) فِي الْعَيْرِ قَتِي إِذَا شَتَّ أَوْ سِيرِي
فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصُّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العتابي^(٦) :

بِالْبَيْلَةِ لِي بِحَوَارِينَ سَاهِرَةٌ حَتَّى تَكَلَّمَ فِي الصُّبْحِ الْعَصَافِيرُ^(٧)

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليلي من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفي الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب في الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ - ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالمصفور . وفي الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تبك » والصواب في س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتابي : شاعر متوكل بليغ مطبوع مقدم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغاني ١٢ : ٢ - ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ - ٣١ . وفي ط : « كلثوم أبو عمرو العتابي » ، وهي على الصواب في س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحسن من ناحية حمص . وفي ط : « في حوران » وهي بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س . وقد استعمل الكلام في معنى الصياح . مثله قول الآخر :

فصبحت والطير لم تكلم جابية حفت بسيل مغمم

فالعصافير والخطاطيف والخمر^(١) والحمام والضوعان^(٢) وأصناف اليوم
كلها تقوم مقام الديك . وقال ثعلبة بن صعير المازني^(٣) :

أُعْمِرَ ما يُدْرِكُ أَنْ رُبَّ فِتْيَةٍ بِيضِ الوَجْهِ ذَوِي نَدَى وَمَا تُرِ^(٤)
حَسَنِي الفُكَاهَةِ لَا تَذُمَّ لِحَامَهُمْ سَبَطِي الأَكْفُ لَدَى الحُرُوبِ مَسَاعِرِ^(٥)
بَاكِرُهُمْ بِسَاءِ جَوْنٍ مُتْرَعٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ^(٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الدِّيكة الدعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ،
والصُّتاع . وهو يهتف ويصقع ويزقو ويصرخ . وقال جبران العود^(٧) :

- (١) في الأصل : « والخير » . وانظر الصفحة السابقة .
(٢) في الأصل : « الصوغان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع :
الطائر الليلي ؛ والقياس في الجمع « ضيعان » كما في اللسان والقاموس .
(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة . والأبيات الآتية من
قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :
هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر
(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية في المفضليات : « أسمى ما يدريك » والوجه
رواية الجاحظ . « وعير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .
(٥) في الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ما أثبت من المفضليات . وفي ط : « لاتذم
كما هم » وهو تحريف صوابه في س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم
وطيب القرى . وفي الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر :
جمع مسعر ، وهو الذي يوقد نار الحرب ويؤثرها . وفي المفضليات : « وفي الحروب
مساعر » فيكون في البيت إقواء .
(٦) سباء : شراء . جون مترع : يعني زقا أسود ممتلئا نخرأ . ويصح أن يكون السباء
في معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما في القاموس .
(٧) من قصيدة مطولة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ والأبيات الآتية في ص ١٧ .
وقبل هذه الأبيات مما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجدل الصم تقذف
وهن جنوح مصفيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف
حدث لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف
رفيع الملا في كل شرق ومغرب وقولك ذلك الآبد المتلطف
وفيك إذا لاقيتنا صجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويغلبك الهوى كما مالَ خوارُ النقا المتقصف^(١)
ونلغى كأننا مغنمٌ قد حويته وترغبُ عن جزلِ العطاء وتصدف^(٢)
فوعِدك الشطُّ الذي بينَ أهلينا وأهلك حتى تسمعَ الديكَ يهتفُ
وقال المزيقُ العبدىُّ :

وقدَ نَحِذتُ رجلايَ في جنبِ غرِزها

نَسيفاً كأفحوصِ القِطَاةِ المطرِّقِ^(٣)
أنيختُ بجمٍّ يصرُخُ الديكُ عندها وباتتُ بقاعِ كاديِ النبتِ سَمَلقِ^(٤)

وقال لبيد :

١٠٩

لَدُنْ أن دعا ديكُ الصِّباحِ بسُحرَةٍ إلى قدرِ وِرْدِ الحامِيسِ المتأوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذي يخرجُ من وَكره بالليلِ البومة والصَّدى والهامة
والضُّوع^(٥) والوَطواطِ والخفَّاشِ ، وغُرَابِ اللَّيْلِ ، ويصيْدُ بعضها الفأرَ^(٦)

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين السهل ، الذي يهاث من لينه ونعمته . وفي الأصل :
« جوان الفقى المتقصف » وهو تحريف أصلته من الديوان .

(٢) في الديوان : « ونلغى » ، قال المسكوى : « من اللقاء » . وفيه « وتصدف »
موبع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرِز : ركاب الرحل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير
إذا انحص عنه الوبر . والقِطَاة المطرق : التي حان خروج بيضها .
والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجلو : المنخفض من الأرض . وكذا النبات : أصابه البرد فلبده في الأرض ،
أو أصابه المطش فأبطأ نبتة . وفي الأصل : « كاري اللبت » ، والوجه مأثبت .
والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) في الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامٌ أبرصٌ والقبطا وصيغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوضَ والفَرَاشَ
وما أشبه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ في بيته ، ويُخرجه منه
ويأكلُ فِرَاحه وبَيْضَه . وهذه الأسماء مشتركة .

(ما قيل من الشعر في الهامة والصدى)

وقال خزيمة بن أسلم :

فلا تزقون لي هامةً فوق مرّقبٍ فإن زقاة الهامِ أحبُّ نحائبٍ^(١)

وقال عبد الله بن خازم^(٢) أو غيره^(٣) :

فإن تك هامةً بهرارة تزقيرٍ فقد أزقيت بالمروين هاما^(٤)

وقال توبة بن الحمير^(٥) :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلّمتُ على ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزقا إليها صدَى من جانبِ القبرِ صائحُ

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له في بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبني أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . في الأصل : « عبد الله بن خازم » ، مصحف . والبيت يقوله في ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردي بهرارة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما في الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليل الأخيلىة . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمرات كثيرة جيدة . انظر لها الأغاني (١٠ : ٧١ - ٧٤) وحامسة البحرى (٤٢٣ - ٤٢٦) .

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ طَامِسَةٍ أَغْلَامُهُ يَعْوِي بِهِ الذَّنْبُ وَيَزُقُّوهُ هَامُهُ

وَأَنْشَدَنِي فِي الصَّدَى (١) :

تَجَشَّمْتُ مِنْ جَرَّالِكِ وَالْبُومِ وَالصَّدَى

له صائح أن كنتِ أُسْرَيْتِ مِنْ أَجَلِي

وقال سويد بن أبي كاهل (٢) في الضُّوع (٣) :

لَنْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهَوَ يَزُقُّومِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعَ

قال : في قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٤)

﴿ وَنَفَخَ فِي الزَّقِيَّةِ ﴾ يريد الصُّور .

وصوتُ الدجاجةِ القوقاةُ ، تقول هي تقوقُ .

(شعر في الدجاج)

وقال أعرابيٌّ :

أَلَيْسَ بَرَى عَيْنِي جُبَيْرَةُ زَوْجُهَا وَمَحْجَرَهَا ، قَامَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ

تَجَبَّهَا لَا أَكْثَرَ اللَّهُ خَيْرُهُ رُمِيصَاءَ قَدْ شَابَتْ عَلَيْهَا الْمَسَائِحُ (٦)

لَهَا أَنْفٌ خِزْرٍ وَسَاقًا دَجَاجَةٍ وَرُؤْيَتَهَا تَرَحُّحٌ مِنَ الْعَيْشِ تَارِحٌ

(١) في الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نبت علي قريباً . ويبدو أن هنا سقطا به . « أنشدني » .

(٢) سويد بن أبي كاهل اليشكري شاعر مخضرم ، ترجمته في ابن سلام والأغانى ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ . قصيدته هذه في المفضليات ١٩١ .

(٣) « الصوع » وهو تصحيف نبت عليه . والبيت الآتي من قصيدة مفضلية (٤) في المفضليات : « لم يضرني » .

(٥) أي صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تجبها : اختارها واصطفاها . وفي الأصل : « تجنبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التي رمصت عيناها ، أي ظهر بهما للفتى . والمسائح : جمع مسيحة وهي الضفيرة ، أو شعر جانبي الرأس .

وقال العَجَبِرُ السُّلُولِيُّ :

لَانُومَ إِلَّا غِرَارُ الْعَيْنِ سَاهِرَةٌ حَتَّى أُصِيبَ بَغِيظَ آلِ مَطْلُوبٍ (١)
إِنْ تَهْجُرُونِي فَقَدْ بَدَلْتُ أَيْكَتِكُمْ ذَرْقَ الدَّجَاجِ بِحَفَازِ الْيَعَاقِبِ (٢)
وقال أبو الأسود الدُّئِيلِيُّ :

أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَ دَجَاجَةٍ أَنَّنِي أَغْشُ إِذَا مَا النَّصْحُ لَمْ يُتَقَبَّلِ (٣)

(شعر في هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسرورى فى الدَّجَاجِ ونذكرُ كلَّ من هجأها
وهجأ من اتخذها وأشبهها فى وجه من الوجوه ، قال الراجز :

أَقْبَلْنَ مِنْ زَيْرٍ وَمِنْ سُوَاجٍ (٤) بِالْحَىِّ قَدْ مَلَّ مِنَ الْإِذْلَاجِ (٥)
فَهْمٌ رَجَاجٌ وَعَلَى رَجَاجٍ (٦) يَمْشُونَ أَفْوَاجاً إِلَى أَفْوَاجٍ

(١) مطلوب : ماء كان لثمم ، جنوبى مكة ، وكان المجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . يا قوت (مطلوب ، ومعمل) والأغاني (١١ : ١٤٦) .

(٢) يا قوت : الأيكة : جماعة الأراك ، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفى الأصل « ذرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغاني . واليعاقب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) فى ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

ألم تعلم يا ابني أمامة أننى أغش إذا ما النصح لم يتقبل

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفى الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجع ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيها الرجز . وفى الديميرى (فروج) : « من بر » محرفة

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرججاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفى ط : « فهم دجاج على دجاج » وس : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجع) . قال : أى ضعفوا من السير وضمفت رواحلهم .

• مَشَى الفَرَارِيحَ إِلَى الدَّجَاجِ (١) .

وقال عبد الله بن الحجاج (٢) :

فإن يُعْرِضُ أبو العباسِ عَنِّي ويركبُ بي عَرُوضاً عن عَرُوضِ (٣)
ويَجْعَلُ ودَّهُ يوماً لغيري ويُبَغِضُنِي فإني من بَغِيضِ (٤)
فَنَصْرُ اللهِ يَأْسُو كلَّ جُرْحِ ويَجْبُرُ كسْرَ ذِي العَظْمِ المَهِيسِ (٥)
فِدَى لكَ مَنْ إذا ما جِئْتُ يوماً تَلْقَانِي بِجامعَةِ رَبُوضِ (٦)
لدى جَنبِ الحِوانِ وذاك فُحْشٌ ويُنْسِتُ خُبْرَةَ الشَّيْخِ المَريضِ (٧)
كأني إذ فَرِعتُ إلى أَحِيحِ فَرِعتُ إلى مُقَوِّبَةِ بَيُوضِ (٨)

(١) « إلى » هنا بمعنى « مع » ، وبالأخيرة جاءت الرواية في اللسان والدميري .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فاتك شجاع ، من معدودي فرسان مضر ، فذكان من خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ، ثم هرب فلاحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى أمته ، وهو القائل :

رأيت بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطرود كفة حابل
تؤدي إليه أن كل ثنية تيممها ترمي إليه بقاتل

الأغاني ١١ : ٢٤ - ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعني به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه في الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر في الأغاني ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيب : المسكور بهد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفي ط : « ريوص » و س : « ويوض » محرفتان . وهما على الصواب التي أثبت في الأغاني .

(٧) في الأغاني : « دست بخفة الشيخ المريض » ، صوابه هذه « وينت تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه مأثبت من ط والأغاني . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغاني . وعنى بالمقوقية الإوزة .

لِأَوْزَةٍ غَيْضَةٍ لَقِحَتْ كَشَافًا لِفَقْحَتِهَا إِذَا بَرَكَتْ نَقِيضٌ^(١)

وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابناً لها منه :

وَهَبْتُهُ مِنْ سَلْفَعٍ أَفُوكَ^(٢) وَمِنْ هِبَلٍ قَدْ عَسَا حَنِيكَ^(٣)

• أَشْهَبَ ذِي رَأْسٍ كِرَاسِ الدَّيْكِ •

تريد بقولها « أشهب » أنه شيخ وشعر جسده أبيض وأن لحيته حمراء .

وقد قال الشاعر ، وهو الأعشى :

وَبَنِي الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ بِالْحِي رَهَ يَمْشُونَ غَدَوَةً كَالسُّيُوفِ ١١١

ولمّا أزداد الأعشى أن يعظم ويفخم^(٤) أمرهم وشأنهم ، بأن يجعلهم

شيوخا . وأمّا قولها : « ذى رأس كراس الديك » فإنما تعنى أنه مخضوب

الرأس واللحية .

وقال الآخر^(٥) :

حَلَّتْ خَوِيلَةٌ فِي حَيٍّ مَجَاوِرَةً أَهْلَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدَّيْكُ وَالْفَيْلُ

يَقَارِعُونَ رُمُوسَ الْعُجْمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ لَا عُزْلٌ وَلَا مَيْلٌ^(٦)

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت . ورواية أبي الفرج : « لفقحها إذا درجت » . والفقح : بضم القافين : النظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجريء الجسور . وهو في الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقل المن الكبر . ووزن الأصل : « هبل » ، وصوابه في اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفخم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (في المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيذ الدار مشغول

(٦) للعزل : جمع أهزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ، أو الجبان .

قال ابن أحر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنُقَاءَ مُشْرِفَةٍ لَا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ^(١)
إِلَّا كَمَثَلِكِ فِينَا غَيْرِ أَنْ لَنَا شَوْقًا وَذَلِكَ مِمَّا كَلَّفَتْ جَلَلُ
هَيْهَاتَ حَتَّى غَدَاؤًا مِنْ كَبْجَرٍ مَنَزِلُهُمْ
حَتَّى بَنْجِرَانَ صَاحِ الدِّيكَ فَاحْتَمَلُوا^(٢)

وقال :

أَبْعَدَ حُلُولٍ بِالرِّكَاءِ وَجَامِلٍ غَدَاً سَارِحاً مِنْ حَوْلِنَا وَتَنَشَّرَا^(٣)
تَبَدَّلَتْ إِصْطَبِلًا وَتَلًّا وَجَرَّةً وَدِيكًا إِذَا مَا آنَسَ الْفَجْرَ فَرَفْرَا^(٤)
وَبَسْتَانَ ذِي ثَوْرَيْنِ لَالَيْنَ عِنْدَهُ إِذَا مَا طَغَى نَاطُورُهُ وَتَغَشَّمَرَا^(٥)

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرِيْضِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بِرِجْلِهَا وَخِنْزِيرٌ^(٦)

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والمنفلة : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفي ط أيضاً :
« من بحر » وفي س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالكاء ، وهو ماء قرب
نجران ، كما في معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذوات الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدأ
منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفي الأصل : « وألف ديك » ، وهو من
عجيب التحريف .

وقال الحكم بن عبدل :

مَرَرْتُ عَلَى بَغْلٍ تَزُفُكَ تِسْعَةٌ (١)
كَأَنَّكَ دِيكٌ مَائِلُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ
تَحَبَّرَتْ أَثْوَابًا لِزَيْنَةٍ مَنظَرٍ
وَأَنْتَ إِلَى وَجهِ يَزِينُكَ أَفْقَرُ
وقال النَّمير بن تَوَلب :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرِ وَعِيٍّ
وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمْنِي
وَأَنْتَ وَلِيَّتُهَا وَبَرَّتْ مِنْهَا
وَأَنْتَ وَهَبْتَهَا كَوْمًا جِلَادًا
وَتَأْمُرُنِي رَبِيعَةً كُلَّ يَوْمٍ
لَأَشْرِيهَا وَأَقْتِنِي الدَّجَاجَا (٥)
وَمَا تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيْفَ عَنِّي
وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نَضَاجَا (٦) ١١٢
أَهْلِكُهَا وَقَدْ لَاقَيْتُ فِيهَا
مِرَارَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا (٧)

(١) ط : « تزفك نعمة » ، وأثبت ماني س وكتاب البقاله للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغل تزفك تسعة كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما في اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوما ، وهي المناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشريها : لأبيمها . وهي في الأصل : « لأشربها » ، مصحفة . وفي الخزانة

٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها » ، بفتح لام التمليل ، لغة لبني العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولاينفمي إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجا » .

وتَذَهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهَيْبِي عَلَى الْأَعْدَاءِ تَخْتَلِجُ اخْتِلَاجًا (١)
بِحُومِ الشَّدِّ شَائِلَةٌ الذُّنَابِي تَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجًا (٢)
وَشَدَى فِي الْكَرْيَةِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا الْأَصْوَاتُ خَالَطَتِ الْعَجَاجَا (٣)
وقال عبد الرحمن بن الحكم (٤) :

وَلِلْأَنْصَارِ آكَلُ فِي قُرَاهَا نُحْبِثُ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ (٥)
وقال الآخر (٦) لصاحبه :

أَذَيْتَنَا بِدِيكَ السَّلَاحِ فَنَجِّنَا مِنْ مُنْتَنِ الْأَرْوَاحِ
وقالوا : « هو أسلح من حُبَارَى » ساعة الخوف ، ومن « دَجَاجَةٌ » ،
ساعة الأمن .

وقال عقيل بن علفة :

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلًا كَانَ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عِلْكَدِ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ (٧)
تَبِيْتُ عَلَى رَمَضٍ كَانَ عُيُونَهُمْ فَبِحَاحِ الدَّجَاجِ فِي الْوَدِيِّ الْمَعْصَبِ (٨)

(١) صهبي : فرس النمر بن تولب ، كما في صحاح الجوهري ولسان العرب والاقطصاب
٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهي في ط : « صهبي »
محرقة ، وعلى الصواب في س . وفي (صهبي) يقول النمر أيضاً :

لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة إلهابها كضرام النار في الشيخ
(٢) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٨٩ ، « ويمتحب في الخيل أن ترفع أذناها في
العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ما أثبت .

(٤) انظر ترجمته في الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) في الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر في ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحبها القاموس واللسان . وفي س : « علكيد » .
والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شاذ ، مثله عشان وعوائن . والتنضب :
شجر ضخم ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض في مثل لون الغبار ، ولذلك
شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدي :

كَانَ الْغُبَارُ الَّذِي غَادَرَتْ ضَحِيًّا دَوَاخِنَ مِنْ تَنْضُبِ

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٢٨ .

(٨) عنى بالرمض القلق . ط : « ربض » . والودي المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حدّث الأصمعيُّ قال : أخبرني العلاء بن أسلم قال : أردت الخروج إلى مكة المعظمة ، شرّفها الله تعالى ، فجاءني هشامُ ابنُ عقبة - وهو أخو ذى الرّمة - فقال لي : يا ابن أخي ، إنك تريد سفراً يحضُر الشيطانُ فيه حُضوراً لا يحضره في غيره ، فاتقِ الله وصلِّ الصلواتِ لوقتها فإنك مصليها لا محالة ، فصلِّها وهي تنفعك ، واعلم أن لكلِّ رُفقةٍ كلباً ينبحُ عليهم ، فإن كان نهبٌ شرّكوه فيه ، وإن كان عارٌ تقلّده دونهم فلا تكنُ كلبَ الرُفقةِ (١) !!

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب (٢) .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يا نصرَ نصرَ بنى قُعينِ إثمًا أنتم إماءٌ يتبعنَ الأشترًا (٣)

(١) مثل هذا الخبر في ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميداني المثل إلى لقمان الحكيم

انظر الأمل ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لابن كعب . ترجم له ابن حجر في الإصابة ٨٥٦ ، وهو كما في القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) في الأصل : « نصر أبي قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد .

وفي اللسان : « وسئل بمض العلماء أى العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتَّبِعَنَّ فَضْلَةَ أَبْرَحَ كَلْبٍ مُنْعِظٍ عَضَّ الكلابُ بعَجْبِهِ فاستثفراً^(١)
قال : فإمّا قَدِمَ زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال « أبرحَ
فتى إن لم تُدرِكْهُ أمُّ كَلْبَةٍ^(٢) ، يعنى الحُمى .

(الكلاب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير في البعيث :

إذا أنت لآقيت البعيثَ وجدته أشحَّ على الزَّادِ الحبيثِ من الكلبِ

وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن معد يكرب :

وقد كنتُ إذا ما الحىُّ يوماً كرهُوا صلحى
ألفُ الخيلِ بالخيلِ وأكفى النَّبَحِ بالنَّبَحِ

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلب قولُ الرَّجلِ منهم ، إن أوْطَنَ
نفسَهُ على شيءٍ : قد ضَرَبْتَ جَرَوْتِي ، وضَرَبْتَ عليه^(٣) . وقال أبو النَّجْمِ :

(١) استثفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فتى : أى ما أعجبه فتى . و « فتى » تمييز . مثله قول الأعشى
الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتى حين جد الرحي ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وأنظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وقد طبع) والجزء الأول من الحيوان
٣١٧ والأغانى ١٦ : ٤٧ - ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد نصح زيد منصرفه من عند
الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كافى اللسان (جرا) وكافى أمثال الميداني ١ : ٢٨٣ .

و « ضربت عليه » يريد : « ضربت عليه جروتي » . وفى الأصل :
« ضربت جروه وضريت عليه » وهو تحريف . قال ابن برى : وأنشد
أبو عمرو :

حتى إذا ما ابيضَّ جرو التتفل^(١) وبُدلتِ والدَّهْرُ ذو تَبَدُّلِ
وقال^(٢) :

من الحنظلِ العَامِيَّ جرو مفلتُ

وقال عتبة الأعمور^(٣) :

ذهبَ الذينَ أحبُّهمَ وبقيتَ فيمنَ لا أحبهُ
إذ لا يزالَ كريمٌ قو مِ فيهمُ كلبٌ يسبُّه

(احتقار العرب للصييد)

[قال صاحب الديك^(٤)] :

فخرتم علينا بصيْد الكلبِ ، وهَجَوتُم^(٥) اديك إذ كان ممَّا لا يصيد
ولا يُصاد به ، وقد وجدنا العربَ يستدلُّون الصيِّدَ ويحقرُّون الصيِّادَ ، فن
ذلك قولُ عمرو بن معد يكربَ :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروق وعلقت أخرى لانتخون المواصلا
أى اطمانت نفسى . ويقال أيضاً - كما فى اللسان - : ضرب جروة نفسه .
قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى
ويقال أيضاً : ألقى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .
(١) التتفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر
ما يجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرؤ : الثمر ،
واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعمور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك ، ٢٣٢ مصر ، قال :
« عتبة الأعمور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة
ابن أبى عاصم الحمصى الأعمور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه
أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتهم » وتصحيحه من س .

ابني زيادِ أنتم في قومِكُم ذنَبٌ ونحنُ فروعُ أصلِ طيِّبِ
نصِلُ الحميسِ إلى الحميسِ وأنتمُ بالقهرِ بينِ مربقٍ ومكَلَّبِ (١)
لا يحسبنُ بنو طليحةَ حربنَا سوقَ الحميرِ بجانةِ فالكوكبِ (٢)
حيدٌ عن المعروفِ سعى أبهمُ طلبُ الوعولِ بوفضةٍ وبأكلبِ (٣)
حتى يكهنَ بعدَ شيبِ شاملِ ترحاً له من كاهنِ متكذبِ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فيشتفى بدمائهم وكانوا قديماً من مناياهم القتلُ (٤)
فهذا البيت نفسه ليس يدلُّ على قولهم أن كلَّ من كان به جنونٌ
أو كلبٌ ثمَّ حساً من دمِ ملكٍ أو سيّدٍ كريمٍ أفاقَ وبرئ .

(فرار الكلبِ الكلبِ من الماء)

وقد ضربوا لصاحب الكلبِ أمثالاً في شدة طلبه الماء ، وفي شدة
فِراره منه إذا عاينه .

(١) الحميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربق : أراد به الصائد بالريقة ،

وهي العروة في الحبل . والمكَلَّب : الصائد بالكلاب .

(٢) لعل في البيت تحريفاً .

(٣) الوفضة : جعبة السهام إذا كانت من آدم .

(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماء المطلوبُ إذا عاينته من غير أن يمسه ، وهو الطالب

له ولم يحرص عليه إلا من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح (١) ؟ !

قالوا : وقد يعترى الناظر إلى الماء ، والذي يديم التحديق إليه وهو

يمشى على قنطرةٍ أو جُرْفٍ أو جسرٍ الدُّوَارُ ؛ فإنه ربّما رمى بنفسه من ١٤
تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنّما يكون على
قدر ما يصادف ذلك من المرّار (٢) ، ومن الطّباع .

فمّن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمد بن مسعود ، فكاد يموت حتى

استُخْرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل الثّمّار ، وجماعةٌ قد عُرفت حالهم .

(ما يعترى المختنق والمرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأسن (٣) من البخار المختنق فى البئر إذا

صار فيها ؛ فإنه [ربّما] (٤) استنقى واستخرج وقد تغيّر عقله . وأصحاب

الركايا (٥) ؛ أن دواءه أن يلقوا عليه دثاراً ثقيلاً ، وأن يزمل تزميلاً (٦)

وإن كان فى عموز وآب (٧) ، ثم يحرص وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنه

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى للعرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب

وبخلة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك .

وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواءً فاسداً فغشى عليه .

(٤) التكملة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيها يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إن لم يُحَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا طَرَحَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ الْبُئْرِ ، أُنَاهَا سَعِيًّا فِي أَوَّلِ مَا يَفْتَحُ عَيْنَهُ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ الْبَسِيرُ مِنْ عَقْلِهِ ، حَتَّى يُكْفِيَ^(١) نَفْسَهُ فِيهَا مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ لَقِيَ مِنْهُ مَالِقِي ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْلُومًا أَنَّ الْقَوْمَ لَوْ تَرَكَوهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَهَلَكَ . هَكَذَا كَانَ عِنْدَهُ أَيَّامَ صِحَّةِ عَقْلِهِ ، فَلَمَّا فَسَدَ أَرَاهُ الْفَسَادُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْعُودِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

وَمَا يَعْتَرِي الْمَمْرُورَ^(٢) حَتَّى يَرْجُمَ النَّاسُ ؛ فَإِنَّ الْمِرَّةَ تَصَوَّرُ لَهُ أَنَّ الَّذِي رَجَمَهُ قَدْ كَانَ يَرِيدُ رَجْمَهُ ، فَيَرَى أَنَّ الصَّوَابَ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالرَّجْمِ وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ تُرِيهِ الْمِرَّةُ أَنَّ طَرْحَهُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ أَجُودُ وَأَحْزَمُ .

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْبَحُ نَفْسَهُ أَوْ يَخْتَنِقُ أَوْ يَتَرَدَّى فِي بُئْرٍ ، أَوْ يَرْمِي نَفْسَهُ مِنْ حَالِقٍ ، إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْمِثْلَةِ أَوْ التَّعْذِيبِ أَوْ التَّعْبِيرِ^(٣) وَتَقْرِيعِ الشَّامِتِينَ ، أَوْ لِأَنَّ بِهِ وَجَعًا شَدِيدًا فَيَحْرُكُ عَلَيْهِ الْمِرَّةُ فَيَحْمِي لِدَلِكِ بَدَنُهُ وَيَسْخَنُ جَوْفُهُ ، فَيَطِيرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَى دِمَاغِهِ أَوْ قَلْبِهِ ، فَيُوهِمُهُ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الرَّاحَةُ ، وَأَنَّ الْحَزْمَ مَعَ الرَّاحَةِ .

وَلَا يَخْتَارُ الْخَنْقَ الْوَادِعُ الرَّابِعَ^(٤) الرَّافَهُ ، السَّلِيمُ الْعَقْلِ وَالطَّبَّاعِ . وَلِلغَبْظِ رَبِّمَا رَمَى بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْمَهَالِكِ ، وَقَذَفَ بِهَا^(٥) فِي هَذِهِ الْمَهَاوِي . وَقَدْ يَعْتَرِي الَّذِي يَصْعَدُ عَلَى مِثْلِ سَنَسِيرَةٍ أَوْ عَقْرَقُوفٍ^(٦) أَوْ خَضْرَاءِ

(١) مخفف « يكنى » بمعنى يقرب .

(٢) الممرور : من غلبت عليه المرة ففسد عقله .

(٣) ط : « التعبير » ووجهه ما أثبت من س .

(٤) كذا .

(٥) في الأصل : « به » والضمير للنفس .

(٦) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، إلى جانبها قل عظيم يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة . وفي الأصل : « عقروب » .

زوج^(١) ، فإنه يعتريه أن يرمى^(٢) بنفسه من تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يصعد إليه بعضُ المعادين المحرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتى يشدَّ عينيه^(٣) ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌ فيمن^(٤) كانت طبيعته تثور عند مثل هذه العلة . وما أكثر من لا يعتريه ذلك .

وقد قال الناسُ في عذر هؤلاء ولأنَّ فيهم^(٥) ضروراً من الأقاويل .
ولأنَّما تكلمنا على المغلوب . فأما من كانت هذه العوارضُ لا تُفسدُ ١١٥
عقله ، ولا تنقُضُ^(٦) استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ في أنه ملوم . على أن إلزامه اللائمة لا يكون إلا من بعدِ خصومةٍ طويلة ، لا يصلح ذكرها في هذا الباب .

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب^(٧) : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ، ومن بغائها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البرائن الضعيفة والأظفار

(١) لم يذكره ياقوت

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفي س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفي س : « ولأن منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فهم ضرور من الأقاويل » .

(٦) في الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلفظة الجاحظ .

(٧) سيحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخذع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتي ص ٣١٩ . وليس الحديث في الغراب مقصوداً لذاته .

الكليلة ، وليس من ذوات المخالب المعقفة والأظفار الجارحة^(١) ، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسر^(٢) . وهو مع أنه^(٣) قوى النظر^(٤) . لا يتعاطى الصيد . وربما راوغ العصفور ، ولا يصيد الجرادة إلا أن يلقاها في سد من الجراد^(٥) . وهو فسل إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزلاً ، ويتقمم كما يتقمم بهائم الطير وضعافها ، وليس بهيمة لمكان أكله الجيف ، وليس بسبع لعجزه عن الصيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون^(٦) حالك السواد شديد الاحتراق ، ويكون مثله من الناس الزنج فإنهم شرار الناس ، وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كمن بردت بلاده فلم تطبخه^(٧) الأرحام ، أو سخنت فأحرقت الأرحام . وإنما صارت عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول ، وجمالهم فوق الجمال^(٨) لعل الاعتدال .

-
- (١) ط : « الكلية » وتصحيحه من س . وفي س ، ط : « القصار » موضع « الأظفار » ولا وجه له . وأثبت ما تقتضيه المقابلة .
(٢) المناسر : جمع منسر ، كبير ، وهو المنقار لسباع الطير .
(٢) في الأصل : « ذلك » ، وكذلك في نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل النويري عبارة الجاحظ .
(٤) في الأصل : « البطن » ، وفي النهاية : « البدن » . وأثبت ما في هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .
(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .
(٦) س : « ذلك أن يكون » وفي النهاية : « ذلك إما أن يكون » والأول تحريف ، والثاني تصرف من النويري حيث أوجز النقل بإيجازاً .
(٧) الدميري حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .
(٨) الدميري : « وكالم فوق السكال » .

والغراب إمّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ،
وإمّا أن يكونَ أبقعَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائه دليلاً على فسادِ
أمره . والبُقْعُ الأُمُّ من السُّودِ وأضعَفُ .

(أنواع الغربان)

ومن الغُربانِ غُرابُ الليل ، وهو الذي ترك أخلاقَ الغُربانِ وتشبَّهَ
بأخلاقِ البوم .

ومنها غُرابُ البينِ . وغرابُ البينِ نوعان : أحدهما غُربانِ صِغارٌ معروفةٌ
بالضعفِ واللُّؤمِ ، والآخِرُ : [كُلُّ غُرابٍ يُدَشَّاءُ به ^(١)] . و [إمّا لزمه هذا
الاسمُ لأنَّ الغرابَ إذا بانَ أهلُ الدَّارِ للنَّجعة ، وقَعَ في مرائب ^(٢) بيوتهم
يلتمس ^(٣) ويتقمَّم ، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذ كان لا يعترى
منازلهم إلا إذا بانوا ، فسَمَّوه غرابِ البين . ثمَّ كرهوا إطلاقَ ذلك الاسمِ
له مخافةَ الزَّجرِ والطَّيرة ^(٤) ، وعلموا أنَّه نافذُ البصرِ صافيُ العينِ - حتَّى قالوا
« أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الغرابِ » ، كما قالوا : « أَصْنَمَى مِنْ ^(٥) عَيْنِ الدَّيِّكِ » -

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبي كلام الجاحظ .

(٢) في النهاية : « مواضع » ، وكذلك في الديميري وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتلمس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفي النهاية : « يتلمس » ،

وكذلك في أمشال الميداني (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه

لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كمنبة : التشاؤم .

(٥) في الأصل : « عن » .

فسموه الأعور [كنايةً ^(١)] ، كما كنوا طيرة عن الأعمى فكنوه أبا بصير ^(٢) .
وبها اكتنى الأعشى بعد أن عمى . ولذلك سموا الملدوغ ^(٣) والمنهوش سليما ،
وقالوا للمهالك ^(٤) من الفيافي : المفاوز . وهذا كثير .
والغدقان ^(٥) جنس من الغربان ، وهي لثام جداً .

(التشاؤم بالغراب)

[و] من أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة ،
والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس في الأرض بَارحٌ وَلَا نَطِيحٌ ^(٦) ، وَلَا قَعِيدٌ ، وَلَا أَعْضِبٌ ^(٧)
وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَنْشَاءُمُونَ بِهِ إِلَّا وَالْغُرَابُ عِنْدَهُمْ أَنْكَدُ مِنْهُ ، يَرُونَ أَنَّ
صِيَابِحَهُ ^(٨) أَكْثَرَ أَخْبَارًا ، وَأَنَّ الزَّجْرَ فِيهِ أَعْمٌ . وَقَالَ عَنْتَرَةُ :
حَرَقَ الْجَنَاحَ كَأَنَّ لِحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانَ ، بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ ^(٩)

-
- (١) الزيادة من أمثال الميداني .
 - (٢) في الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت في تصحيحه على ما في أمثال الميداني (١ : ٣٥) .
 - (٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميداني .
 - (٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .
 - (٥) الغدقان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .
 - (٦) البارح : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح : ما يأتي إليك من أمامك من الطير والوحش .
 - (٧) القعيسد : ما أتى إليك من ورائك من ظبوي ، أو طائر . والأعضب : المكسور القرن .
 - (٨) في الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذي أثبتته في أمثال الميداني .
 - (٩) في الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعابير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعايرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنه يأكل اللحوم ، ولأنه سبع ، لكانت^(١) الضَّوَارِي والجوارحُ أحقَّ بذلك عندهم . وقد قال وَعَلَّةُ الجَرْمِي^(٢) :

فما بِالْعَارِ مَاعَيْرٌ تُمُونَا شِوَاءَ النَّاهِضَاتِ مَعَ الْحَبِيصِ^(٣)
فَمَا لَحْمُ الْغُرَابِ لَنَا بَزَادٍ وَلَا سَرَطَانُ أَنْهَارِ الْبَرِيصِ^(٤)

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغربانُ جنسٌ من الأجناس التي أمر بقتلها في الحِلِّ والحرم ، وسميت بالفسق وهي فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .
وقالوا : رأى [فلان]^(٥) فيما يرى النَّائمُ أنه يُسْقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيَّب : يتزوج أفسقُ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلاَّ أيَّاماً حتى كان ذلك .

-
- (١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .
(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمي . ذكره صاحب المؤلف ص ١٩٧ . وفي العرب وعلة بن عبدالله الجرمي ، أحد فرسان قضاة ، وله خبر في يوم الكلاب الثاني . الأغاني (١٥ : ٧١) .
(٣) الناهضات : أرادها الفراخ الناهضات ، وهي التي رقرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . في ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والحبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادي (في كتاب الطبخ ٧٣ - ٧٤) ست صنعات . وفي الأصل : « المبيض » ، وصوابه في النهاية .
(٤) البريص . : نهر دمشق . وفي الأصل : « البريص » محرفة ، صوابها في النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .
(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا في المثل : « لا يرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل
البصرة يقولون : « حتَّى يرجعَ نَشِيطٌ من مَرَوْ (١) » ، وأهل الكوفة يقولون :
« حتَّى يرجعَ مَصْقَلَةٌ (٢) من سِجِسْتان » . فهو مثلٌ في كل موضعٍ
من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعيُّ عن خلفِ الأحمر ، أنه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر
صورة أقبجَ ولا أسمحَ ولا أبفضَ ولا أقدرَ ولا أننَ منه . وزعم أن فراخ
الغريبان أننٌ من الهدهد - على أن الهدهدَ مثلٌ في الثنن - فذكر عِظَمَ
رأسٍ وصِغَرَ بدن ، وطولَ منقارٍ وقصيرَ جناح ، و [أنه (٣)] أمرطُ أسود ،
وساقط النفس ، ومُننَ الرِّيح .

(١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل
إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تمم ، قال : حتَّى يرجع نشيط من مرو ! . وكان
زياد لا يرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .

(٢) في الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه في ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبي
كلام الجاحظ ، وكذا في المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) .
وفي المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هبيرة كان معاوية
وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم
العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلاً . انظر المثل في
المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .

(٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعم أن رؤية فرخ العقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير .
ولست أحسن أن أفضى بينهما^(١) .

والغربان عندنا بالبصرة أوابدٌ غير قواطع ، وهي تفرخ عندنا في رءوس
النخل الشامحة ، والأشجار العالية .

(أمطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كَلَّهُ ، قد خدع الديك وتلعب به ، ورهنته
عند الحمّار^(٢) وتخلص من الغرم ، وأغلقه^(٣) عند الحمّار ، فصار له الغنم وعلى
الديكِ الغرم ، ثم تركه تركاً ضرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالديك^(٤) هو المغبون والمخدوع
والمسخور به ، ثمّ كان المتلعب به أنذل الطير وألأمه .

وإن كان هذا القول منهم يجرى مجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أن علباً^{١١٧}
الديك في قلوبهم^(٥) دون محلّ الغراب - على لؤم الغراب ونذالته وموقه وقلة
معرفة - لما وضعوه في هذا الموضع .

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، تم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يعلق الرهن : إذا لم يستطع فكما كه .

(٤) في الأصل : « والديك » .

(٥) كذا في ط . وفي س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل

الديك في قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبي الصلت)

فإن أردتم معرفة ذلك فأنظروا في أشعارهم المعروفة، وأخبارهم الصحيحة ثم ابدعوا بقول أمية بن أبي الصلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهي ثقيف ، وثقيفٌ من دُهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان همَّ بادِّعاد النبوة ، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً إذا اجتمعت له . نعم وحتى ترشح^(١) لذلك بطلب الروايات ، ودرس الكُتب . وقد بآن^(٢) عند العرب علامةً ، ومعروفاً بالجولان في البلاد ، راوية^(٣) .

(حديث العرب في الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفي كثيرٍ من الروايات من^(٤) أحاديث العرب ، أنَّ الديك كان نديماً للغراب ، وأنَّهما شربا الخمر عند خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ لياثيه بالثمن حين شرب ، ورهن الديك ، فخاس به^(٥) ، فبقي محبوساً .

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .

(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفي س : « كان »

(٣) في الأصل : « رواية » .

(٤) في الأصل : « مع » .

(٥) خاس به : غدر به .

وَأَنَّ نوحاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَنَى فِي اللُّجَّةِ أَيَّامًا بَعَثَ الْغُرَابَ ،
فَوَقَعَ عَلَى جِيْفَةٍ وَلَمْ يَرْجِعْ ، ثُمَّ بَعَثَ الْحَمَامَةَ لِتَنْظُرَ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا
يَكُونُ لِلسَّفِينَةِ مَرْفَأً ، وَاسْتَجَعَلَتْ عَلَى نُوحٍ الطُّوقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا (١) ، فَرَشَاهَا
بِذَلِكَ - أَي فَجَعَلَ ذَلِكَ جُعْلًا لَهَا .

وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ يَقُولُ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .

بِأَيَّةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدَّيْكِ الْغُرَابُ

يَقُولُ : حِينَ تَرَكَهُ فِي أَيَّامِهِمْ وَذَهَبَ وَتَرَكَهُ .

وَالْعَامَّةُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ وَتَقُولُ : « مَا هُوَ إِلَّا غُرَابُ نُوحٍ » .

ثُمَّ قَالَ :

وَأَرْسَلْتِ الْحَمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لِاتِّهَابِ

تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتَهُ مِنَ الْمَاءِ الْعُيَابُ (٢)

فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفِ عَلَيْهِ النَّاطِ وَالطِّينِ الْكِبَابُ (٣)

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ (٤)

(١) استجعل : طلب الجمالة - كسحابة - وهى الرشوة . والرشوة : العطاء
في مقابل نفع .

(٢) كذا . وفي نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعائنه من الماء العباب »
ولعل صوابها ما في الديوان ١٨ : « وعائنه بها الماء العباب » أى أن الماء
العباب غايته وانهائه إلى الأرض . والعين هنا : الناحية . جاء في
اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والناط : الطين الأسود المنتن . وفي ط : « عليها
الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما في اللسان والديوان ١٨ . وفي أصل
نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب : بالضم : الطين اللازب .

(٤) للسخاب ، بالكسر : القلادة . وفي ثمار القلوب ٣٦٨ : « فلما
فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورثه بنيتها وإن تُقتل فليس لها استلاب^(١)
كذبي الأفعى يربّيها لديه وذى الجنى أرسله يتاب^(٢)
• فلا ربُّ المنية يأمنها ولا الجنى أصبح يُستتابُ

الجنى : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحية التى كلم إبليس آدمَ
١١٨ من جوفها . ومن لا علمَ عنده يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوفَ الحمار
مرة ؛ وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة تمنع الحمار بعسره ونكده ، وكان
إبليس قد أخذ بذنبه . وقال آخرون : بل كان فى جوفه فلما قال نوح للحمار :
ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخل إبليس معه ؛ إذ كان فى جوفه .
قال : فلما رآه نوح فى السفينة قال : ياملعون من أدخلك السفينة ؟ قال :
أنت أمرتني . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حين قلت ، ادخل ياملعون ،
ولم يكن ثمَّ ملعونٌ غيرى

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أمية بن أبى الصلت :

هو أبدى من كل ما يائثرُ النَّاسُ سُ أُمائيلَ باقياتِ سُفُورا^(٣)
خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِدَاتٍ تَرَاهَا تَقْصِفُ الْيَابِسَاتِ وَالْخَضُورَا^(٤)

(١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية
الأرب - رواية الثعالبي فى الثمار : « فليس له استلاب » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .

(٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .

(٤) كذا . وفى الديوان : « الخضورا » . وفى اللسان : « والخضر والخضور

اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتَّماسيح والتَّمائيل والأبَّ بِلَّ شَتَّى والرِّيمَ والبِغْفُورا (١)
 وصوراً من النَّواشطِ عِيناً ونَعاماً خَواضباً وحَميراً (٢)
 وأسوداً عوادياً وفيولاً وذياباً والوَخْشَ والحَنزِيرَ
 ودُيوكاً تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوزينَ أخرجتْ وصقُوراً (٣)
 قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمع الله لابنِ آدَمَ نُوحِ رَبُّنا ذُو الجلالِ والإفضالِ
 حينَ أوفى بذى الحمامة والنَّاسِ جميعاً في فُلْكِهِ كالعِيالِ
 فَاتَّهَتْ بالصَّدْقِ لَمَّا رشاها وبِقِطْفٍ لَمَّا غدا عِشْكالِ (٤)
 ووصف في هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغرابَ صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ،
 وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرَفُّعٌ في جَرِي كَأَنَّ أَطِيطَه صَرِيفٌ مَحالٍ تَسْتَعِيدُ الدَّواليا (٥)

(١) « التَّمائيل » لعلها « الثياتيل » : جمع ثيتل . وبدلها في الديوان : « السنادل »
 وفي اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والرِّيم :
 الغلبى الخالص البياض . والبغفور : الغلبى لونه كلون العف .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرهما : قطع بقر الوحش . والنواشط : التي تنشط من بلد
 إلى آخر . والعين : الواسعات العيون . والخواضب : جمع نخاضب ، وهو من النعام
 الأحمر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا في قول القائل :
 (اللسان وزر ، دور) :

تلقى الإوزين في أكناف دارها فوضى وبين يديها التين منشور
 (٤) ومثل هذه الرواية في الديوان . وفي نهاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) =
 « لما بدأ » .

(٥) ترفع : ترفع ، أى تسرع في جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف .
 والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهى المنجنون أو البكرة العظيمة . وفي الأصل : « يستعيد
 الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدِّ لراكبٍ
فصارتُ بها أَيَّامَهَا ثمَّ سَبْعَةٌ
تَشُقُّ بهم نَهْوَى بأحسنِ إمرةٍ
وكان لها الجُودَى زِينًا وَغَايَةً
[ثم قال] (٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحِمامَةِ خيفةً
رسولاً لهم واللهُ يُحْكِمُ أمرَهُ
فجاءتْ بِقِطْفِ آيَةٍ مُسْتَبِينَةٍ
على خَطْمِهَا واستَوْهَبَتْ ثمَّ طَوَّقَهَا
ولا ذَهَبًا ، إِنِّي أَخافُ زِبَاهِمُ
وزِدْنِي على طَوَّقِي من الحَلِيِّ زِينَةً
غَدَاةً غَدَّتْ منهم تَضَمُّ الخَوَافِيَا (٥)
يُبَيِّنُ لهم هل يُؤَنَسُ الثُّوبُ بِأَدْيَا (٦)
فأَصْبَحَ منها مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا (٧)
وقالتُ أَلَا لا تَجْعَلِ الطَّوْقَ حَالِيَا
يُخَالُونَهُ مَالِي وليسَ بِمَالِيَا (٨)
تُصِيبُ إِذَا أَتَبَعْتَ طَوَّقِي خِضَابِيَا

(١) الجون : أراد به البحر ، وجمله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) في الأصل : « عواطيا » ، ولا زجه له . وفي اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه - أي بالتشديد - ؛ ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولي . وفي الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواقي ، مخفف النواقي : جمع نوق ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا في نهاية الأرب والديوان . وفي ط : « جيفة » وفي س : « حيفة » .

(٦) كذا في الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية في النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجاديا : الزعفران . والمعنى : صار لون خطمها كالزعفران . وفي الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا في الأصل والنهاية . وفي الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدني لَطْرَفَ العَيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ وَأُرِثْ إِذَا مَامَتْ طَوْقِي حَمَامِيَا (١)
 بكون لأولادى جمالاً وزينةً ويهوين زيني زينة أن يرانيَا (٢)
 ثم عادَ أيضاً في ذكر الدَّيْكَ فقال :

[ولا غروُ إلا الدَّيْكَ مدمن خمرٍ نديم غرابٍ لا يملُ الحوانيا] (٣)
 ومَرَهْنُهُ عن الغرابِ حبيبهُ فأوفيت مرهونا وخلفا مساييا (٤)
 أدل عليَّ الدَّيْكَ إِنِّي كما ترى فأقبِلْ عليَّ شأني وهالكِ رِثائيا
 أمنتك لا تلبثُ من الدهر ساعةٌ ولا نِصفها حتى تثوب مآبيا (٥)
 ولا تدركنك الشمسُ عندَ طلوعها فأعلقَ فيهم أو يطولَ ثَوائيا (٦)
 فردَّ الغرابُ والرِّدَاءُ يحوزه إلى الدَّيْكَ وعداً كاذباً وأمانيا
 بأيةٍ ذنبٍ أو بأيةٍ حُجَّةٍ أدعكُ فلا تدعو عليَّ ولا ليا
 فإنِّي نذرتُ حُجَّةً لن أعوقها فلا تدعوتني مرّةً من وراثيا (٧)

(١) كذا في الديوان والأصل . وفي النهاية : « لطرف العين » وبها أيضاً : « وورث » كما في الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفي النهاية : « وعنوان زيني زينة من ترابيا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويري هذا البيت وما بعده من كتاب الحيوان . الحوالى : الحانات ، مفردا الحانية ، وهذه مثل الحانوت والحاناة .

(٤) كذا في الديوان والأصل . وفي النهاية :

ومرهنة عند الغراب جيبته فأوفيت مرهونا وخان مساييا !

(٥) في الأصل : « ولا تصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا في الأصل والديوان . وفي النهاية : « فأعلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتهن .

(٧) في الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيها : « دعوة » مكان « مرة » .

تَطَيَّرَتْ مِنْهَا وَاللُّدْعَاءُ يَعْوَقُنِي وَأَزْمَعْتُ حَجًّا أَنْ أَطِيرَ أَمَامِيَا
فَلَا تِيَأْسَنْ لَائِي مَعَ الصُّبْحِ بَاكِرٌ أَوْافِي غَدَاً نَحْوَ الْحَجِيجِ الْغَوَادِيَا (١)
لِحَبِّ أَمْرِي فَأَكْهَمْتُهُ قَبْلَ حَجَّتِي وَأَثَرْتُ عَمْدًا شَأْنَهُ قَبْلَ شَانِيَا
هِنَالِكَ ظَنَّ الدَّبِيكَ إِذْ زَالَ زَوَلُهُ وَطَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ إِلَّا مُفَادِيَا (٢)
فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ طَرَّبَ صَرْخَةً أَلَا يَا غَرَابُ هَلْ سَمِعْتَ نِدَائِيَا
عَلَى وَدِّهِ لَوْ كَانَ كَانَتْ ثَمَّ مَجِيئِهِ وَكَانَ لَهُ نَدْمَانٌ صِدْقِي مُوَاتِيَا
وَأَمْسَى الْغَرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا

عَتِيقًا وَأَضْحَى الدَّبِيكَ فِي الْقِدِّ عَانِيَا (٤)

١٢٠ فذلک ممَّا أسهبَ الخمرُ لُبَّهُ وندامَ ندماناً من الطيرِ عادياً (٥)

(١) ط : « تبتئس » س : « يئأسن » ، وصواهما ما أثبت من النهاية والديوان .
وفي النهاية : « مع الصبح باكرًا » .

(٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف في هذا : زال
زويله وزواله ، كما في القاموس واللسان وأمثال الميداني ١ : ٢٩٦ . وفي ط :
« زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت ما في النهاية .

(٣) رواية النويري : « لو كان ثم يجييه » وهما بمعنى . والندمان المواقى : التنديم الموافق .

(٤) عتيقاً : طليقاً حراً ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقصد ، بالكسر :
السير يقدر من جلد غير مدبوغ .

(٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهب بلبه . والمعروف في هذا الفعل أن يكون بالبناء
للمفعول . والرواية في النهاية « أسهت » . وفي س : « عاريا » مكان « عاديا »
وفي نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويًا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت
بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهي عزيزة في المراجع . ولست تجد في شواهد
كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلاً . وقد اجتهدت قدر الطاقة في تخريج
ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ما قدرت على تصحيحه .

(ما يلقيم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطير ما ^(١) يُلقِم فراخه مثل العصفور ؛ لأنَّ العصفور لا يزُق .
وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يزُق فراخه ، مثل الحمام وما أشبه ذلك كبهاثم الطير
الخالصة ؛ لأنَّ الدجاجة تأكل اللحم ، وتلغ في الدم ، وولدها حين يخرج
من البيض يخرج كاسباً مليحاً ، كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقوته ، ولا يحتاج
إلى تلقيم سباع الطير . والعصافير لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع ^(٢)
ولم تلتقط الحبَّ كالفراريج أول ما يخرج من البيض ولم تزقها الآباء ولا
الأمهات كأجناس الحمام - فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفروج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو
أكله للحم ، وحسوه للدم ، وأكله للديدان وما هو أقدر من الذباب .
والعصفور أيضاً مشارك الطباع ؛ لأنه يجمع بين أكل الحبوب واللحمان ،
وبين لقط الحبوب وصيد أجناس كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار ^(٣) ،

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفي س : « ترتفع » .

(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام في طيران النمل في الجزء الأول ص ٢٩ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس في الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحية
من العصفور .

(هداية المصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغني أنه قد
رجع من قريبٍ من فرسخ . وهي تكون عندنا بالبصرة في الدور ، فإذا
أمكنت الثمار^(١) لم تجد منها إلا اليسير ، فتصير^(٢) من القواطع إلى قاصي
النخل ؛ وذلك أنها إذا مرّت بعصافير القرى وقد سبقت إلى ماهو إليها
أقرب ، جاوزتها إلى ماهو أبعد ، ثم تقربُ الأيامَ الكثيرةَ إلى ماهو
أبعد ، ثم تقربُ الأيامَ الكثيرةَ المقدار ، في المسافة [إلى] أكثر مما
ذكرتُ من الفرسخ أضعافاً .

(تحنن المصافير وتمظفها)

والعصافير لا تقيم في دورِ الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلا ما كان
منها مقبلاً على بيض أو فراخ ؛ فإنه ليس في الأرض طائرٌ أحنى^(٣) على ولده
ولا أشدُّ تعظفاً من عصفور . والذي يدلُّ على أن في طبعها من ذلك ما ليس

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار في الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) في الأصل : « أحن » ، والوجه ما أثبت بن : ٢١٠ .

في طبع سواها من الطير - الذي تجدد من إسعاد^(١) بعضهم لبعض ، إذا دخلت الحية إلى جحر بعضهم لتأكل فرخاً ، أو تبتلع بيضاً ؛ فإن لأبوى الفرخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً ، وتدفيماً وترنيقاً^(٢) فوق الجحر ودرزته وحواليه ، فلا يبقى عصفور من حيث يسمع صياحهما أو يسمع أصواتهما إلا جئنَ أرسالاً^(٣) مُسعداتٍ ، يصنعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس في الأرض أصدق حذراً منه . ويقال إنه في ذلك لأكثر من العقق^(٤) والغراب .

١٢١

وخبّرني من يصيد العصافير قال : ربما كان العصفور ساقطاً على حائطٍ سطح بحدائي ، فيغمني صياحه وحدةً صوته ، فأصيح وأومئ إليه بيدي^(٥) ، وأشير كأنني أرميه ، فما يطير . حتى ربما أهويت إلى الأرض كأنني أتساول شيئاً ، كل ذلك لا يتحرك له . فإن مسّت يدي أدنى حصاة أو نواة وأنا أريد رميها ، طار قبل أن تستمكن منها يدي .

(١) الإسعاد : الإعانة . وفي الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) في الأصل : « وترفيفاً » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه في الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل - بالتحريك - : الطائفة ، جمعها أرسال .

(٤) العقق - كعقّب - طائر في قدر الحماة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفق بيضه بورق الدلب .

(٥) في الأصل : « فأصيح إليه وأومئ بيدي » ، ووجه ما أثبت .

(سفاد المصفور وأثره في عمره)

وليس في الطير أكثر عدد سفاد من العصافير ، ولذلك يقال إنها أقصر الطير أعماراً . ويقال إنه ليس شيء مما يألف الناس ويعايشهم في دورهم أقصر عمراً منها . يعنون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والكلاب والسنانير ، والخطاطيف والزرابير ، والحمام والدجاج .

(نقزان المصفور)

ولا يقدر المصفور على المشي ، وليس عنده إلا النقران^(١) ، ولذلك يسمى النقران ، وإنما يجمع رجله ثم يثب ، وذلك في جميع حركاته ، وفي جميع ذهابه ومجيئه . فهي الصعو ، والعصافير ، والنقايز^(٢) . وإن هو مشى هذه المشية - التي هي نقزان - على سطح وإن ارتفع سمكه ، فكانت تسمع لوطه وقع حجر ؛ لشدة وطئه ، ولصلابة مشيه . وهو ضد الفيل ؛ لأن إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لما شعر به ، لخفة وقع قوائمه ، مع سرعة مشى وتمكين في الخطأ .

(١) النقران : الوتب .

(٢) النقايز : جمع نقايز . وكلمة « فهي » تفيد المساواة في إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لكن الصعو - كما ذكروا - ضرب من صغار العصافير وفي ط : « فهي الصقلوز العصافير » ، وهو تحريف صوابه في س .

(سُبُعِيَّة الرِّخْم والنسر)

والرِّخْم والنَّسْر سِبَاع ، وإِنَّمَا قَصَّرَ بِهَا عَدَمُ السِّلَاحِ . فَأَمَّا البَدَنُ والقُوَّةُ ففوقَ جَمِيعِ الجَوَارِحِ ، وَلِكُنَّهَا فِي مَعْنَى الدَّجَاجِ ، لِمَكَانِ البَرَاثِنِ ولِعَدَمِ المِخَالِبِ (١) .

(وفاء المصافير)

ولقد رأيتُ سِنُورًا وثبَ على فَرخِ عَصْفُورٍ فَأَخْطَأَهُ (٢) فتناولَ الفَرخَ بعضُ العِلْمَانِ فوضَعَهُ فِي البَيْتِ ، فَكَانَ أبُوهُ يَجِيءُ حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فَلَمَّا قَوِيَ (٣) وَكَادَ يَطِيرُ جَعَلَهُ فِي قَفْصٍ ، فَرَأَيْتُ أبَاهُ يَجِيءُ بِتَخْرِيقِ السَّنَانِيرِ وَهِيَ تَهْمُّ بِهِ ، حَتَّى يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى فَتُفْتَحُ البَابُ ، وَهِيَ تَهْمُّ بِالوُثُوبِ وَالإخْتِطَافِ لَهُ ، حَتَّى يَسْقُطَ عَلَى القَفْصِ فَيُنَازِعُهُ سَاعَةً ، فإِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَى الوُصُولِ سَبِيلًا طَارَ فَسَقَطَ خَارِجًا مِنَ البَيْتِ ، ثُمَّ لَا يَصْبِرُ حَتَّى يَعودَ . فَكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُ . فَلَمَّا قَوِيَ فَرخُهُ أَرْسَلُوهُ مَعَهُ فَطَارَا جَمِيعًا .

وعرفنا أَنَّهُ الأبُّ دُونَ الأُمِّ لسَوَادِ اللُّحِيَّةِ .

(١) النسر من سباع الطيور ، وليس من جوارحها ، فهو لا يصيد إلا في الندرة ، ولا يخالب له بل له أظفار ، ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها . انظر معجم المملوك ٢٦٠ . والرَّخْمَةُ تشبهه في ذلك ، كما يفهم من صنيع الجاحظ . والمخلب هو ظفر الطائر الصائد .

(٢) ط : « فأخضاه » ، وصوابه في س .

(٣) ط : « قرب » ، وتصحيحه من س .

(القول في سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أن صوت الديك كريةٌ في السَّماع ، غيرَ مطربٍ ،

قولُ الشاعر (١) :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فارتاحًا وأَمَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحِ صِيَاحًا
أَوْفَى عَلَى شُرْفٍ (٢) الجِدَارِ بِسُدْفَةٍ غَرْدًا يَصْفِقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحًا

(صغر قدر الدجاج)

قال : ويدلُّ على صِغَرِ قَدْرِ الدَّجَاجِ عندهم قولُ بشارِ بْنِ بُرْدِ الأعمى :

١٢٢

بجَدِّكَ يا ابنَ أقرَعٍ نِلتَ مَلَأً أَلَا إِنَّ اللِّئَامَ لَهْمُ جُدُودٍ (٣)
فَن نذرِ الزِّيادَةِ في الهدايا أقتَ دَجاجةً فيمن يَزِيدُ (٤)

(أثر كثرة الدجاج في عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدجاج في دارٍ أو اصطبلٍ أو قريةٍ ، لم يكن عددُ

بيضها وفراريجها على حَسَبِ ما كان يبيض القليلُ منهم وَيَفْرخُه (٥) . يعرف
ذلك تُجَمَّارُ الدَّجَاجِ وَمَنْ اتَّخَذَهَا لِلغَلَّةِ .

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية في ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كمنرفة ، وهو ما يوضع في أعلى القصر . وفي الأصل :
« سَعَف » : ولا وجه له . وأثبت ما في الديوان .

(٣) الجِد : الحظ ، جمعه جدود .

(٤) س : « فن حذر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة في ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج في مصر)

وهي بِمِصْرَ تَرْعَى كما يَرْعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيِّمٌ .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموت إلى الدجاج سريعٌ جداً ، والعادة في صِغار فراريها خلاف ما عليها
نتوء فراخ الحمام (١) ؛ لأنَّ الفُرُوج تنصدع عنه البَيضة فهو كَيْسٌ ظريفٌ ،
مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىً بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته
من لَقَط الحب ، ومن صَيَّد الذُّباب وصغار الطير من الهوام . ويخرج
كاسياً حتى كأنه من أولاد ذوات الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديداً
الصوت حديده (٢) ، يُدعى بالنَّقْرِ فَيُجِيب ، ولا يقال له : قرٌ ، قرٌ ، ثلاثَ
مراتٍ - حتى يَلْقَنَه . فإن استدبره مستدبراً ودعاه عطفَ عليه ، وتتبع الذي
يطعمه ويلعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفٌ شيءٌ . ثمَّ
كلما مرَّت عليه الأيام ماق وحمق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبْحه وأدبر
مِلْحَه (٣) . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان يُحَبُّ له إلى
ضدِّ ذلك ، ويصير من خالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه
وفراريجه (٤) ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

(١) ط : « . . . فراريها على ما عليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلته من ص . والتتو :
مُخَفِّف التتوه أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفي الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحة .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السمن ، ولا تحمل اللحمَ حتى تكادَ تلحقُ بأمها في الجثة .

والفرخ يخرج حارضاً^(١) ساقطاً، أنقصَ من أن يقالَ له مائق ، وأقبحَ شيء . وهو في ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال^(٢) متفاوت^(٣) الأعضاء، ضعيفُ الحوصلة^(٤) ، عظيم المنقار . فكلما مرّت به الأيام زادت في لحمه وشحمه ، وفي معرفته وبصره، حتى إذا بلغ خرجَ منه من الأمور المحمودّة ما عسى لو أن واصفاً تتبّع ذلك للمأمنه الأجلاّد الكثيرة^(٥) . ثم إذا جازَ حدَّ الفِراخ إلى حدِّ النواهض^(٦) ، إلى حدِّ العتق والمخالب^(٧) ، قلَّ لحمه وذهب شحمه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمّ وانتهى لم تكن في الأرض دابةً ولا طائرٌ أقلَّ شحمًا ولا أخبثَ لحمًا منه ، ولا أجدرَ ألا يقبلَ شيئاً من السمن ١٢٣ ولو تخيّرُوا له فؤارة^(٨) المسمنات وما يسمّن به - ما سمن .

(١) الحارض : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفي صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفي اللسان : أى يمتلئ الأعضاء .

(٣) في الأصل : « متقارب » .

(٤) في الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت في تصحيحه على ما سيأتى من مثل هذا الكلام في ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . في الأصل : « فؤارة » محرقة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السبب الذي صار له الدجاج إذا كثرت قلة بيضهن
وفراجهن ، فزعموا أنها في طباع النخل ، فإن النخلة إذا زحمت أختها ، بل
إذا مس طرف سعفها طرف سعف الأخرى وجاورتها ، [و] ^(١) ضيقت
عليها في الهواء ، وكذلك أطراف العروق في الأرض - كان ذلك كرباً
عليها وغماً .

قالوا : فتدانيها وتضاغطها ، وأنفاسها وأنفاس أبدانها ، يحدث
لها فساداً .

قال : وكما أن الحمام إذا كثرت ^(٢) في الكنة والشريحة ^(٣) احتاجت إلى
شمس وإلى ماء تغتسل فيه في بعض الأحيان ، وإلى أن تكون بيوتها مكنوسة ^(٤)
في بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلا لم يكن لها كبير بيض . على أنه إذا كان
لها [في الصميمين ^(٥)] الدق في الشتاء والكن في الصيف ، لم تغادر الدهر
كله أن تبيض .

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف
في البيت . والشريحة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفي الأصل : « الشريحة » ،
وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) الصميمان يراد بهما الصيف والشتاء في أشد حالتهما . وهذه التكلة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة ما اشتق من البيض)

قال صاحب الديك : فخرتم للكلب بكثرة ما اشتق للأشياء من اسم الكلب ، وقد اشتق لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقلانس الحديد : بيض ، وقالوا : فلان يدفع عن بيضة الإسلام ، وقالوا : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا بيضة البلد . وفي موضع النظم من قولهم (١) :
تأبى قضاة أن تدرى لكم نسباً وابنأ نزارٍ وأنتم بيضة البلد
ويسمى رأس الصوامة والقبة بيضة . ويقال للمجلس إذا كان معموراً غير مطول بيض جائمة (٢) ، ويقال للوعاء الذي يكون فيه الحبن (٣) والخراج (٤) وهو الذي يجتمع فيه القبح - بيضة . وقال الأشتر بن عبادة :
يكف غروبها ويغض منها وراء القوم خشية أن يلاموا
مظاهر بيضتين على دلاص به من وقعة أخرى كلام
وقال النابغة :

فصبّحهم ملئمة رداحاً كأن رؤوسهم بيض النعام

(١) أي قول شاعرهم ، وهو الراعي كما في الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمّار

القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العامل .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدم . وفي الأصل : « الحبن » ، وهو تضييف .

(٤) الخراج ، كفراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقال العجيرُ السلولى (١) :

إذا البيضة الصماء عضت صفيحةً يجرّباً لها صاحت صياحاً وصلّت (٢)

(شرط أبي عباد في الخمر)

ولما أنشدوا أبا عباد النمرى (٣) قول ابن ميادة ، وهو الرّمّاح :

ولقد غدوتُ على الفتى في رحله قبل الصّباحِ بمرّعٍ نشّاجٍ (٤)

جاء القلالُ له بدرّ صباية حمراء مثل سخينة الأوداج (٥) ١٢٤

حُبِسَتْ ثلاثةٌ أخرسٍ في دارةٍ قوراء بين جوازِلٍ ودجاج (٦)

تدعُ الغوى كأنه في نفسه ملكٌ يعصبُ رأسه بالتّاج (٧)

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقل . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزائن ٢ : ٢٩٨ - بولاق) . وعده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغاني ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ . وفي الأصل : « المعيز » ، بحرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قدح الخمر . والنشاج : الذى يغل مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأخرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفي الأصل : « أخرس » وهو تصحيف .

والدارة : الرملة المستديرة . والقوراء : للواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفي ط : « القوى » .

ويظنُّ بحسبِ كلِّ شيءٍ حوله مُجِبَّ العراقِ نزلنَ بالأحداجِ .
فحين سمعه أبو عباد يقول :

حُبست ثلاثةَ أحرُسٍ في دارةٍ قوراءِ بَيْنَ جَوازِلِ ودَجاجِ (٢)
قال : لو وجدتُ خمرًا زبنيَّةً ذهبيةً (٣) ، أصنى من عين اللدك ، وعين
الغراب ، ولعابِ الجُنْدبِ وماءِ المفاصلِ (٤) ، وأحسنَ حمرةً من النَّارِ ، ومن
نَجِيعِ غزالِ (٥) ، ومن فُوَّةِ الصَّبَاغِ (٦) - لما شربتها حتى أعلمَ أنها من
عصيرِ الأرجلِ ، وأنها [من] (٧) نباتِ القرى ؛ ومالم تكدر في الزقاقِ (٨) ،

(١) النجب هنا: جمع نجبية، وهي الناقة السكرية . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام في س .
(٢) في الأصل : « حبت ثلاثة أحرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع
حلج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخسأ الشيء الدقيق عظيمًا ، مما لعبت
برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالمقتل ثم رحنا نرى المصفور أعظم من بغير
(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول
أبي نواس (انظر أخبار أبي نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بها زيتية ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا
(٤) المفاصل هي منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صفار ، فيصفو
ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جساء في المعتمد نقلًا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » .
وفي تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ
في كل من اللسان والقاموس بمادتي (ف وو) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون
منتهيًا بتاء ، مثل قوة ، وحوة . وعلى الثانية يكون منتهيًا بالهاء على وزن سكر .
والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ
بها ، كما تقول شيء مفوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ،
أو كثيرة الفوة . وجاء في صحاح الجوهري من المادة الأولى فقط . والفوة ، كما
قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقًا في رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ،
كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظهارة كما تجر ثياب الفوة العرس
والصباغ : من يلون الثياب . وفي الأصل : « قوة الصباغ » وهو تحريف .
صوابه ما أثبت .

(٧) التكلة من س . (٨) س : « ومالم تكدر في الزقاق » .

وأن العنكبوت قد نسجت عليها ، وأنها لم تصر كذلك إلا وسط دسكرة ،
وفي قرية سوادية^(١) وحولها دجاج وفراريج . وإن لم تكن رقطاء أو فيها
رقط فإنها لم تتم كما أريد . وأعجب من هذا أنني لا أنتفع بشربها حتى يكون
بائعها على غير الإسلام ، ويكون شيخاً لا يفصح بالعريية ، ويكون قبضه
منقطعاً^(٢) بالقار . وأعجب من هذا أن الذي لا بد منه أن يكون اسمه إن كان
مجوسياً شهربار ، ومازيار ، وما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، وبازان .
فإن كان يهودياً فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك . وإن كان نصرانياً فاسمه
يوشع وشمعون وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حمس الشر وأحمس إذا اشتد . ويقال قد احتمس الديكان
احتماساً ، إذا اقتتلا اقتتالا شديداً . ويقال وقع الطائر يقع وقوعاً . وكل واقع
فصدره الوقوع ، ومكانه موقعة^(٣) ، والجمع مواقع . وقال الرأجز^(٤) :
كان متنيه من النقي^(٥) مواقع الطير على الصبي

(١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أي قرأه .

(٢) أي ملوثاً به في مواضع مختلفة . س : « منقطاً » .

(٣) في الأصل : « موقعه » وتصحيحه من الأمالي ٢ : ٨ واللسان والقاموس
(وقع ، وهي بفتح القاف وتكسر .

(٤) هو الأخييل كما في اللسان (وقع ، صنق ، نقي) . يصف ساقياً يستق ماء مالحاً .
(الأمالي ٢ : ٨) .

(٥) المتنان : مكتنفا الصلب . وفي ط : « متنيه » وصوابه في س ، وما سبق من المراجع .
وفي اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو علي . وأنشده ابن دريد
في الجمهرة : « كأن متني » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعمه :

* من طول إشرافي على العلوي *)

يقال صَفَاً وَصُنِيٌّ . وَالنَّفِيُّ : مانى الرِّشَاءَ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَا تَنْفِيهِ مَشَافِرُ
الإِبْلِ مِنَ الْمَاءِ الْمَدِيرِ (١) . فَشَبَّهَ مَكَانَهُ عَلَى ظَهْرِ السَّاقِ وَالْمَسْتَقَى بِذَرْقِ الطَّيْرِ
عَلَى الصَّفَا .

ويقال « وقع الشيء من يدي وُقوعاً ، وسقط من يدي سُقوطاً » . ويقال
وَقَعَ الرِّبِيعُ بِالْأَرْضِ ، وَيُقَالُ سَقَطَ . وَقَالَ الرَّاعِي :
وَقَعَ الرِّبِيعُ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ وَرَأَى بِعَقْوَتِهِ أَزْلًا نَسُولًا

(لَوْمُ الْفُرُوجِ)

١٢٥ قال : وَكَانَ عِنْدَنَا فُرُوجٌ ، وَفِي الدَّارِ سَنَانِيرٌ تُعَابَثُ الْحَمَامَ وَفِرَاحَهُ ،
وَكَانَ الْفُرُوجُ يَهْرُبُ مِنْهَا إِلَى الْحَمَامِ ، فَجَاءُونَا (٢) بِدُرَّاجٍ ، فَتَرَكَ الْحَمَامَ وَصَارَ
مَعَ الدُّرَّاجِ ، ثُمَّ اشْتَرَيْنَا فُرُوجًا كَسْكَرِيًّا (٣) لِذَبْحِ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَفْصٍ ، فَتَرَكَ
الدُّرَّاجَ وَلَزِمَ قُرْبَ الْقَفْصِ ، فَجِئْنَا بِدَجَاجَةٍ فَتَرَكَ الدُّبَّيْكَ وَصَارَ مَعَ الدَّجَاجَةِ ،
فَدَكَرْتُ قَوْلَ الْفِزْرِ (٤) عَبْدِ بَنِي فِزَارَةَ - وَكَانَتْ بِأُذُنِهِ خُرْبَةٌ (٥) - :

(١) الماء المدير : الذي به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا في س . وفي ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول في الدجاج الكسكري ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « المرر » وسائر النسخ : « الفرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٤٤ ساسي .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . في الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كَانَهُ حَبْشِيٌّ يَبْتَنِي أَرَأَى أَوْ مِنْ مَعَاشِرِ فِي آذَانِهَا الْخَرْبِ

إنَّ الوَئَامَ يَتَبَرَّعُ فِي جَمِيعِ الطَّمْشِ (١) ، لَا يَقْرُبُ الْعِزُّ الضَّانَ مَا وَجَدَتْ الْمِعْزَ ،
وَتَنْفِرُ مِنَ الْمُسْخَلَبِ وَلَا تَتَأَنَّسُ بِالْحَفِّ . فَجَعَلَهَا كَمَا تَرَى تَنْفِرُ وَلَا تَأَنَّسُ مِنْزَلَهُ
وَكَذَلِكَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِلْمُنْتَجِعِ بْنِ نِهَانَ - وَكَانَتْ
بِأُذُنِهِ خَرَبَةٌ (٢) - أَكَانَ تَمِيمٌ مُسَلِّمًا ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي سَمِيَ ابْنَهُ زَيْدًا
مِنَاةً فَمَا كَانَ مُسَلِّمًا ، وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ الَّذِي سَمَاهُ فَلَا أُدْرِي . وَلَمْ يَقُلْ : وَإِلَّا يَكُنْ
هُوَ سَمَاءً فَقَدْ كَانَ مُسَلِّمًا

(الوئام)

والوئام : المشاكلة . وقالوا : تقول العرب : « لولا الوئام لهلك الأنام (٣) » .
وقال بعضهم : تأويل ذلك : لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه قد صنع
خيراً فتشبه به هلك الناس . وقال الآخرون : إنما ذهب إلى أنس بعض
الناس ببعض ، كأنه قال : إنما يتعايشون على مقادير الأُنس الذي بينهم ؛ ولو
عمتهم الوحشة عمتهم الهدسكة . وقال قوم بن مالك ، في الوئام :
عَلَامَ أُوَامٍ الْبِخْلَاءِ فِيهَا فَأَقْعَدُ لِأَزُورٍ وَلَا أَزَارُ

(١) في الأصل : « إن اللؤم يسرع في جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧

بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسي ووحشي . والتزعج : التسرع .

(٢) في الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « هلك اللئام » و : « هلكت جذام » . قال الزنجشري في الأساس

(وأم) . « أي لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان

الهلاك » . وانظر المثل في الميداني ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخطل :

فازعته في الدجى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقد

صاحَ الدَّجَاجُ وحانتُ وقفة السَّارى^(١)

وقال جرير :

لَمَّا مَرَزْتُ عَلَى الدَّيرَيْنِ أَرَقَيْتِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعْتُ بِالنَّوَاقِيسِ^(٢)

(شعر في الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكَةَ والدَّجَاجَ وأفعالها ، مذكوراتٍ في مواضع

كثيرة ، قال ذو الرُّمَّة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيْغَالُهُنَّ بَنَى أَوَاخِرَ المَيْسِ أَصْوَاتُ الفَرَارِيحِ^(٣)

وقال الهذلي^(٤) :

وَمَنْ أَيْنَهَا بَعْدَ إِبْدَانِهَا وَمَنْ شَحِمَ أَثْبَاجَهَا الهَابِطِ^(٥)

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة في كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديورا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير في رثاء ولده ، وهو :

إلا تسكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضاميين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد :

كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج .

والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت في الخزانة

٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفي اللسان (هبط) .

(٥) كذا في ط : واللسان (مادة هبط) . وفي س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعلى .

تصيحُ جنادِبُهُ رُكَّداً صِباحَ المساميرِ في الواسطِ (١)
فهو على كلِّ مستوفز سقوط الدَّجَاجِ على الحائطِ
وقال مروان بن محمد (٢) :

١٢٦

ضَيِّعَ ماورُثَه راشداً من كِبَلَةِ الأكداسِ في صفِّهِ (٣)
فربَّ كدسٍ قد علا رسمه كالديك إذ يعلو على رفِّهِ

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال في المثل للذي (٤) يعطى عطيةً لا يعودُ في مثلها : « كانت بيضةً
الديك » . فإن كان معروف له قيل : « بيضة العقر (٥) » .

(استطراد لغوي)

ويقال دجاجة بيوض في دجاج بيض وبيض ، بإسكان موضع العين
من الفعل من لغة سفلى (٦) مضر ، وضمَّ موضع العين من نظيره من النعل مع
الفاء من لغة أهل الحجاز .

(١) واسط الرجل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبي الشمق . انظر ترجمته في الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضبع
ماورثه راشد » .

(٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) أي فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التي قطع فيها معروته . قال أبو عبيد :
يقال للبخیل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى
شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميداني

١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) في الأصل : « سفلى » .

ويقال عمد الجرح يعمد عمداً ، إذا عُصر^(١) قبل أن ينضج فورم ولم يُخرج بيضته^(٢) ، وذلك الوعاء والغلاف الذي يجمع المدّة يسمى بيضة .
وإذا خرج ذلك بالعصر من موضع العين فقد أفاق صاحبه .
ويقال حَضَن الطائر فهو يحضن حَضَاناً^(٣) .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو السفاد^(٤) من الطير ، والتعاظل من السباع . ويقال قَطَّ الحمام الحمامة وسفدها . ويقال قَعَا الفحلُ يقعو قَعُوا ، وهو إرساله بنفسه عليها في ضرابه . والفحل من الحفَّ يَضْرِب ، وهو القَعُو والضراب . ومن الظَّلْف والحافر ينزو نزواً ، وكذلك السنابير . والظلم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الحفّ والظلف فإنه يقعو بعد التسمم . وهو ضراب^(٥) كلّه ما خلا التسمم . وأما الظلف خاصة فهو قَافط ، يقال قفط يقفط قفطاً . أو القفط نزوة واحدة . وليس في الحافر إلاّ النزو .

(حَضَن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويوضع بيض الطاوس تحت الدجاجة ، وأكثر ذلك لأنّ الذكر يعبث بالأنثى إذا حَضَنَت . قال : ولهذا العلة كثير من إناث

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .

(٢) في اللسان : « ولم تخرج بيضته » .

(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .

(٤) في الأصل : « السفاد » .

(٥) ط : « ضرابه » ، وأثبت ما في س .

طير الوحش يهربن بيضهن من ذكورتها ، ثم لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهن .

قال : ويوضع^(١) تحت الدجاجة بيضتان من بيض الطاوس ، لانقوى على تسخين أكثر من ذلك . على أنهم يتعهدون الدجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخصى^(٢) ذكور اجناس الطير تكوّن في أوان أول السفاد أعظم . وكلما كان الطير أعظم سفاداً ، كانت خصيته أعظم ، مثل الديك ، والقبج ، والحجاب . وخصية العصفور أعظم من خصية مايساويه في الجثة مرتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكل ما كان من الدجاج أصغر جثة يكون أكبر لبيضه^(٣) . وبعض الدجاج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بيضتين في يوم واحد ، وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر في صفة الديك)

وقال آخر^(١) في صفة الديك :

ماذا يورقني والنوم يُعجِبُنِي

مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ^(٢)

كَأَنَّ حُمَاضَةً فِي رَأْسِهِ نَبَتَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ^(٣)

وقال الطَّرِمَّاح :

فِيَا صَبِيحُ كَمَّشْ غُبْرَ اللَّيْلِ مُصْعِدًا بِبِمٍّ وَنَبَّهْ ذَا الْعَفَاءِ الْمَوْشِحِ^(٤)

إِذَا صَاحَ لَمْ يُخَذَّلْ وَجَاوَبَ صَوْتَهُ

حَمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ^(٥)

(١) البيتان في اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوق ومحاضرات الراغب

٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول في اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) في اللسان : « ورعثة الديك : عنونه وحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولاً شديداً ، وله ورقة عظيمة

وزهرة خمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان :

« من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الصيف » .

(٤) سبق البيتان في ص ٢٥٤ ، وفي الأصل : « غير الليل » محرف . وفي ط : « يم »

وتصحيحه من س والديوان . وفي الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفي س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفروج إذا خرج من بيضه عن حضن الحمام ، كان أكيس له .

(بيض الطاوس)

ويبيضُ الطَّائِوسُ إذا لم تحضنه الأنثى التي باضته خرج الفرج أفاقاً^(١) وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أهرمت^(٢) الدجاجة فليس لأواخر ما تبيض صفرة . وقد عاينوا للبيضة الواحدة محتين ، خبرني بذلك جماعة ممن يتعرف^(٣) الأمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فروج ولا فرخ ؛ لأنه ليس له طعام يغذوه ويُربيه . [والبيض^(٤)] إذا كان فيه محتان وكان البياض وافرأ - ولا يكون ذلك للمسنات - فإذا [كان كذلك^(٤)] خلق الله تعالى من البياض قروجين ، وتربى الفروجان^(٥) ، وتمّ الخلق ؛ لأنّ الفرج إنما يخلق من البياض ، والصفرة غذاء الفروج .

(١) أفاقاً : من القماءة ، بمعنى الصغر .

(٢) هي صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا في س . وفي ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) في الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفط الطائر يقفط قفطاً ، وسفد يسفد سفاداً ، وهما واحد .
ويكون السفاد للكلب والشاة . ويقال ققط الحمام يقمط ققطاً .

ويقال ذرق الطائر يذرق ذرقاً ، وخزق يخزق خزقاً ، ويقال ذلك
للإنسان . فإذا اشتق له من الخذقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه (١) قيل
خرى ، وهو الخرى والخراء (٢) . ويقال للحافر راث يروث ، وللمعز والشاة (٣) :
بعر يعر . ويقال للنعام : صام [يصوم] ، وللطير : [نجا] ينجو (٤) واسم نجو
النعام الصوم ، واسم نجو الطير العرة . وقال الطرمح :
فى سَنَاظِي أَقْنِي بَيْنَهَا عُرَّة الطَّيْرِ كَصَوْمِ النِّعَامِ (٥)
ويقال للصبى عقى (٦) ، مأخوذ من العتى .

ويقال لحمت الطير . ويقال لحم طائر كإحماماً (٧) ، أى أطعمته لحماً واتخذ
له . ويقال هى لحمة النسب . ويقال لحمت الثوب إحماماً ، ولحمت الطائر
إحماماً ، وهى لحمة الثوب ، ولحمية ، بالفتح والضم .

-
- (١) عبارة مبهمه . ومبلغ الظن أنها محرفة .
(٢) فى الأصل : « والخراء » .
(٢) فى الأصل : « والشاة » ، ووجه ما أثبت .
(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .
(٥) فى اللسان : « سناظى الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدها سناظرة » .
و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال يثبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة
الطير : ذرقها » . و صدر البيت محرف فى ص هكذا : « فى سناظى أمر بها » . وانظر
ديوان الطرمح ٩٧ و اللسان (سناظ وأقن) .
(٦) فى الأصل : « عقى » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .
(٧) فى الأصل : « لحم طائر كإحماماً » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودة قولهم في الشراب : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيكِ » وإذا وصفوا عين الحمام الفقيع^(١) بالحمرة ، أو عين الجراد قالوا : كأنها عينُ الدِّيكِ . وإذا قالوا : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الْغَرَابِ » فإِنَّمَا يريدون ١٢٨ حِدَّتَهُ وَنَفَاذَ الْبَصْرِ .

(ما قيل في عين الديك)

وفي عين الديك يقول الأعشى :
وكأسٍ كعينِ الدِّيكِ باكرتُ حدها
بغيرتها إذ غابَ عنها بُغائتها^(٢)
وقال آخر^(٣) :

وكأسٍ كعينِ الدِّيكِ باكرتُ حدها
بفتيانِ صِدْقِ والنَّوْاقِيسِ تُضْرَبُ

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) في ديوان الأعشى ٦٠ : « كاه النىء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات الراغب ١ : ٣٢٨ . وفي الديوان : « إذا غاب عني » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، في الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر (١) :

قَدَّمْتُهُ عَلَى عُقَارِ كَعْبَيْنِ الدِّيبِ كِ صَفِي زُلَاهَا الرَّأُوقِ

وقال الآخر (٢) :

ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ وَشَهْرًا مُجْرَمًا تَضَى كَعْبَيْنِ الْعُتْرُفَانِ الْمَجَاوِبِ

وَالْعُتْرُفَانِ مِنْ أَسْمَاءِ الدِّيبِ ، وَسَمَاهُ بِالْمَجَاوِبِ كَمَا سَمَاهُ بِالْعُتْرُفَانِ .

(وصف الماء الصافي)

وإذا وصفوا الماء والشراب بالصافي قالوا ، كأنه الدَّمع ، وكأنه ماء
قَطْر ، وكأنه [ماء] (٤) مَفْصِل ، وكأنه لعاب الجندب . إلا أن هذا
الشاعر قال :

مَطْبَقَةٌ مَلَانَةٌ بَابِلِيَّةٌ كَأَنَّ حُمَيْهَا عِيُونَ الْجِنَادِبِ (٥)

(١) هو على بن زيد العبدي كما في الأغاني ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ :
١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعبين الديب صني سلافها الراوق
وفي الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح السمك صني سلافها الراوق
وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق

(٢) هو على بن زيد العبدي كما في اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧
برسم (عترفان) .

(٣) في الأصل ، وكذا في اللسان : « محرما » بالخام ، وهو تصحيف ما أثبت . يقال حول
مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس -
و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيه الكلام .

(٥) حيا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . في ط : « حليها » وتصحيحه بن س .

وقال آخر (١) :

وَمَا قَرَقَفٌ مِنْ أذْرِعَاتٍ كَأَنَّهَا إِذَا سُكِبَتْ مِنْ دَنْهَا مَاءٌ مَفْصِلٌ (٢)

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماء بين السَّهْلِ والجَبَلِ . وقال أبو ذؤيب :

مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا تَشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ (٣)

وقال ابن نجيم (٤) : إِنَّمَا عَنَوَا مَفَاصِلَ فَقَارِ الْجَمَلِ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَفْصِلٍ

حُقًا ، فَيَسْتَنْقَعُ فِيهِ مَاءٌ (٥) لَا تَجِدُ مَاءً أَبَدًا أَصْفَى وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ

وإن رقى (٦) .

(١) هو كثير ، كما في ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أذرعَات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الحمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهي ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهي ائناقة التي ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقبل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبدلته جنى النخل أو ألبان عود مطافل

وانظر الحديث عنه في البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ في شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فإريت أحداً منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست (١٧٠ لبيسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التي قيلت في الغريب . وفي أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت ما في س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفي ط بعد هذا زيادة ليست في س فحذفتها ، وهي : « ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسممه)

وقال مرّة قطرب ، وهو محمد بن المستنير^(١) النحوي : « والله لفلان أبصر من كلب ، وأسمع من كلب ، وأشم من كلب » ! . فقليل له : أنشدنا في ذلك ما يُشبه قولك . فأنشد قوله^(٢) :

يا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةَ حُطِّي إِلَيْكَ رِحَالِ الْقَوْمِ فَالْقُرْبَا^(٣)
١٢٩ في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ الْأَنْدِيَّةِ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظَلَمَاتِهَا الطُّنْبَا^(٤)
لَا يَنْذَبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَجْرَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا^(٥)

(١) في الأصل : « المنتشر » وصوابه مأثبت . لازم محمد بن المستنير سيبويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبي دلف العجلي وأدب ولده . توفي قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمي السعدي ، كما في الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغاني ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزباني ٣٨٣ ، وكما سيأتي بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

• ضمي إليك رحال القوم والقربا •

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله ، وبقي سلاحه معه لا يؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمي إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ؛ فإنهم عندي في عز وأمن من الغارات . (الأغاني ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أي لا ينبح غير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستنق به . ورواية الحماسة :

• حتى يلف على خيشومه الذنبا •

وأنشد هذا البيت في ثُقُوبِ بصره، والشعر لمرّة بن مُحَكَّانِ السعديّ^(١).
ثمَّ أنشدَ في ثُقُوبِ السَّمعِ :

خَفِيَ السَّرَى لَا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطَأَهُ

أَتَى دُونَ نَبِيحِ الكَلْبِ وَالسَّكْبُ دَابُّ^(٢)

(خصال القائد التركي)

قال أبو الحسن : قال نصر بن سيارٍ اللَّيْثِيُّ^(٣) : كان عظماءُ التُّركِ
يقولون للقائد العظيم القيادة : لا بدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاقِ

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامي مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان في عصر
جرير والفرزدق فأخلا ذكره لنباهتهما في الشعر . كان مرة شريفاً جواداً ، وكان
أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال في ذلك الأبيرد الرياحي :

حبست كريماً أن يجود بماله ستعرف ماني قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير . وذلك أن الحارث بن أبي ربيعة كان والياً على البصرة أيام ابن الزبير ،
فخاصم إليه مرة بن محكان رجلاً ، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت في القضاء فإنه إذا ما إمام جار في الحكم أقصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإني بما أدرك الأمر بالأنف وأقطع في رأس الأمير المهندا

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف
في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله
(الأغاني ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أي دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجمان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ وولاه

هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصوناً وغنم كثيراً ؛ وأقام بمرور ،

وقد انتبه إلى استفحال الدعوة العباسية ، فسكتب إلى بني مروان بالشام ، فلم يأبهوا

للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتقلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من

مرو إلى قومنس ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الري وهمدان ،

ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير^(١) وروغان الثعلب ، وختل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركي^(٢) ، وهداية الحمام^(٣)] .
وقد كتبنا هذا في باب ما للدجاج والديك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسَّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خصلةً واحدةً وأعطى جنس الدجاج خصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر في الديك)

وعبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال : كان مكحولٌ يسافر بالديك .

وعنه في هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الديكُ صديقٌ ، وصديقٌ صديقٌ ، وعدوٌّ عدوٌّ الله ، يحفظ داره وأربَع دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحوه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تذبَّحوا الديك ؛ فإنَّ الشيطان يُفرِّحُ بِهِ^(٣) » .

(١) أصل معنى الحملة : الكرة في الحرب . قال الثعالبي في ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقدره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر في طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة المسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تمَّ الخصال العشر .

(٣) يفرح به : ينم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلا وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربعٌ أباهر ، وأربعٌ كلّى^(١) ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوَافٍ ، وسأره لقب .

(الكف والرُّكبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلُّ شيءٍ من ذوات الأربع فركبتاه في يديه ، وركبتا الإنسان في رجليه ، قال : والإنسان كفه في يده ، والظائر كفه في رجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفي الفم ثنيتان ورباعيتان ونابان وضاحكان وأربعةٌ أرحاءٍ سوى ضيرس الحُكْم^(٢) . والنواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل^(٣) .

(١) في الأصل : « أربع أباهر وأربع ظل » ، وهو تحريف . أثبت . انظر أدب الكاتب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحكم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء في أدب الكاتب ١١٦ : « والناجذ : ضرس الحلم » .

(٣) أى مثل ما ذكر .

(التفاضل بالدجاجة)

قال صاحب الديك : والدجاجة يُتفاعل بذكرها ، ولذلك لما
ولد لسعيد بن العاص عنبسة بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أى شيء
تَنَحَّلُهُ^(١) ؟ قال : دجاجة بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابن
أمة ولم يكن ابن حرة . فقال سعيد - أو قيل له - : إن صدق الطير
ليكونن أكثرهم ولداً !
فهم^(٢) اليوم أكثرهم ولداً ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر في الدجاج)

وقال الشاعر^(٣) :

غَدَوْتُ بِشَرِيَّةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقِي أبا الدهناء من حلب العصيرِ
وأخرى بالعنقَلِ ثُمَّ سِرْنَا نرى العُصْفُورَ أعظمَ من بَعِيرِ
كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي تُمَيْرِ أميرُ المؤمنين على السَّرِيرِ
كَأَنَّ دَجَاجَهُمْ فِي الدَّارِ رُقْطاً بناتُ الرُّومِ فِي قُبُصِ الحَرِيرِ
فَبْتُ أرى الجَوَاكِبَ دَانِيَاتٍ يَنْزِلْنَ أَنَامِلَ الرَّجُلِ القَصِيرِ
أدافعهنَّ بالكفِّينِ عَنِّي وأمَسَحُ جَانِبَ القَمَرِ المُنِيرِ

(١) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعته في هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجاج)

قال : ويوصف بالدُّعاء وبالمنطق ، قال لبيد بن ربيعة :
وَصَدَّهُمْ مَنطِقُ الدَّجَاجِ عَنِ القَصَّةِ د وَضَرَبُ النَّاقُوسِ فَاجْتَنِبَا
وقال :

لَدُنْ أَنْ دَعَا دِيكَ الصَّبَاحَ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدَرٍ وَرَدِ الخَامِسِ المَتَأَوِّبِ

(دعابة أعرابي ، وقسمته للدجاج)

قال أبو الحسن : حدّثني أعرابيٌّ كان ينزل بالبصرة قال : قدِم
أعرابيٌّ من البادية فأنزله ، وكان عندي دجاجٌ كثيرٌ ، ولى امرأةً وابنان
وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بادري واشوى لنا دجاجةً وقدميها إلينا
نتغداها^(١) فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتى وابناى وابنتاى
والأعرابيِّ . قال : فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له : اقسّمها بيننا - نريد
[بذلك^(٢)] أن نضحك منه - فقال : لا أحسنُ القِسمة ، فإن رضيتم
بقسمتي قسمتها بينكم . قلنا : فإننا نرضى . فأخذ رأسَ الدجاجة فقطعه^(٣)
فناولنيهِ وقال : الرأسُ للرأس^(٤) . وقطَعَ الجناحين وقال : الجناحان

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هذه القصة
١٠ : ٢٢٣ وفيها : « نتغداها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ :
« نتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ما أثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثم قطع الساقين فقال : الساقان للابنتين . ثم قطع الزمكي
وقال : العجز للعجز^(١) . وقال : الزور للزائر^(٢) قال : فأخذ الدجاجة بأسرها
وسخر بنا . قال : فلما كان من الغد قاتُ لامرأتى : اشوى لنا خمسَ
دجاجاتٍ . فلما حضر^(٣) الغداء . قلت : اقسم بيننا . قال : إني أظنُّ أنكم
وجدتم^(٤) في أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد في أنفسنا فأقسِم . قال : أقسمُ
شفعاً أو وترأ ، قلنا : اقسِم وترأ . قالَ : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة .
ثم رمى إلينا بدجاجة . ثم قالَ : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثم رمى إليهما
بدجاجة . ثم قالَ : وابنتك ودجاجة ثلاثة . ثم رمى إليهما بدجاجة .
ثم قالَ : أنا ودجاجتان ثلاثة . وأخذ دجاجتين وسخر بنا . قالَ :
فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلكم كرهتم قسمي^(٥)
الوتر لا يجيء إلا هكذا ، فهل لكم في قِسْمَةِ الشَّفَعِ ؟ قلنا : نعم . فضمهنَّ
إليه ، ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال :
١٣١ والعجوز وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدجاجة ، ثم قالَ : أنا

(١) العجز : جمع عجوز . وفي نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكي :

أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء في الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور
وقال . . . الخ .

(٣) في الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) في الأصل : « قسمة » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَاتٍ أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلَاثَ ، ورفعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمْتَنِيهَا !

(قول صاحب السكاب في كيس الفروج)

قال صاحب السكاب : [أمَّا قولهم^(١)] : من أعظم مَفَاخِرِ الدِّيكِ
والدَّجَاجِ على ساء الحيوان ، أنَّ الفَرُوجَ يخرج من البيضة كاسيا يكفئ
نفسه ، ثمَّ يجمع كَيْسَ الحِلْقَةِ وكَيْسَ المَعْرِفَةِ ، وذلك كلُّه مع خُروجه من
البيضة - فقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد العنكبوت يأخذُ في النَّسجِ ساءةً
يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملُ شاقٍّ ولطيفٌ دقيق . لا يبلغه الفَرُوجُ
ولا أبو الفَرُوجِ !!

على أنَّ مامدَحوا الفَرُوجَ به من خُروجه من البيضة كاسياً ، قد شرَّكه
في حاله غيرُ جنسه . وكذلك ذوات الأربَعِ كلُّها تُولد كواسياً كواسب .
كولد الشاء .

وفراخ القَبِيجِ والدُّرَاجِ ، وفراخ البَطِّ الصِّينِيِّ في ذلك كلُّه لاحقةٌ
بالفراريج ، وتزبُدُ على ذلك أنَّها تزداد حُسناً كلُّما كبرت . فقد سقط
هذا الفخر .

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعره هزلي في الديك)

ومن الشعر الذي قيل في الديك ، مما يُكتب للهزل وليس للجدِّ
والفائدة ، قول أبي الشمقمق :

هَتَفْتُ أُمَّ حُصَيْنٍ ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ يَدِيكَ
فَتَحْتُ فَرْجاً رَحِيماً مِثْلَ صَحْرَاءِ الْعَتِيكَ
فِيهِ وَزٌّ فِيهِ بَطٌّ فِيهِ دُرَّاجٌ وَدِيكَ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : ومما فيه ذِكرُ الدجاج وليس من شِكل ما بنينا كلامنا عليه .
ولكنه يُكتب لما فيه من العجب . قال : قال الهامرز . قال صاحب
الأهواز^(١) : مارأينا قوماً أعجب من العرب ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ
فكَلَّمته في حاجةٍ لي إلى ابن زياد ، وكنتُ قد ظلمت في الخراج ، فكَلَّمه
فأحسنَ إليّ وخطَّ عني ، فأهديتُ إليه هدايا كثيرةً فغضب وقال : إننا
لا نأخذُ على معونتنا أجراً ! فلما كنتُ في بعضِ الطريق سقطتُ من رداي
دجاجةٌ فلحقني رجلٌ منهم فقال : هذه سقطتُ من رداك . فأمرتُ له
بديرتهم ، ثم لحقني بالأبلة^(٢) فقال : أنا صاحبُ الدجاجة ! فأمرتُ له

(١) في القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام :

« قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبلة : بلد بالعراق على شاطئ دجلة .

بدرهم ؛ ثم لحقني بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تُعلمني ، وهو لك !!

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبي العاصي بن الربيع بن عبد العزري ابن عبد شمس^(١) ، وهو زوج زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم ولأخيه كنانة بن الربيع^(٢) : جرو البطحاء^(٣) .

(الموريات وأسطورة البازي والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثل الذي ضرب به الموريات^(٤) للديك والبازي : وذلك أن خلاد بن يزيد^(٥) الأرقط ١٣٢

(١) كان أبو العاصي قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه في منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له في السيرة ٤٦٦ - ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل وادياها . وفي ط : « البطاء » وتصحيحه من س : وإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكشي بأبي أيوب ، ونسب إلى موريات : قرية من قرى الأهواز . وكان أبو أيوب وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفي سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ لبيسك و ١٥٦ مصر . وفي ط : « زيد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيوب المورياني جالس في أمره ونهيه ، إذ أتاد رسولُ
أبي جعفرٍ فانتقع لونه^(١) ، وطارت عصفيرُ رأسه^(٢) ، وأذن بيومٍ
بأسه^(٣) ، وذعر ذعراً نقضَ حُبوته^(٤) ، واستطار فؤاده^(٥) ، ثمَّ عاد طلقَ
الوجه ، فتعجَّبنا من حاله وقلنا له : إنَّك لطيفُ الحاصَّةِ قريبُ المنزلة . فلمَّ
ذهب بك الذُّعرُ واستفرَّغك الوجل^(٦) ؟ فقال : سأضرب لكم مثلاً من
أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازيَّ قال للديك : ما في الأرض شيءٌ أقلُّ وفاءً منك !
قال : وكيف ؟ قال : أخذك أهلك بيضةً فحضنوك ، ثمَّ خرجت على أيديهم
فأطعموك على أكفهم^(٧) ، ونشأت بينهم ، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو
منك أحدٌ إلا طرت ها هنا وها هنا وضججت وصححت . وأخذتُ أنا من
الجبال [مسينا^(٨)] فعلموني وألغفوني^(٩) ، ثمَّ يخلى عني فأخذ صيدى

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيما : تغير .

(٢) يضرب للمذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصفير عند سكونه ، فلما ذعر
طارت . الميذاني (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفي التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من
الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبوة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون
في جلوسهم ، ولا ينتقصونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه في س . واستطار بمعنى انتزع . وفي اللسان : « استطار
فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مرعاً » .

(٦) استفرَّغ الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفي ط : « استفرَّغك » واثبت
ما في س .

(٧) في الديميرى وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم . وفي
الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك في أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفي الديميرى : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألغفه ، بالتشديد : جعله أليفاً . وفي الوفيات : « وألغوا بي » ، محرقة . وفي الديميرى :
« وألغس » .

في الهواء فأجىء به إلى صاحبي . فقال له الديك : إنك لو رأيت من البراة
في سفافيدهم مثل ما رأيت من الديوك لكنت أنفراً مني !
ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ، لم تتعجبوا من خوئي ، مع ما رونا من
تمكّن حالي^(١) .

(استجادة الخيل والكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر محمد بن سلام عن سعيد بن صخر^(٢)
قال : أرسل مسلم بن عمرو^(٣) ، ابن عمّ له إلى الشام ومصر يشتري له
خيلاً ، فقال له : لا علم لي بالخيل - وكان صاحباً قنصاً - قال : ألسنت
صاحب كلاب؟ قال : بلى . قال : فأنظر كل شيء تستحسنه في للكلب
فاستعمله في الفرس . فقدم بخيل لم يكن في العرب مثلها^(٤) .

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبي أيوب . وقد سبق في ترجمته أنه كان متمكناً الحال
لدى المنصور . وقد وقع ما كان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ
أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمي ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده
أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخاري ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربي ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعي صاحب
مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة في حرب « مسكن » التي كانت
بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان في سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر
الأغاني ١٧ : ١٦١ - ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العامل يذكره هو ،
ومصعباً ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الخواري مصعباً أخا أسد والمذحجي اليماني
ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاويها

(٤) انظر هذا الخبر في العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمد بن سلام . استأذن رجلٌ على امرأةٍ فقالت له : ماله من حاجة^(١) . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الديك إلى الدجاجة !

(هرب الكميّ من السجن متنكراً بثياب زوجته)

محمد بن سلام عن سلام أبي المنذر^(٢) قال : حبس خالد بن عبد الله^(٣) الكميّ بن زيد ، وكانت امرأته تختلف إليه في ثيابٍ وهيئة ، حتى عرفها البوابون ، فلبس يوماً ثيابها وخرج عليهم . فسَمَّى في شعره البوابين الثَّوابعَ ، وسَمَّى خالداً المشلي^(٤) :

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ لبيسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم في عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدهر » وروى خبراً له في الإخبار : أنه أصاب غلامه على جاريتته ، فقال له : ماهذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لملكك بالقضاء والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم (١٨٠ لبيسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسري ، والخبر الآتي مفصل تفصيلاً في الأغاني ١٥ : ١١٤ - ١١٥ .

(٤) المشلي : الذي يفرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قَدَحَ ابنِ مُقْبِلٍ^(١)

على الرَّغْمِ من تِلْكَ النَّوَابِحِ والمَشْلَى

على ثِيَابِ الغَانِيَاتِ وتَحْتَهَا صَرِيمةٌ عَزْمٌ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ^(٢)

(فتيا الحسن في استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَمَ قال : سمعتُ فلاناً البَقَّالَ يسأل الحسنَ^(٣) قال :

إنَّ الصَّبِيانَ يَأْتُونَنِي ببيضَتَيْنِ مكسورتين ، يأخذون منِّي صحبحةً واحدة .

قال : ليس به بأس .

(أرحام الكلاب)

محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال : قال مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ علي ١٣٣

منبر مسجد البصرة ، لبعض بني أبي بكر^(٤) : إنما كانت أمكم مثل الكلبة ،

ينزُّ عليها الأعرى والأسودُ والأبقعُ ، فتؤدى إلى كلِّ كلبٍ شِبْهَهُ .

(١) هو قدح من قداح الميسر، كان لبني عامر بن صعصعة ، لا يجعل في القداح إلا خرج

فائزاً أبداً . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ في الحديث

عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحداً ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم

الطرماع بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما

في الأما لي ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كآزه من المش والتقليب بالكف أنضح

خروج من الغمى إذا صك صكة بدا والعيون المستكفة تلمح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفي س : « صلة

النصل » . وفي الأغاني :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيع بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا في هذا الموضع هجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب
النَّجَابَةِ ، وأنَّ ذلك من صِبْحَةِ طِبَاعِ الأَرْحَامِ ، حينَ لا تَخْتَلِطُ النَّطْفُ فَتَجِيءُ
جوارِحُ الأَوْلَادِ مُخْتَلِطَةً .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : في وصية عثمان الخياط للشطار اللصوص :
إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَحِبَّ الذِّسَاءِ وَسَمَاعَ ضَرْبِ العُودِ ، وَشَرْبَ الزَّبِيبِ المَطْبُوخِ ،
وَعَلَيْكُمْ بِاتِّخَاذِ العِلْمَانِ ؛ فَإِنَّ غِلَامَكُمْ هَذَا أَنْفَعُ لَكُمْ مِنْ أُخِيكَ ، وَأَعُونَ لَكَ مِنْ
ابْنِ عَمِّكَ ، وَعَلَيْكُمْ بِبَيْدِ التَّمْرِ ، وَضَرْبِ الطُّنْبُورِ ^(١) ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ
وَاجِعِلُوا النَّقْلَ بِاقْلَاءِ ، وَإِنْ قَدَّرْتُمْ عَلَى الفُسْتَقِ ، وَالرَّيْحَانَ شَاهِسْفَرَمَ ^(٢) ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة . وكان تدلى إلى النبي صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف بيكرة - أي خشبة مستديرة في وسطها محز للجل تدور على
محور - لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عيد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك
بأبي بكرة . توفي أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، في خلافة عمر
الإصابة ٨٧٩٤ - وانظر ١٤٣ من باب السكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف
٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء
في اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هي فارسية دخلت
في كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كل دجن تغيمًا

وقد وصفه داود (في تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب
إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفي الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وإن قدرتم على الياسمين^(١) . ودعوا لبس العمائم وعليكم بالقناعات . والقلائد . وكفروا ، والحف شرك واجعل لهوك الحمام ، وهارش الكلاب وإيّاك والكباش واللعب بالصقورة والشواهين ، وإيّاكم والفهود .

فلما انتهى إلى الديك قال : والديك فإن له صبراً ونجدة ، وروغانا وتديراً ، وإعمالاً للسلاح ، وهو يهر بهر الشجاع .

ثم قال : وعليكم بالترد ودعوا الشطرنج لأهلها ، ولا تلعبوا في الترد إلا بالطولتين . والودع رأس مال كبير ، وأول منافعه الحدق باللقف .
ثم حدثهم بحديث يزيد بن مسعود القيسى .

(ما يصيده الكلب الأسود البهيم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمد بن سلام عن يحيى بن النضر ، عن أبي أمية عبد الكريم المعلم قال : كان الحسن بن إبراهيم يكره صيد الكلب الأسود البهيم .

(قصيدة ابن أبي كريمة في الكلب والفهد)

وأشده صاحب الكلب قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة^(٢) في صفة صيد الكلب ، قصيدة طويلة أو لها :

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « ثم إن قدرتم على الياسمين »
وكلمة « ثم » أمر « تم » هي تحريف الميم الذي كان ينقص كلمة « شاهسفرم »
في الصفحة السابقة . وقد جمعت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساق القول .

(٢) ابن أبي كريمة من معاصري الجاحظ . وانظر خبرين طريفيين له مع الجاحظ في الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

- وغيَّب غمامٍ مَزَقَتْ عن سمانه شاميةٌ حصاءٌ جُون السَّحَابِ (١)
 مُواجِهٍ طَلَقَ لم يردُّ جَهَامَه تذاوِبُ أزواج الصِّبَا والجنائب (٢)
 بعثتُ وأثوابُ الدُّجَى قد تَقَلَّصَتْ لغرَّة مشهور من الصُّبْح ثاقب (٣)
 وقد لاح ناعى الليل حتى كأنه لسارى الدُّجَى فى الفجر قنديلُ راهب (٤)
 بهاليلَ لا يثنِيهم عن عزيمة وإن كان جَمَّ الرشدِ، لومُ القرائب (٥)
 بتجنيبِ غُضْفٍ كالقِداحِ لطيفةٍ مُشرَّطيةٍ آذانها بالمخالبِ (٦)

(١) غب غمام : أى بعده . والشامية : الريح الشمالية التى تهب من ناحية الشام .
 والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هذا الغمام واجه هواء طلقا : لاحارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذاب
 أى لم تجى من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هذا الغمام . وجاء البيت
 محرفاً على الوجه التالى - وأثبت صوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث
 توجد هذه القصيدة - :

مواجهه طلق لم يرد رجاءها تذاب بأرواح الصبا والجنائب
 (٣) الغرة : أصلها البياض فى الجهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية :
 « بغرة » وما هنا أجزل . وفى س : « لعزة » وهو تحريف . والصبح المشهور :
 الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهوب » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .
 (٤) قنديل الراهب يعنى به أبداً ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة
 إلى امرئ القيس فى قوله :

يضىء سواه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل
 (٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمع بهاليل . وهذه معمول « بعثت »
 فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية :
 « الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى
 عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الكلاب : أراد به قيادتها ،
 كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالمخالب أمانة
 من أمارات فرائدها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩
 من هذا الجزء :

• خرق أذنيه شبا أظفاره •

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

• منتشطا من أذنه سيورا •

وقوله فى ص ٣٣ :

• ينشط أذنيه بهن نشطا •

- ١٣٤ (١) طوال الهوادي كالقداح الشواذب (١) تخال سباطاً في صلاها منوطةً
عجاجاً وبالكذان ناراً الحجاب (٢) إذا افترشت خبتاً أثارت بمتنه
مهام مغال أو رجوم الكواكب (٣) يفوت خطاها الطرف سبباً كأنها
بطامسة الأرجاء مرّت المسارب (٤) طراد الهوادي لاحها كل شتوة
رأت شبحالولا اعراض المناكب (٥) تكاد من الأخراج تنسل كلّمّا
مرايض أبناء النفاق الأرانب (٦) تسوف وتوفى كل نشز وقدفد
أنين المسكاكي أو صرير الجنادب (٧) كأن بها ذعراً ، يطير قلوبها

(١) منوطة في صلاها : معلقة في مفرز ذنبا ، ولعله عنى وجود حافظ دائم يحفظها على العدو . وبالأصل : « من صلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادي : الأعتاق . والشاذب من قداح الميسر : الذي ضمير من كثرة المداولة والتقليب . وفي الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفي ط : « جبتا » وفي س : « جتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والكذان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفي الأصل : « بالكذان » . ونار الحجاب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردها للهوادي ، أي أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضمرتها . وطماسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحي ، أو لا أثر بها لسالك لما يسنى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفزة المسالك . وفي الأصل : « بطامية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنما يكون مع الخصب . وهى حل الصواب الذي أثبت في نهاية الأرب .

(٥) الأخراج : قلائد الكلاب ، واحدها حرج بالكسر . وفي الأصل : « الأخراج » وليس بشيء . و « تنسل » هي في الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرائب : تشمها لتعرف ماها . وتوفى النشز : أي تأق المكان المرتفع . والقدفد : الفلاة لا شيء بها . والنفاق : جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المسكاكي : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الكاف ، طائر من القنابر ، له صغير حسن ، وتصعيد في الجو وهبوط ، وهو في ذلك يمشى أي يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التي تبنى أفاحيصها في الأرض . انظر معجم المملوك ١٤٧ - ١٤٨ وقد حففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكَّبت في براطيلٍ كجمر الغصَى خُزراً ذرَابُ الأنايب (١)
إذا ما استُحِثتْ لم يُجَنَّ طَرِيدَهَا لهنَّ ضَرَاءٌ أو مجارِي المَذَانِبِ (٢)
وإن باصها صَدْنَا مَدَى الطَّرْفِ أَمَسَكَتْ عليه بَدُونُ الجُهدِ سُبُلَ المَذَاهِبِ (٣)
تَكَادُ تَفَرَّى الأُهبُ عنها إذا انتَحَت
لنبأة شَخْتِ الجِرْمِ عارى الرُّواجِبِ (٤)

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرمح ، أو هو الممول . وجمه براطيل ، وحذف الياء في نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر مع المواع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب في شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفي الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيون » . و « ذراب الأنايب » : حداد الأنايب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنايب أصلها « الأنايب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرولية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يجن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب - كنبز - وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشفق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ودى الرمة حيث يقول :

لا يذخران من الإيفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والشخت : الضامر الدقيق لا من هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كَأَنَّ غُصُونِ الْخَيْزِرَانِ مُتَوْنَةٌ إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي طِرَادِ الثَّعَالِبِ (١)
 كَوَاشِرُ عَنِ أَنْيَابِهِنَّ كَوَالِحٌ مُذَلِّقَةُ الْآذَانِ شَوْسِ الْحَوَاجِبِ (٢)
 كَأَنَّ بَنَاتِ الْقَفْرِ حِينَ تَفَرَّقَتْ غَدَوْنَ عَلَيْهَا بِالْمَنَابِيَا الشَّوَابِعِ (٣)
 ثُمَّ وَصَفَ الْفُهُودَ :
 بِذَلِكَ أَبْغَى الصَّيْدَ طَوْرًا وَتَارَةً بِمُخَطَفَةِ الْأَكْفَالِ رُحْبِ التَّرَائِبِ (٤)
 مَرَقَّةَ الْأَذْنَابِ نَمْرٍ ظَهُورُهَا مَخْطَطَةُ الْأَمَاقِ غُلْبِ الْغَوَارِبِ (٥)
 مُدْنَرَةٌ وَرُقٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا حَوَاجِلُ تَسْتَدْمِي مَتُونَ الرَّوَاقِبِ (٦)

- (١) متونها : ظهورها ، مفردة بتن .
 (٢) كشر عن نابيه : أبداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفي س :
 « مذلة » .
 (٣) بنات القفر : عني بها الوحوش . وجاء في س : « غدوت عليها بالمنابيا » ، ومثل هذه
 الرواية في الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشوابع : المفرقات .
 (٤) في الأصل : « أبق الصيد » وهو تحريف صوابه في النهاية . وفي الحيوان
 ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبني » ولها وجه . ومخطفة الأكفال : ضامرة
 الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية ما في الجزء السادس : « بمخطفة
 الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .
 (٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذي فيه نمر ، بضم ففتح أى نكتت ببيضاء وسوداء . وفي ط :
 « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق :
 جمع موق ، وهو طرف العين مما يل الأنف . ومثل هذه الرواية في الجزء
 السادس . وفي النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب :
 ما بين العنق والظهر .
 (٦) مدنرة : بها نكتت كأنها الدنانير . وفي الأصل : « مدربة » وتصحيحه من
 مباحج الفكر . والورق : مفردة أورك ، وهو الذي في لونه سواد وبياض .
 والحواجل : جمع حوجلة ، وهي القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :

كَأَنَّ عَيْنِهِ مِنَ الْغُثُورِ قَلْتَانِ فِي لَحْدِي صَفَا مَنْقُورِ

صَفْرَانِ أَوْ حَوْجَلْتَا قَارُورِ

والرؤاكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبل . وتستدمي : تتبع . وإنما تتبع
 لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفي الأصل : « تستدمي » ولا يصح إلا بتكلمه
 وتعمل ؛ فإن معنى استدمي : استخرج من غريمه الدين في رفق .

- إذا قلبتها في الفجاج حسبتها سنا ضرم في ظلمة الليل ثاقب^(١)
 مولعة فطح الجباه عوابس نخال على أشداقها خطا كاتب^(٢)
 نواصب آذان لطاف كأنها مداهن ، للإجراس من كل جانب^(٣)
 ذوات أشاف ركبت في أكنفها نوافذ في صم الصخور نواشب^(٤)
 ذراب بلا ترهيف قين كأنها تعقرب أصداع الملاح الكواعب^(٥)
 فوارس مالم تلق حرباً ، ورجلة إذا آنتت بالبيد شهب الكتائب^(٦) ١٣٥

- (١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « في الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .
 (٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفتح . في ط : « قبح » وفي س : « فتح » وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف مأثبت . والرواية في نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .
 (٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفي الأصل : « للأجراس » وليس بشيء . يقول : قد نصبت هذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتسمع الأصوات من شتى الجوانب .
 (٤) الأشافي : جمع إثنى ، وهي مثقب الإسكاف ، وقد عني بها الأظافر ، وفي الأصل : « أناف » جمع أنفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .
 (٥) القين : الحداد ، والترهيف : تريق الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتمطفه .
 (٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشي على رجله . قال أبو عمرو : وليس في الكلام فعلة جاء جمعاً غير رجلة جمع راجل . وكأنة جمع كم . وفي الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتم مقابلته لكلمة « فوارس » . وما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تتركب الخيل ، جاء في نهاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان » . ومثل ذلك عند اللميري في رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز في هذا المعنى (انظر الأوراق قدم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :

يلاحق الوثبة معمد النفس نعم الرديف زاننا فوق الفرس

نَرَوْهُ وَتَسْكِينُهُ يَكُونُ دَرِيثَةً لَهْنٌ بِذِي الْأَسْرَابِ فِي كُلِّ لَاحِبٍ (١)
تَضَاعُلٌ حَتَّى لَا تَكَادُ تُدِينُهَا عُيُونٌ لَدَى الصَّرَاتِ غَيْرَ كَوَاذِبٍ (٢)
حِرَاصٌ يَفْرِطُ الْبَرْقَ أَمْكثُ جَرِيهَا ضِرَاءٌ مِبَلَّاتٌ بَطُولُ التَّجَارِبِ (٣)
تَوْسُدُ الْجِيَادُ الْفَرَائِسُ أَذْرَعًا مَرْمَلَةٌ تَحْكِي عُنَاقَ الْحَبَائِبِ (٤)

= ولأبي نواس في صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمته

والسمند : الفريس ، كلمة فارسية .

والسهب الكتائب : عنى بها جماعة الوحش التي تنصيدها هذه الفهود . والكثبية

التشبيه : هي العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريثة لهن . وأصل الدريثة ماتتتر به من الصيد لتخته . و « بدى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردا سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بدى الأسوار » ، ولاوجه له ، وأثبت ما فى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التي لا تكذب صاحبها عند صرها وشذها ، لا تستطيع مع ماها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتضاهل وتجتهد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الصرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيها ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتدانى أبطأ جرية هذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبلل ، بكسر الميم وفتح الباء : الثبت الجرى .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة - أى المملطخة بالدم - وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع المحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام وأقسوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها كضم المحبة من لا يجب

أى أن طريدها لا يجبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مرملة » بالزاي ، وليست تتجه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عناق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديك)

قال دِعْبِلُ الشاعر^(١) : أقننا عند سهل بن هارون فلم نبرح ، حتى كدنا
نموتُ من الجوع ، فلما اضطررناه قال : يا غلام ، وبئلك غدنا ! قال : فأتينا
بقصعةٍ فيها مرقٌ فيه لحمٌ ديك [عاسٍ هرم^(٢)] ليس قبلها ولا بعدها غيرها
لا تحزُّ فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس . فاطَّلَع في القصعة وقلَّب
بصره فيها ، ثمَّ أخذَ قِطْعَةً خبزٍ يابسٍ فقلَّب جميع مآني القصعة حتى
فقد الرأس من الدِّيك وحده ، [فبقي مطرِقاً ساعةً^(٣)] ثمَّ رفع رأسه إلى
الغلام فقال : أين الرأس ؟ فقال : رميتُ به . قال : ولم رميتُ به ؟ قال :
لم أظنك تأكله ! قال : ولأى شيءٍ ظننتَ أني لا آكله ؟ فوالله إنِّي
لَأَمَقْتُ مَنْ يرمى برجليه [فكيف من يرمى برأسه^(٤)] ؟ ! ثم قال له : لو لم

(١) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ،
لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان
شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، وكان شيعياً ، وكان يتشطر ويصحب
الشطار . وأخباره مسهبة في الأغاني ١٨ : ٢٩ - ٦١ . ومن خير شعره
الآبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لاتعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
ياليت شعري كيف يومكما ياساحبي إذا دى سفكا
لاتأخذا بظلامي أحدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا

كان دعبل ينتقل في البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هارباً من المعتصم لما
هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست
وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكلة من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلاً عن الجاحظ . والعامي : الذي أسن
حتى صلب وجف .

(٣) التكلة من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفي العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أَكَرَهُ تَاصَنَعَتَ إِلَّا لِلطَّيْرَةِ وَالْفَالِ ، لَكَرَهُتُهُ ^(١) ! الرَّأْسُ رَئِيسٌ وَفِيهِ
الْحَوَاسُ ^(٢) ، وَمِنْهُ يَصْدَحُ الدِّيَكُ ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أُرِيدَ ؛ وَفِيهِ فَرَقُهُ ^(٣)
الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ ، وَعَيْنُهُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الْمَثْلَ ، يُقَالُ : « شَرَابٌ كَعَيْنِ
الدِّيَكِ » ^(٤) ، وَدِمَاغُهُ عَجِيبٌ لَوْجَعِ الْكَلْبِيَّةِ ، وَلَمْ أَرَ عَظْمًا قَطُّ أَهْشَ تَحْتَ
الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ ، فَهَلَّا إِذْ ظَنَنْتَ أَنَّي لَا آكُلُهُ ، ظَنَنْتَ أَنَّ الْعِيَالَ
يَأْكُلُونَهُ ؟ ! وَإِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ نُبْلِكَ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُهُ ، فَإِنَّ عِنْدَنَا مِنْ
يَأْكُلُهُ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْجَنَاحِ ، وَمِنْ السَّاقِ وَالْعُنُقِ !
انظُرْ أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُ بِهِ ! قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي
أَنَّكَ رَمَيْتَ بِهِ فِي بَطْنِكَ ، وَاللَّهُ حَسِيدُكَ !

كَمَلِ الْمَصْحُفِ ^(٥) الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْخِيَوَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنِ عَوْنِهِ

وَيَتْلُوهُ فِي الثَّلَاثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَكَرَ الْحَمَامِ ^(٦)

(١) أَى لَكَرَهُتَ مَا صَنَعْتَ .

(٢) فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ وَكَذَا فِي الْعَقْدِ : « الْحَوَاسُ الْخَمْسُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، إِذْ أَنْ
فِي الرَّأْسِ أَرْبَعًا مِنَ الْحَوَاسِ ، هُنَّ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالشَّمُّ وَالذَّوْقُ . وَفِي رَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ
١ : ١٧٩ : « وَالرَّأْسُ رَئِيسٌ وَفِيهِ الْحَوَاسُ الْأَرْبَعُ » .

(٣) فَرَقُ الدِّيَكِ : انْفِرَاقُ عَرْفِهِ ، وَقَدْ أَسْلَفَ الْجَاهِظُ . فِي ص ٢٠٧ مِنْ هَذَا
الْجُزْءِ كَلَامًا فِي التَّبَرُّكِ بِالْأَفْرِقِ وَانظُرْ كَذَلِكَ ص ٢٥٩ . وَفِي ط : « وَفِيهِ قَرْنُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ س . وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « عَرْفُهُ » .

(٤) أَى فِي الصَّفَاءِ ، وَقَدْ سَبَقَ كَلَامُ الْجَاهِظِ فِي هَذَا الْمَثَلِ ص ٣٤٩ .

(٥) هَذَا مَا أَثْبَتَ مِنْ س . وَفِي ط : « تَمَّ الْجُزْءُ » .

(٦) هَذَا مَا فِي س . وَفِي ط : « وَيَتْلُوهُ الْجُزْءُ الثَّلَاثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوَّلُهُ ذَكَرَ الْحَمَامِ » .

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنَّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعملية حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كما يعتقدن أن الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أن الزهرة تدبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسرت هذه الظاهرة تفسيراً علمياً ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوئيد ، وبعض الحماض والفسفور ، والمغنيزيا ، والكبريت ، والجير - له أثره الذي لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .
- ١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفري . كذا في الأغاني ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر في الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه «كليب بن عيممة» . أما ابن الشجري في أماليه (١ : ١١١) فقد جعله «كليب بن عيممة» وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : «عيممة : منقول من محقر العيممة ، وهي شهوة اللبن : أو محقر العيممة ، بكسر العين ، وهي خيار المال» . فلعل هذا صوابه .
- ١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء في معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ - ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يا بن رسول الله ، هذا

حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل
حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :
صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ ولم نرمهدياً على الجذع يُصَلَبُ
وَقَسَّمْ بَعْمَانَ عَلِيًّا سَفَاهَةً وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ
فرجع عبد الله يديه إلى السماء ، وهما ينتفضان رعدة فقال :
اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً ! فخرج حكيم من
الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله .

٢٧٦ ٨ السكينة معناها الاطمئنان وجاء في القرآن الكريم :
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام في بني إسرائيل .
والنبي هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك :
طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى
إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك
طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه في حروبهم ليكسبهم
طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى
ضوءاً على الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسياً قديماً العهد ،
غشاه بالديباج ، وزيّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسي
من ذخائر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ،
فضعوه في حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محله فيكم محل التابوت
والسكينة في بني إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩)
وثمار القلوب ٧١ .

٢٧١ ٩ « فُتِنَا » جمع فِتَانٍ بالكسر ، وأصل معناه غشَاءٌ يجعل للرحل من آدم . وأما أمر الحمام ، فَإِنَّ المختارَ لِمَا وَجَّهَ إبراهيم بن الأَشْرَثَ لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصَّته حمماً بيضاً ضخماً ، وقال لهم : إن رأيتُم الأمر علينا فأرسلوها في المعركة . وقال للناس ، إني أجد في محكم الكتابِ ، وفي اليقين والصَّوابِ ، أَنَّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضَابِ ، تأتي في صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ على عسكر ابن الأَشْرَثِ ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النَّاسُ : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأسرع القتل في أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعوا السيوف فيهم ثم أفنؤهم . ثمار القلوب ٧١ . وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكان البيت في الأصل محرِّفاً على الوجه الآتي :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت

سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » في شفاء الغليل « بنكام : لفظ يوناني ، ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرَّبٌ عربيٌّ أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الحصر :

• وَخَصْرُهُ شَدَّ بَيْنَكُمْ •

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط . » فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت في العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعرياً للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائبة ، لا رملية كما قال الحفاجي .

عثمان الحياط هذا زعيم عصابة للصوص ، كانت في عصر الجاحظ :
وإنما سُمِّيَ حياطا لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة
التلصص ، وأخذ ما في بيته وخرج ، وسدَّ النَّقْبَ كأنه خاطه ،
فسمي بذلك . ويظهر أنه قد شاع في هذا العصر اتخاذ التلصص
مهنةً لكسب العيش ، وجعل اللصوص لها نُظْمًا ، وأنشئوا
لأنفسهم ألقابا ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤني ، والشاغل
والطرار . فالعين : الذي يلزم الصيارف ، ويتأمل كل مالٍ
محمول ، ويأتي السفن فيتعرف موضع الحرز ، ويأتي دار قوم
فيطلب أن يتوضأ ، فيتعرف خزائهم والموضع الذي يقصدون
منه . والمؤني : الذي يتولى البيع والابتياح لهم ، ويجعل عند ذلك
كأنه أمير قرية ، أو زعيم محلة . والشاغل : هو الذي يشغل
القوم عن اللص والطرار ، إذا ظفروا به ، يجيء اللص فيضربه
ما لا يضر به السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبي ، هو الذي
ذهب بمالي ، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ،
فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسف مع القوم . والطرار : الذي يقطع
الهامين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت في أكثر أمرها تلتزم ضربًا
من ضروب الشهامة والنبل ، ورووا عن عثمان الحياط أنه قال :
« ما سرقت جارا وإن كان عدوا ، ولا كريما ، ولا كافات
غادرا بغدره ! » .

وكانوا يحسنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجون لها : قال عثمان

الحيّاط : « لم تزل الأمم يسبي بعضها بعضاً ، ويسمّون ذلك غزواً
وما يأخذونه غنيمَةً ، وذلك من أطيب الكسب !! وأنتم في أخذ
مال الغدرة والفجرة أعذر ! فسمّوا أنفسكم غزاةً ، كما سمى
الحوارج أنفسهم سُراةً !! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضي
الذي يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونواديرهم ، مسهبة مفصلة ، في
محاضرات الراغب (٢ : ٨١ - ٨٤) .

كتبه

عبد السلام محمد فايز

مصر الجديدة في { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥

أبواب الكتاب

	صفحة
باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة.. الخ	٥
مسألة كلامية	١٥
باب آخر في الكلب وشأنه	٧٠
باب ما يشبه بالكلب وليس هو منه	١٦٦
باب ما يحتاج إلى معرفته	٢٨٠

